الكنيسة في الشرق (١٠)

الرؤى المنحولة

★ ★ ★

ترجمة

اسكندر شديد

تقديم ومراجعة

أ. جوزف قزّي - أ. الياس خليفة

دير سيّدة النصر
نسبيه - غوسطا

١٩٩٩

الرؤى المنحولة

الرؤى المنحولة

★ ★ ★

ترجمة

اسكندر شديد

تقديم ومراجعة

أ. جوزف قزّي - أ. الياس خليفة

دير سيّدة النصر
نسبيه - غوسطا

١٩٩٩

مصادر ترجمة المنحولات:

1° - Les Évangiles de l'ombre - Éd. Lieu commun, 1983.
2° - Évangiles apocryphes - Éd. Seuil, 1983.
3° - Écrits apocryphes chrétiens - Éd. Gallimard, Bibliothèque de la Pléiade, 1997.

المحتوى

المقدِّمة

١ ـ ركّزت «**الأناجيل المنحولة**»[١]، موضوع الجزء الأوّل من «المنحولات». على يسوع الإله - الإنسان، فعالجت أعماله العجائبيّة الخارقة التي ملأت الدنيا شفاءات مرضى، وإقامة موتى، ومعارف غيبيّة. . .، منذ طفولته، مروراً بحياته العلنيّة، حتى موته وقيامته. . . هذا في اختصار مضمون هذه الأناجيل وأسلوبها. إنّه مألوف ذاك الزمان في فهم أُلوهيّة المسيح وفي طريقة إقناع المؤمنين به.

٢ ـ كذلك هو أيضاً شأن «**الأعمال والرسائل المنحولة**»، موضوع الجزء الثاني من «المنحولات». إنّها، في مضمونها وأسلوبها، أعمال الرسل والتلاميذ الخارقة. مِثلُها مثل أعمال المعلِّم الخارقة. لقد ركّزت، شهادةً لإيمانهم به، على شفاءات كثيرة جرت على أيديهم، وإقامة موتى، ومعارف غيبيّة؛ فأقنعوا بها حُكّاماً كافرين أوقعوهم في شِباك إيمانهم؛ ودلّوا على أنّ الكنيسة التي أسّسوها هنا وهناك هي كنيسة رسوليّة جامعة. . . إنّه أيضاً مألوف ذاك الزمان في الكرازة وتبشير الكافرين وتثبيت المؤمنين.

٣ ـ وكذلك هو أخيراً شأن «**الرؤى المنحولة**»، موضوع الجزء الثالث من «المنحولات». أسلوبها أيضاً هو أسلوب رؤيوي، أَبوكالبتي،

---

١ ـ راجع كتاب "الأناجيل المنحولة"، سلسلة «الكنيسة في الشرق»، رقم ٨؛ دير سيّدة النصر، نِسبَيْه ـ غوسطا؛ سنة ١٩٩٩؛ ٢٤٠ صفحة.

أُخرَوي؛ ومضمونها هو ما يحدث للأبرار في آخر الأزمان وفي السماوات. هذه "الرؤى"، بمضمونها وأسلوبها، لا يجب أن تُربك ضمير القارئ، وتُشكّكه في إيمانه؛ إنّها، أيضاً، من مألوف أسلوب ذاك الزمان في فهم سعادة السماويّين، وفي إقناع أهل الأرض بإيمانهم.

٤ ـ فبالإضافة إلى ما قلناه مطوّلاً في «**مقدّمة المنحولات**» العامّة، في رأس الجزء الأوّل؛ ما زلنا نرى ونلمس أهميّة ترجمتها ونشرها في اللّغة العربيّة. إذ ليس على الكنيسة في هذه اللّغة أن تبقى في منأى عن مصدرٍ مهمٍّ جدّاً للكثير من تعاليمها وطقوسها وعباداتها، ومن مبهمات بعض مراحل التاريخ الكنيسي والمدني التي أضاءت جوانبها هذه «المنحولات».

نِسبَيْه في ١٦/ ٧/ ١٩٩٩

أ. جوزف قزّي

قصة يوسف النجّار

حياة يوسف هذه، وقد رواها يسوع لتلاميذه، كُتبت أولاً باليونانية، في مصر على الأرجح، نحو نهاية القرن الرابع م. حُفِظ النص في ترجمة قبطية وعربية مع إضافات متنوِّعة. وظهرت الترجمة اللاتينية في القرن الرابع عشر م.

هذه القصة ملأى سحراً وسمواً. جزؤها الأخير متأثِّر جداً بطقوس عبادة أُوزيريس. إنها الشهادة الأقدم في تكريم القديس يوسف. وهي تحتوي آثار تأثير أَريوسي أيضاً.

باسم الله، الواحد في جوهره والمثلّث في أقانيمه.

قصة موت أبينا، القديس الشيخ يوسف، النجّار، لتنزِلْ بركاته وصلواته علينا جميعاً، يا إخوتي. آمين!

لقد كانت حياته من مئة وإحدى عشرة سنة وحصل رحيله من هذا العالم في العشرين من شهر أَبيب الموافق لشهر آب. لِتَحْمِنا صلاته. آمين.

إنه سيِّدنا يسوع المسيح بنفسه مَنْ روى هذه القصة لتلاميذه القديسين على جبل الزيتون؛ هو الذي عرّفهم بأعمال يوسف وانقضاء أجله؛ واحتفظ الرسل القدِّيسون بهذا الحديث وتركوه مُثْبَتاً كتابةً في مكتبة أُورشليم. لِتَحْمِنا صلاتهم. آمين.

١. "بشِّروا كلّ الأُمم"

حدث يوماً أن المخلِّص يسوع المسيح، إلهنا، ربّنا ومعلِّمنا، إذ كان جالساً على جبل الزيتون مع تلاميذه المجتمعين معاً، قال لهم: «يا إخوتي وأصدقائي، أبناء الآب الذي اختاركم بين البشر جميعاً، تعلمون أنني أعلنت لكم غالباً أن من الواجب أن أُصلَب وأن أموت لخلاص آدم وذريته، وأن أقوم من بين الأموات. سوف أُسِرُّ إليكم بعقيدة الإنجيل المقدَّس التي سبق أن أعلنتها لكم، لتبشِّروا بها في العالم أجمع، لأنني سأكسوكم بالفضيلة العلوية، واملأكم بالروح القدس. سوف تبشِّرون الأُمم كلّها بالتوبة وغفران الخطايا. فكوب ماء واحد يُعطى لإنسان في الجيل الراهن أثمن وأعظم من كلّ ثروات هذا العالم أجمع، وحيِّز قدم واحدة في منزل أبي يفوق جودةً وقيمةً كنوز الأرض كلّها. إن ساعة واحدة في مسكن الأبرار السعيد يمنح فرحاً أكبر ويساوي أكثر من ألف عام بين الخطأة؛ لأن تأوّهات هؤلاء

الخطأة وشكاواهم لن تنقطع، ولن تكون لدموعهم نهاية، ولن يجدوا في أي برهة من الأبدية عزاءً ولا راحة. والآن، أنتم أعضائي المكرّمون، إذهبوا، بشّروا كلّ الأُمم، احملوا إليها الشريعة الجديدة وقولوا لها: إن الربّ يبحث بعناية عن الإرث الذي يعود إليه؛ إنه هو مانح العدالة. والملائكة تعاقب أعداءه وتقاتل يوم الانتقام. إن الله سوف يفحص كلّ كلمة فارغة وخرقاء يكون البشر قد قالوها، وسوف يقدمون له حساباً عليها، فما من أحد سيُستثنى من قانون الوفاة، وأعمال كلّ واحد ستنكشف في يوم الدينونة العظيم، سواء كانت حسنة، وسواء كانت سيئة. أَعلِنوا إذاً هذه الكلمة التي قلتها لكم اليوم: على القوي ألا يغترّ بقوته، ولا الثري بثرواته؛ بل مَنْ أراد أن يتمجّدْ فليتمجّدْ بالربّ.

٢. يوسف المتعلّم والعالم

كان هناك رجل يُدعى يوسف؛ أصله من بيت لحم، من مدينة يهوذا ومن حاضرة الملك داوود. كان متعلّماً وعالماً في فقه الشريعة، وكاهناً في هيكل الربّ. وكان يمارس أيضاً مهنة نجّار خشب، وتبعاً لعادة كلّ البشر تزوّج. ورُزِق من امرأته أبناء وبنات، أي: أربعة أبناء وبنتَين. وأسماء الأبناء هي يهوذا، بار، يعقوب وسمعان. وإسما البنتَين، آسيا وليديا. وتُوفّيت زوجة يوسف البارّ أخيراً، بعدما كان لها مجد الله هدفاً في كلٍّ من أعمالها. وكان يوسف، ذلك الرجل البارّ، أبي بحسب الجسد، وخطيب مريم أُمي، يعمل مع أبنائه، مهتمّاً بمهنته نجّاراً.

٣. مريم مراهقة

عندما أصبح يوسف البارّ أرمل، كانت مريم، أُمي المباركة، أُمي القدِّيسة والطاهرة، قد أتمّت عامها الثاني عشر؛ وكان والداها قد قدموها في الهيكل حين لم يكن لها من العمر سوى ثلاث سنوات؛

وكانت قد أمضت تسع سنوات في هيكل الربّ. وعندما رأى الكهنة أن هذه العذراء القدِّيسة والخائفة الربّ دخلت المراهقة، قالوا في ما بينهم: «لنبحَثْ عن رجل بارّ وورع يمكننا أن نعهد إليه بمريم حتى زمن الزواج، خوفاً من أن يحدث لها ما يطرأ لكلّ النساء إذا بقيت في الهيكل، وأن نُخطئ بسببها ويغضب الله علينا.»

٤. يوسف يتسلَّم مريم

وأرسلوا على الفور رُسُلاً واستدعَوا اثني عشر شيخاً من سبط يهوذا. ثم كتبوا أسماء أسباط إسرائيل الاثني عشر. ووقعت القرعة على شيخ ورع يُسَمّى يوسف البارّ[١]. فقال الكهنة لأُمي المباركة: «إذهبي مع يوسف وامكثي معه حتى زمن الزواج.» وتسلّم يوسف البارّ أُمي، وقادها إلى منزله. والحال ان مريم، لدى وصولها إليه، وجدت يعقوب الصغير الذي كان مُحبَطاً وحزيناً بسبب فقدان أُمه، فاعتنت به. هوذا السبب الذي من أجله دُعِيت مريم أُم يعقوب. ثم تاركاً إياها في منزله، مضى يوسف إلى المشغل حيث كان يمارس مهنة النجّار. وبعدما بقيت العذراء القدِّيسة في منزله سنتَين، أتمّت عامها الرابع عشر.

٥. إضطراب يوسف

لقد أحببتها بميلٍ إرادي خاص جداً، مع رغبة أبي ودفع الروح القدس. وتجسّدتُ فيها بسرٍّ يتخطى ذكاء كلّ مخلوق. وكانت قد مضت ثلاثة أشهر بعد الحبل، عندما عاد الرجل البارّ، يوسف، من

١ ـ يشير القرآن إلى قرعة قام بها الشيوخ في ما بينهم ليعرفوا من يتكفَّل بمريم. وقد رمَوا أقلامهم في النهر، فطفا قلم زكريا، زوج خالتها، لا يوسف، فكفلها. أُنظُرْ سورة آل عمران: ٣/٤٤.

الموضع الذي كان يمارس فيه حرفته. وحين رأى أن العذراء، أُمي، كانت حبلى، اضطرب في نفسه وكان ينوي ردّها سرّاً. ولم يستطع في جزعه، وحزنه وقلق قلبه، الشرب ولا الأكل منذ ذلك اليوم.

٦. ظهور جبرائيل في الحلم

إنما حدث أن أمير الملائكة، جبرائيل، ظهر له في الحلم، نحو وسط النهار، بحسب الأمر الذي تلقاه من أبي. وقال له: «يا يوسف، يا ابن داوود المبارك، لا تخشَ استقبال مريم خطيبةً لك. فإذا كانت قد حبلت، فمن الروح القدس، وسوف تلد ابناً يكون اسمه يسوع. هو الذي سيحكم الأُمم كلّها بصولجان من حديد.» وبعدما تكلّم هكذا، ابتعد الملاك. واستيقظ يوسف من نومه وأطاع ما أمره به ملاك الربّ. ولبثت مريم معه.

٧. الميلاد في مغارة

وبعد بضع وقت، صدر أمر من الامبراطور والملك أُوغسطوس، يقضي بأن يتسجّل كلّ إنسان في المعمورة في مدينته. وعليه نهض البارّ الشيخ يوسف وأخذ معه العذراء مريم، وجاءا إلى بيت لحم؛ والحال أن أوان وضعها كان يقترب. وسجّل يوسف اسمه في السجل؛ لأن يوسف، ابن داوود، الذي كانت مريم خطيبته، كان من سبط يهوذا. وولدتني أُمي مريم في مغارة[١]، قرب قبر راحيل، امرأة الأب يعقوب وأُم يوسف وبنيامين.

---

١ ـ ولادة عيسى تمّت، بحسب القرآن، في الصحراء، في مكان قَصِيّ حيث فاجأها المخاض تحت جذع نخلة (سورة مريم: ١٩/٢٢ ـ ٢٦)، لا في مغارة، كما هو هنا؛ ولا في مزود، كما هو في لوقا (لو: ٢/٧).

٨. اللجوء إلى مصر

إلا أن الشيطان مضى يُنبئ بهذه الأمور هيرودس، جد أَرخلاوس. والحال أن هيرودس هذا كان الذي أمر بقطع رأس يوحنا، صديقي ونسيبي. فأرسل إذاً في البحث عني بعناية، متصوِّراً أن مملكتي من هذا العالم. لكن الشيخ الورع يوسف أُنذِر في الحلم. وإذ نهض، أخذ مريم، أُمي، التي حملتني بين ذراعَيها. وانضمّت صالومة إليهما لمرافقتهما في سفرهما. وراحلاً إذاً من منزله، لجأ إلى مصر. ومكث هناك خلال عام كامل، إلى أن سكن غضب هيرودس.

٩. العودة إلى الناصرة

ومات هيرودس بطريقة رهيبة، حاملاً جزاء الدم البريء الذي سفكه عندما أهلك ظلماً أطفالاً أبرياء من كلّ خطيئة. وحين مات ذلك الكافر والطاغية هيرودس، عاد والديَّ إلى أرض إسرائيل. وسكنا في مدينة من الجليل تُسَمّى الناصرة. واستأنف يوسف حرفته نجّاراً وكسب عيشه بعمل يدَيه؛ فلم يَدِنْ أبداً بطعامه لعمل سواه، كما تقضي شريعة موسى.

١٠. شاخ ولم يضعف

كانت الأعوام تمرُّ، وتقدّم الشيخ كثيراً في العمر. إلا أنه لم يعانِ أي عجز جسدي؛ ولم يفارقه البصر ولم تسقط أيٌّ من أسنانه من فمه. ولم يعانِ عقله أبداً أدنى ضعف. لكنه كان يحمل في كلّ انشغالاته، شبيهاً بطفل، عنفوان الشباب. وكان يحافظ على أعضائه كاملةً وخاليةً من أيّ ألم. إلا أن شيخوخته كانت متقدّمة جداً، لأنه كان قد بلغ مئة وإحدى عشرة سنة من عمره.

١١. طاعة يسوع

ومضى بار وسمعان، إبنا يوسف الأكبران، إلى عائلتَيهما، وقد تزوّجا، وكذلك ابنتاه، اللتان لجأتا إلى منزلَيهما. ولم يبقَ في منزل يوسف سوى يهوذا، يعقوب الصغير والعذراء، أُمي. ولبثتُ معهم كما لو كنت أحد أبنائه. أمضيت حياتي كلّها من دون أن أرتكب أيّ خطأ. كنت أدعو مريم أُمي، ويوسف أبي، وكنت خاضعاً لهما في كلّ ما كانا يأمرانني به. ولم أعصَهما في أيّ شيء، ممتثلاً لكلّ رغائبهما، كما يفعل الناس الآخرون الذين يولدون على الأرض. ولم أُسبِّب أبداً غضبهما، ولا واجهتهما بكلمة قاسية أو جواب أظهر حِدّة. بالعكس، كنت أُبدي لهما تعلُّقاً كبيراً وأُحِبُّهما كبؤبؤ العين.

١٢. جزع يوسف

وحدث أخيراً أن لحظة موت الشيخ الورع يوسف اقتربتْ، وآن الأوان الذي كان عليه فيه أن يغادر هذا العالم كما البشر الآخرون الخاضعون للعودة إلى التراب. وإذ كان جسده دانياً من التلف، أعلن له ملاك الربّ أن ساعة موته قريبة. إذاك استولى عليه الجزع، وسقط عقله في اضطراب عنيف. ومضى وقد نهض، إلى أُورشليم. وإذ دخل هيكل الربّ، ونثر صلوات أمام قدس الأقداس، قال:

١٣. صلاة الشيخ

«أللهمّ! مبدأ كلّ تعزية، إله كلّ رحمة وربّ الجنس البشري بأسره، إله نفسي، روحي وجسدي، أوجِّه إليك تعبُّداتي وصلواتي، يا إلهي وربّي! إذا كانت أيامي قد استُنفِدت وإذا كان الوقت الذي عليّ فيه أن أخرج من هذا العالم قد حلّ، أرسِلْ، أتوسَّل إليك، ميخائيل العظيم،

أمير ملائكتك. وليَبْقَ معي، لتخرج نفسي المسكينة من هذا الجسد الضعيف من دون ألم، من دون جزع ومن دون قلق؛ لأن ذعراً عظيماً وحزناً شديداً يستوليان على الأجساد كلّها يوم موتها، سواء كانت ذكراً أم أُنثى، بهائم حقول أم غابات، وسواء زحفت على الأرض أم طارت في الهواء. كلّ المخلوقات التي تحت السماء والتي تتحرّك فيها روح الحياة تُصاب بالرعب، بجزع عظيم ونفور شديد حين تخرج نفوسها من أجسادها. والحال هذه، يا إلهي وربّي! ليقدِّمْ ملاكك القدُّوس المساعدة لنفسي ولجسدي حتى يتمّ انفصالهما. ولا يتحوَّلْ عني وجه الملاك، المعيَّن لحراستي منذ اليوم الذي به كُوِّنتُ. بل ليكُنْ رفيقي ومرشدي حتى يكون قد قادني إليك. ليكُنْ لي وجهه مليئاً حبوراً وعطفاً، وليرافِقْني بسلام. لا تسمَحْ، يا إلهي! بأن تقترب الشياطين مني على الدرب التي يجب أن تقودني بسعادة إليك. ولا تسمَحْ لحرّاس الجنّة بأن يسدّوا مدخلها أمامي. ولا تعرِّضْني للخزي، وقد كشفتَ أخطائي، في مواجهة محكمتك الرهيبة. لئلا تنقضّ الأُسود عليّ. ولئلا تغمر أمواج بحر النار الذي عليّ اجتيازه حتماً نفسي قبل أن أتأمّل مجد أُلوهتك. اللهمّ! أيها الديّان العادل جداً، الذي يجب أن يدين الفانين بالعدل ويعامل كلّ واحد بحسب أعماله، أَعِنِّي برحمتك وأَنِرْ سبيلي لأصِل إليك. لأنك النبع الغزير لكلّ الخيرات وللمجد إلى الأبد. آمين.»

١٤. مرض يوسف

ثم حدث، بعدما عاد يوسف إلى دياره، في مدينة الناصرة، أنه أُصيب بمرض ولزم الفراش. وكان الوقت الذي عليه أن يموت فيه قد حلّ، كما هو مصير كلّ البشر. وكان يعاني ألماً حادّاً من ذلك المرض، وكان الأوّل الذي أُصيب به منذ يوم مولده.

والحال هذه، هاكم كيف شاء المسيح ترتيب الأمور الخاصة بيوسف: لقد عاش أربعين عاماً قبل أن يعقد زواجاً. وأمضت امرأته معه تسعة وأربعين عاماً، وعندما انقضت، ماتت. وبعد عام على موتها، عهد الكهنة إلى يوسف بأُمي، الطوباوية مريم، ليرعاها حتى زمن الزواج. ولبثت عامَين في منزله، وفي العام الثالث من إقامتها عند يوسف، وعمرها خمسة عشر عاماً، ولدتني على الأرض بسرٍّ لا يستطيع أي مخلوق أن يدركه ولا أن يفهمه، إلا أنا، وأبي والروح القدس، المكوِّنَين معي جوهراً واحداً وأوحد.

١٥. فقد ذهب الذكاء

وحدث موت أبي، ذلك الشيخ البارّ، هكذا في الحادية عشرة بعد المئة من العمر، كما قرّر ذلك أبي السماوي. واليوم الذي انفصلت فيه نفسه عن جسده كان اليوم السادس والعشرين من شهر أَبيب. فبدأ يفقد ذهباً ساطع البهاء، أي ذكاءه العلمي. وقرف الأطعمة والشراب، وفقد مهارته كلّها في فنّ النجارة. وحدث، في اليوم السادس والعشرين من شهر أبيب، أن نفس الشيخ يوسف البارّ غدت كأنها مضطربة فيما كان في سريره. لأنه كان يفتح فمه، مُطلِقاً تنهّدات وصافقاً يديه الواحدة بالأخرى. وصاح بصوتٍ عالٍ، متكلِّماً بهذه الطريقة:

١٦. الويل، الويل

«بئس اليوم الذي وُلِدت فيه! بئس البطن الذي حملني! بئس الأحشاء التي استقبلتني! بئس الثديَين اللذين أرضعاني! بئس القدمَين اللتين سندتاني! بئس اليدَين اللتين حملتاني وربّتاني إلى أن كبرت، فقد حُبِلَ بي في الإثم وولدتني أُمي في الخطيئة. والويل

للساني وشفتاي، لأنها تكلّمت ونطقت بكلمات باطل، وتجريح، وكذب، وجهل، وهزء، وتقلُّب وخبث! الويل لعينَيّ، لأنهما تأمّلتا الخزي! الويل لأُذُنَيّ، لأنهما كانتا تلتذّان بأحاديث النمّامين! الويل ليدَيّ، لأنهما أخذتا ما لم يكن ملكهما! الويل لبطني وإمعائي، لأنهما اشتهيا طعاماً كان تناوله مُحَظَّراً عليهما! الويل لحنجرتي التي كانت تستنفد كلّ ما تجده، شبيهةً بالنار! الويل لقدمَيّ اللتين غالباً ما سلكتا دروباً حرّمها الله! الويل لجسدي، والويل لنفسي العاصية الله، خالقها! ماذا أفعل حين أصل وجهاً لوجه إلى أمام الديّان الكلّي العدل، وحين يؤنّبني على الأعمال التي أكثرتُ منها في شبابي؟ الويل لكلّ إنسان يموت في خطاياه! تلك الساعة الرهيبة، التي سبق أن أصابت أبي يعقوب، حين طارت نفسه من جسده، هي ذي إذاً! إنها قريبة! أوّاه! كم أنا بائس اليوم ومستحقّ الشفقة! لكن الله وحده مرشد نفسي وجسدي؛ ليتصرَّفْ بهما وفق مشيئته.»

١٧. الشهادة بالربّ

تلك كانت كلمات يوسف، ذلك الشيخ البارّ. وأنا، إذ دخلت واقتربت منه، وجدتُ نفسه شديدة الاضطراب ومستسلمةً لقلق عظيم. فقلت له: «سلام، يا يوسف، يا أبي، أيها الرجل البارّ؛ كيف صحّتك؟» فأجابني: «السلام عليك ألف مرّة، يا إبني العزيز! لقد أحاط بي ألم الموت وخشيته؛ لكنني، ما أن سمعت صوتك، حتى استعادت نفسي السكينة. يا يسوع الناصري، يا يسوع مُعَزِّيّ، يا يسوع محرِّر نفسي، يا يسوع حامِيّ! يا يسوع، أيها الإسم العذب جداً في فمي وللذين يحبونه! أيها العين التي ترى والأُذن التي تسمع، استجِبْني. أنا، خادمك، أجلُّك اليوم بكلّ تواضع، وأنثر دموعي أمامك. أنت إلهي

أنت ربّي، كما أعلن لي الملاك ذلك غالباً جداً؛ إن نفسي كانت تموج متردِّدة، خصوصاً في ذلك اليوم عندما كنت، مضطرباً بأفكار سيئة، بسبب الطاهرة والمباركة مريم التي حبلت، أنوي ردّها سرّاً. وفيما كنت أُفكّر مليّاً بهذا المشروع، إذا بملائكة الربّ ظهرت لي، بسرٍّ باهر، خلال نومي وقالت لي: «يا يوسف، يا ابن داوود، لا تخشَ اتّخاذ مريم خطيبة لك، ولا تحزَنْ لأنها حبلت؛ حاذِرِ النطق حيالها بكلمات ذميمة، لأنها حبلى بالروح القدس، وستلد ابناً يَحمل اسم يسوع، وهو الذي سيفتدي خطايا شعبه. والآن لا توبِّخني على خطأي، يا ربّ، لأنني كنت أجهل أسرار الميلاد. إنني أتذكّر، يا ربّ، اليوم الذي هلك فيه طفل بلسعة حيّة! كان والداه يريدان تسليمك لهيرودس، متّهمَينك بأنّك أمَتَّه. لكنك أقَمْتَه من بين الأموات، وأعدتَه إليهما. إذاك قلت لك، وقد اقتربت منك، وأمسكتك باليد: «يا بُنَيّ، انتبِهْ إلى نفسك.» لكنك أجبتني: «أَلستَ أبي بحسب الجسد؟ سوف أُعلِّمك مَنْ أنا.» والآن، يا ربّي وإلهي، لا تغضَبْ عليّ، ولا تحكُمْ عليّ بسبب هذه الساعة. أنا عبدك وابن خادمتك؛ أمّا أنتَ، فربّي، وإلهي ومخلّصي؛ إنك بالتأكيد ابن الله.»

١٨. الموت الباب

بعدما تكلّم هكذا، لم يستطع أبي البكاء أكثر. ورأيت الموت يسيطر عليه. فقالت أُمي، العذراء بلا دنس، ناهضةً ومقتربةً مني: «يا ابني العزيز! إن هذا الشيخ والورع، يوسف، سوف يموت.» فأجبتها: «يا أُمي الحبيبة، إنه القانون العام لكلّ المخلوقات التي تولد في هذا العالم، لأن الموت نال حقّه الأكيد على الجنس البشري كلّه. وأنتِ، يا أُمي، وكلّ بقية الكائنات البشرية، عليكما توقّع رؤية انتهاء حياتكما.

لكن موتك، كما موت هذا الشيخ الورع، ليس موتاً حقيقياً، بل باب لدخول الحياة الأبدية والتي لا تعرف نهايةً. حتى الجسد الذي تلقَّيته منكِ خاضع كذلك للموت. إنما انهضي، يا أُمي، الجديرة بكلّ تكريم، واقتربي من يوسف، هذا الشيخ المبارك، لتري ما سيحصل في اللحظة التي تنفصل نفسه فيها عن جسده.

١٩. خروج النفس

ومضت إذاً، مريم أُمي البلا دنس، ودخلت الموضع الذي كان فيه يوسف، وكنت جالساً عند قدمَيه، ناظراً إليه. وكانت تظهر على وجهه علامات الموت. فنظر إليّ ذلك الشيخ المغبوط، رافعاً رأسه، مسمِّراً عينَيه فيّ. لكنه لم يكن يملك مطلقاً قوّة الكلام، بسبب ألم الموت الذي كان يُمسِك به مطوِّقاً؛ كان فقط يُطلِق تنهدات عظيمة. وأمسكت بيدَيه خلال سحابة ساعة كاملة. وكان هو، وقد أدار وجهه نحوي، يشير إليّ بألا أتخلّى عنه. وإذ وضعت على الأثر يدي فوق صدره، أخذتُ نفسه، وقد كانت قرب حنجرته، وعلى وشك الخروج من مأواها.

٢٠. وداع الشيخ

وعندما رأت أُمي، العذراء أبداً، أنني ألمس جسد يوسف، لمست قدمَيه. وقالت لي، وقد وجدتهما خاليتَين من الحياة ومثلِّجتَين: «يا بُنَيّ العزيز، إن قدمَيه بدأتا تبردان، وهما باردتان كالثلج.» وإذ جمعت أبناءها وبنتَيها على الأثر، قالت لهم: «تعالَوا، كلّكم طالما أنتم موجودون، واقتربوا من أبيكم، لأنه بلغ بالتأكيد أوانه الأخير.» فأجابت آسيا، إبنة يوسف: «الويل لي، يا إخوتي، فهذا هو المرض نفسه الذي ماتت به أُمّنا الحبيبة.» وكانت تبكي وتُطلِق صيحات ألم، وكلّ أولاد يوسف الآخرين ذرفوا أيضاً دموعاً. وأنا، ومريم، أُمي، كنا نبكي معهم.

٢١. الموت يقترب

ورأيت الموت يقترب، إذ التفتُّ نحو الجنوب، ومعه كلّ قوات الهاوية، وجيوشها وأتباعها. وكانت ثيابهم، وأفواههم ووجوههم تقذف ناراً. وعندما رآهم أبي يوسف آتين إليه، اغرورقت عيناه بالدموع. وفي الوقت نفسه، أطلق تأوُّهاً غير عادي. عندها، وقد رأيت عنف تنهداته، دفعتُ الموت وحشد خدّامه الذي كان يرافقه، وابتهلت إلى أبي الرحوم، قائلاً:

٢٢. إبتهال يسوع

«يا أبا كلّ رحمة، العين التي ترى، الأُذن التي تسمع! استمعْ إلى توسُّلاتي وصلواتي من أجل الشيخ يوسف، وتلطَّفْ بإرسال ميخائيل، أمير ملائكتك، وجبرائيل، بشير الضياء، وكلّ ضياء ملائكتك، وليَسِرْ موكبهم كلّه مع نفس أبي يوسف حتى يقودوها إليك. ها هي الساعة التي يحتاج فيها أبي إلى الرحمة. وأقول لك إن على كلّ القدِّيسين، وأكثر، كلّ البشر الذين يولدون في هذا العالم، سواء كانوا أبراراً أم أشراراً، أن يذوقوا الموت لا محالة.»

٢٣. كفن ساطع

وأتى ميخائيل وجبرائيل إذاً نحو نفس أبي يوسف. وإذ أخذاها، لفّاها بكفن ساطع. وأسلم الروح هكذا بين يدَي أبي الرحوم، ومُنِحَ السلام، ولم يعرف أيٌّ من أولاده أنه رقد. لكن الملائكة وَقَتْ نفسه شياطين الظلمات التي كانت على الطريق، وسبّحت الله، حتى قادتها إلى المكان الذي يسكن فيه الأبرار.

٢٤. دخول السلام الأبدي

إلا أن جسده ظل ممدّداً ومخطوف اللون. فقد أغمضتُ عينَيه، إذ قرّبتُ يدي منهما؛ وأقفلتُ كذلك فمه، وقلتُ لمريم العذراء: «يا أُمي، أين المهارة التي اكتسبها في فنّه خلال الوقت كلّه الذي عاشه في هذا العالم؟ لقد هلكت معه، وهي كما لو انها لم توجَدْ أبداً.» وحين سمع أولاد يوسف أنني أتكلّم مع أُمي، العذراء البلا دنس، عرفوا أنه قضى، فأطلقوا صيحات ألم، ذارفين دموعاً. وقلت لهم: «إن موت أبيكم ليس الموت، بل الحياة الأبدية. فهو وقد أُنقِذَ من مِحَنِ الزمن، دخل السلام الأبدي الذي لا يعرف نهاية.» وعندما سمعوا هذه الكلمات، مزّقوا ثيابهم وهم يبكون.

٢٥. لفّ الجسد

وبعض سكان مدينة الناصرة وقوم من كلّ الجليل، أتَوا إليهم، وقد علموا بحزنهم، وبكَوا من الساعة الثالثة حتى التاسعة. وفي الساعة التاسعة، مضَوا معاً إلى غرفة يوسف، وبعدما دهنوا جسده بأطياب ثمينة، أخذوه. وأنا، كنت أُوجِّه صلاتي إلى أبي السماوي. وهذه الصلاة هي التي كتبتها بيدي قبل أن أصبح في أحشاء العذراء مريم، أُمي. وما أن أنهيتها، وقلت آمين، حتى ظهر جمهور عظيم من الملائكة، فأمرت اثنين منهم بمدّ قماش ناصع، ولفّ جسد يوسف، الشيخ المبارك.

٢٦. تكريم يوسف

وقلت، مقترباً من يوسف: «إن رائحة الموت، رائحة الجثّة لن تسيطرا عليك، وما من دودة ستخرج من جسدك. لن ينكسر أيٌّ من

أطرافك، ولن تُنزَع أيُّ شعرة من رأسك، ولن يفنى أي جزء من جسدك، يا أبي يوسف؛ لكنه سيظل كاملاً وبلا فساد حتى وليمة العام الألف. وكلّ إنسان حرص على القيام بتقدماته يوم عيد ميلادك، سأُباركه وأُكافئه في محفل العذارى. وأي واحد أعطى طعاماً المعوزين، الفقراء، الأرامل واليتامى، ووزّع عليهم ثمر عمل يدَيه يوم الاحتفال بذكراك، وباسمك، لن يُعدَم هذا خيرات خلال كلّ أيام حياته. وأي واحد أعطى باسمك أرملةً أو يتيماً كوب ماء للارتواء، سوف أمنحه مشاطرتك إياه وليمة الألف عام. وكلّ إنسان حرص على القيام بتقدماته يوم عيد ميلادك، سأُباركه وأردّ له ذلك في محفل العذارى، وأردّ له ذلك ثلاثين، ستين ومئة لواحد. وكلّ واحد يروي قصة حياتك، تجاربك، انفصالك عن العالم، وهذه الكلمات الخارجة من فمي، أعهد به إلى حمايتك، طالما هو في هذه الحياة. وحين تفارق نفسه جسده، وعليه مغادرة هذا العالم، سوف أُحرِق كتاب خطاياه، ولن أؤلمه بأي عذاب يوم الدينونة؛ لكنه يجتاز بحر النار، ويعبره بلا وجع وبلا عقبة؛ إلا أن الأمر يكون مختلفاً جداً بالنسبة إلى كلّ إنسان جشع وقاس لا يتمِّم ما أمرتُ به. ومَنْ يولد له ابن، ويسمّيه يوسف، لن تكون له حصّة في العَوَز ولا الموت الذي لا ينتهي.»

٢٧. بكاء يسوع

ثم اجتمع أبرز سكان المدينة في المكان الذي وُضِعَ فيه جسد القدِّيس الشيخ يوسف. وإذ حملوا معهم لفائف قماش، حاولوا لفّه بحسب العادة الشائعة بين اليهود. لكنهم وجدوا أن كفنه ملتصق بقوّة بجسده إلى حد أنهم، حين حاولوا نزعه، ظل ملتصقاً، من دون إمكان تحريكه، وكانت له قساوة الحديد، ولم يستطيعوا أن يجدوا في هذا

الكفن أيّ خياطة تشير إلى أطرافه؛ وهو ما ملأهم دهشةً عظيمة. وأخيراً، حملوه إلى جوار المغارة، وفتحوا الباب ليضعوا جسده مع أجساد آبائه. إذاك تذكّرت اليومَ الذي كان يسير فيه معي نحو مصر، وفكّرت بكلّ المشقّات التي تحمّلها بسببي، وبكيت موته وقتاً كثيراً. وقلت، منحنياً فوق جسده:

٢٨. الموت والبشر

«أيها الموت الذي تدمِّر كلّ عِلْم وتسبِّب الكثير من الدموع والكثير من صيحات الألم، إنك بالتأكيد لم تتلقَّ هذه القدرة إلا من الله، أبي. إن البشر يهلكون بسبب معصية آدم وامرأته حواء، ولا يوفِّر الموت أيّاً منهم. لكن ما من أحد يمكن أن يُرفَع من هذا العالم من دون إذن أبي. ثمّة بشر امتدّت حياتهم حتى تسع مئة سنة؛ لكنهم زالوا. ومهما كان مديداً مجرى حياة البعض منهم، كلّهم ماتوا، وما من أحد استطاع أن يقول: «لم أذُق الموت.» وقد ارتضى أبي فرض هذا القصاص على الإنسان، وعندما رأى الموت أيّ أمر يأتيه من السماء، قال: «سوف أُناهض الإنسان، وأُحدِث حوله زلزلة عظيمة.» إن آدم إذا لم يخضع لإرادة أبي، وخالف أوامره، سلّمه أبي، غاضباً منه، للموت، وهكذا دخل الموت هذا العالم. ولو ان آدم تقيّد بأوامر أبي، ما كانت للموت سيادة عليه أبداً. أَتعتقدون بأنني لا أستطيع أن أطلب من أبي أن يُرسِل إليّ عربة من نار لأخذ جسد أبي يوسف، ونقله إلى مقرّ راحة حيث يسكن مع القدّيسين؟ لكن قلق الموت هذا وعقابه هذا أصابا الجنس البشري كلّه بسبب إخلال آدم بالأمانة. ولهذا السبب عليّ أن أموت بحسب الجسد، لا بسبب أعمالي، بل من أجل أن ينال البشر الذين خلقتهم نعمةً أمام الله.»

٢٩. الدفن

وإذ قلت هذه الكلمات، قبّلت جسد أبي يوسف، وبكيت عليه. وفتح الآخرون باب القبر ووضعوا جسده إلى جوار جسد أبيه يعقوب. وعندما رقد، كان قد أتمّ مئة وأحد عشر عاماً؛ ولم تسبِّب له أيّ سنٍّ أبداً أدنى ألم في فمه، واحتفظت عيناه بكلّ نفاذهما؛ ولم تنحني قامته، ولم تضعف قواه؛ وقد اهتمّ بمهنته نجّاراً حتى آخر يوم من حياته. وهذا اليوم كان السادس والعشرين من شهر أَبيب.»

٣٠. نعمة عظيمة

بعدما سمعنا مخلِّصنا، نهضنا نحن، الرسل، يملأنا الحبور، وقلنا، وقد حيّيناه بالانحناء طويلاً: «يا مخلِّصنا، لقد منحتنا نعمة عظيمة، لأننا سمعنا كلمات حياة. لكننا دهشنا لمصير أَخنوخ وإِيليا؛ لأنهما لم يكونا عرضةً للموت. إنهما يسكنان في مقرّ الأبرار حتى هذا اليوم، ولم يكن جسداهما عرضةً للفساد. إلا أن هذا الشيخ، يوسف النجّار، كان أباك بحسب الجسد. لقد أمرتنا بالذهاب في العالم أجمع للتبشير بالإنجيل المقدّس، وقلت: «أَعلِنوا لهم موت أبي يوسف، واحتفلوا، بأبهة مقدّسة، باليوم المخصّص لعيده. إن أيّ واحد يحذف شيئاً ما يرتكب خطيئة.» ونحن مفاجأون أيضاً بأن يوسف، منذ اليوم الذي وُلِدتَ فيه في بيت لحم، دعاك ابنه بحسب الجسد. لِمَ إذاً لم تجعله خالداً، كما هما أَخنوخ وإِيليا؟ إنك تقول مع ذلك إنه كان بارّاً ومختاراً.»

٣١. الأجساد الأربعة

إذاك أجاب مخلِّصنا وقال: «إن نبوءة أبي تمّت بآدم بسبب معصيته، وكلّ الأمور تتمّ بحسب إرادة أبي. إذا عصى الإنسان الله؛

إذا أتمّ أعمال الشيطان بارتكاب الخطيئة، يتمّ عمره؛ إنه يُحفَظ حيّاً ليتمكّن من التكفير، وتحاشي تسليمه ثانيةً للموت. وإذا فعل، على العكس، حسنات، فإن فسحة حياته تمتدّ، لينسج الأبرار على مثاله، وقد تنامى مجد شيخوخته. حين ترَون إنساناً عقله سريع الغضب، اعلموا أن أيامه ستُختصَر؛ لأنها هي التي تُنتزَع من زهرة عمرها. إن كلّ نبوءة نطق بها أبي وتتعلّق بأبناء البشر يجب أن تتمّ في كلّ شيء. أما في ما يخصّ أَخنوخ وإيليا، فهما لا يزالان حيَّين اليوم، محتفظَين بالجسدَين نفسهما اللذين وُلِدا فيهما. وأما أبي يوسف، فلم يُعْطَ، كما هما البقاء في جسده؛ وحتى لو ان إنساناً عاش أعواماً لا تُحصى على هذه الأرض، سوف يُرغَم أيضاً على مبادلة الحياة بالموت. وأقول لكم، يا إخوتي، إن على أَخنوخ وإيليا أن يعودا إلى هذا العالم في نهاية الأزمنة، ويفقدا الحياة يوم الحزن، القلق، الأسى والزلزلة العظيمة؛ لأن المسيح الدجّال سيقتل أربعة أجساد، ويريق الدم كالماء، بسبب الخزي الذي عليهم تعريضه له، والعار الذي يصيبونه به، وهم أحياء، حين ينكشف كفره.»

وصحنا نحن: «يا ربّنا، وإلهنا ومخلّصنا! ما هي تلك الأجساد الأربعة التي قلت إن المسيح الدجّال عليه أن يُهلِكها، لأنها ستقاومه؟» فأجاب المخلِّص: «إنها أَخنوخ، إيليا، شيلا وطابيتا.» وعندما سمعنا كلمات مخلِّصنا، فرحنا واستسلمنا للحبور، وقدّمنا كلّ تسبيح وشكران لربّنا، وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح. فإليه يعود المجد، والإكرام، والعزّة، والسيادة، والبدء والمديح، كما إلى الآب الرحوم معه والروح القدس، المحيي الآن وفي كلّ أوان وإلى أبد الآبدين. آمين.»

قصة نياح مريم

او «رقاد مريم للمزعوم يوحنا» هو أحد نصوص عدة في «انتقال مريم»، يتحدث عن رقادها وصعودها. هذه النصوص وُجِدت في السريانية، اليونانية، العربية، الحبشية، اللاتينية، الجورجية، الأرمنية والسلاقية. زاد من تأثيرها الهائل في كنيستَي الشرق والغرب ان العهد الجديد لا يذكر نهاية مريم.

منسوب في المخطوطات إلى القدِّيس يوحنا الإنجيلي أو القدِّيس يوحنا اللاهوتي. أبرز النصوص الآنفة. حُفِظ في اليونانية واللاتينية والعربية والجورجية والسلاقية، وربما السريانية. تبدو اليونانية لغته الأصلية. ثمة تعديلات على الأصل في اللغات الأخرى. في الإحصاء اليوناني أكثر من ستين مخطوطاً، نُسِخت بين القرنَين الثامن والسابع عشر م. مأخوذ من نص سرياني على ما يبدو للبعض.

يعود إلى القرن الرابع أو السادس م. وربما قبل ذلك. شهد انتشاراً واسعاً في الكنيسة اليونانية لأنه الوحيد الذي استُنِد إليه في

القراءة الليتورجية يوم ١٥ آب، عيد رقاد العذراء مريم. في أساس عقيدة عرفتها الكنيسة اليونانية في القرن التاسع م. تقول بصعود منفصل للنفس وللجسد، من دون اتحادهما ولا قيامة. لعب دوراً كبيراً في الشرق والغرب في تحديد إيقونوغرافيا رقاد مريم وصعودها. وهو غير منزَّه من الأثر الغنوصي[١].

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد الذي أضع فيه ثقتي.

هذه هي قصة السيِّدة البلا عيب، مريم، أُمّ النور، عندما انتقلت من هذه الدنيا إلى ملكوت السماوات المُعَدّ لها وللمؤمنين، وهذه هي رواية المعجزات التي قامت بها في ذلك الوقت، وكيف ظهر لها ربّنا يسوع المسيح مع ملائكته، ومع كلّ الأنبياء والرسل. لتظل صلاتها فينا جميعاً. آمين. إن يوحنا، ابن زبدى، الإنجيلي، الذي تكلّم بإسهابٍ في الأُلوهة، ينقل هذه القصة، فلتحفَظْ صلواته كلّ أبناء المعمودية. آمين.

١. الهداية بنعمة الروح

يقول يوحنا، ابن زبدى، الرسول، في فصله الأول: سلام للربّ الذي، بتأثيرٍ من مشيئته، أرسل إلى العالم ابنه الحبيب، ليفتدي البشر

١ ـ **الغنوصية** حركة دينية فلسفية تقول بأن الخلاص يعتمد على المعرفة الكاملة والسريّة لله. لهذا هي خاصة فقط بالعارفين "العقّال"، الذين عليهم ان يتجرَّدوا من الجسد وتعاطي المادة، لينصرفوا كلّيّاً إلى المعرفة والتأمُّل والهذيذ الروحاني.

والذي أعدّ نوراً ساطعاً في أحشاء عذراء، صنع منها، مرتدياً جسداً، موضوع محبّته ولذّاته، والذي أعطى الذين خلقهم ما له علاقة بفائدتهم، وخلاصهم وفدائهم، الذي هداهم بنعمة الروح القدس، مُلهِماً إياهم الحكمة والمعرفة الروحية للإله الواحد الذي لا نستطيع إحصاء رحمته، ولا عدّ مدائحه، ولا فهم طبيعته، ولا إدراك أبديته، الذي في نور عرشه، يفوق كلّ الذين خلقهم، الذي يضمّ كلّ ما هناك من أعلى وكلّ ما هناك من أدنى، الذي تُتِمّ قدرته كلّ ما يشاء، الذي يعرف كلّ الأمور قبل أن تحصل، الذي أسّس، في حكمته، كلّ ما صنع، الذي يمنح مجاناً خبراته للذين يبتهلون إليه، الذي، عندما يُتِمّ أمراً ما، لا يعاني أيّ تعب ولا يشعر بالحاجة إلى التبصُّر، الذي لا يتغيّر، لا يزيد، ولا ينقص؛ إننا نبتهل إليه ليفتح لنا أبواب رحمته، من أجل أن يتقبّل صلواتنا، ولتروق رائحة بخور اجتماعنا أمام عرش جلاله الساطع؛ ليمنح أبناء كنيسته، سنداً في جهادهم، ملائكته السماويين الذين ينفخون في الأبواق، ويقفون أمامه، في الترتيب والتقسيم الذي وُضعوا فيه، مسبِّحينه وقائلين بصوتٍ رخيم: «قدُّوس، قدُّوس، قدُّوس هو الربّ، إله الجنود.»

وقال القدِّيسون، والشهداء، والأنبياء: «مبارك الربّ الذي أرسل ابنه، خارجاً من بهاء نوره»؛ لقد ظهر للعذراء مريم، وإذ اتّخذ جسداً، وُلِد منها في بيت لحم، واتّخذ مثل حجابٍ، هيئة عبد، وقاسى المحنة، ليعلِّم الصبرَ التعساءَ الذين هم في الأسى، وليعزِّيَهم. ولم يخشَ أن يكون مسافراً على الأرض، ليفتدي الذين يبحثون عنه بثقةٍ ومشاعر لائقة، ليحذِّر الذين هم متقاعسون من خدّامه، ليُقلِعوا عن خطاياهم. وأظهر ضعف إنسانيته ليطرد الشيطان إلى خارج الجنس البشري، وليخلِّص البشر من الإثم ويحقِّق مواعيده؛ لقد ارتفع الصليب، ومات

وقُبِر، ليَتِمَّ ما رتَّبه في شأن الأجساد في جسده الخاص، وأظهر قدرته ضد الشيطان، متمِّماً النبوءات القديمة: وفي اليوم الثالث، قام، معلِّماً القيامة الذين كانوا يجهلونها، وبعد أربعين يوماً، صعد إلى السماء، ليُبدي عظمته لمخلوقاته، وهو جالس في حضن الآب، الأبدي منذ البدء، على عرش جلاله، لابساً جسداً، والعيون التي ترغب في رؤيته سوف تمتلىء من بهاء مظهره.

٢. عمانوئيل

لنحتفِلْ بحضوره، عندما نُقِلت أُمه إلى المقرّ الذي أعدّه لاصفيائه وأحبائه، والذي لا يجب أن يتوقّف عن الوجود أبداً؛ لنعترِفْ بقدرته، لنقترِبْ من ملائكته السماويين ومن أصفيائه الأرضيين، الآباء، الأنبياء، الرسل، الشهداء، المؤمنين الأحياء والأموات؛ لنُحَيّ تلك التي رُفِعت فوق النساء جميعاً، العذراء البلا عيب؛ لنعبُدْ ذلك الذي اتّخذ منها جسداً، لئلا تستحيل أُلوهته، ولا إنسانيته طبيعةً وجوهراً أُخريَين، بل، كما قال النبي أَشعيا، ليكون مثل نخلةٍ خارجةٍ من أرضٍ قاحلة. وهذا النبي قال أيضاً: «ها إن عذراء ستحبل وتلد ابناً، ويكون اسمه عمانوئيل، أي: الله معنا.»

٣. ومريم

إن مريم المصطفاة طُهِّرت من أحشاء أُمّها، التي ولدتها بعفّةٍ وقداسة، ومثل عروس خارجة من المخدع الزوجي، أعادت الحمل الذي ضلّ عن الراعي الصالح: انتزعت الحمل من شدق الأسد المفترس والماكر الذي كان يريد التهامه؛ وبنور الإيمان، قادت الجنس البشري إلى إنجيل خالقه، مُخرِجةً إياه من ظلمات الغفلة والإهمال:

ودبّرت لأُمّتها طريقاً مستقيمة ومنفذاً واسعاً جداً نحو الرحمة الإلهية، مزوِّدةً إياها بثمرة سكينة عذبة، إبادة الأشواك، حرق الزؤان، هرب الأرواح الشريرة، إفناء سلطان الموت، هزيمة الشياطين العصاة، التنزُّه من الحزن في مجلس الأبرار، باسم ذلك الذي وُلِد منها، الذي باسمه يجدر تقديم قرابين طاهرة، والذي على كلّ تَعِسٍ، في هذا العالم، أن يلتمس مساعدته. إسمعوا، أيها الأصدقاء الأصفياء والإخوة القدّيسون، كيف تمّت هذه القصة الملأى معجزات باهرة.

٤. كاهنان وشمّاس

كان كاهنان وشمّاس على جبل سيناء المقدَّس، الذي ظهر على قمّته الله (جُلّ ذكره) لموسى، وكلّمه في أبناء إسرائيل، وقام عبره بمعجزات عظيمة.

كان اسم أحد الكاهنَين داوود، واسم الآخر، يوحنا؛ واسم الشمّاس فيليبُّس. وكانوا يخدمون على المذبح، وهناك من دونهم ثلاث مئة وعشرون مذبحاً على الجبل المقدَّس. وقد كتبوا إلى سرياكوس، أُسقف أورشليم، راجينه أن يُرسِل إليهم قصة مريم، وكيف خرجت من هذا العالم، وسألوه أن يعرِّفهم إلى المجد والمعجزات التي تمّت آنذاك. وإذ قرأ رسالتهم، استدعى الأُسقف القدّيس خدّام الكنيسة، وسألهم، وقال: «هيّا أَحضِروا الكتب.» فلم يجدوا سوى كتاب بيد يعقوب، أخي الربّ، أُسقف أورشليم، الذي كان أول مَنْ قتله اليهود.

٥. القصة عند يوحنا

في العام ٣٤٥ للإسكندر، يوم ولادة ربّنا وهو يوم الشمس، اليوم الخامس عشر من شهر آب أو أُوغسطوس، خرجت العذراء مريم من

هذا العالم، في حضور ربّنا يسوع المسيح وحضوري، وقد توجّه كلّ الملائكة وكلّ الخليقة إلى مسكنِها في بيت لحم وفي جَتْسَمَاني، قبل أن تموت. واعلموا أن الفصول الستة التي دُوِّنَت فيها قصة العذراء البلا عيب مريم وانتقالها وكلّ المعجزات التي صنعتها، هي عند يوحنا، ابن زبدى، الإنجيلي، الذي أحبّه يسوع المسيح ربّنا، وأن الرسل، رفاقه، وقّعوا بشهادتهم على أن ما رواه كان صحيحاً. وردّوا على الرسائل الآتية من جبل سيناء، وأكدوا أنهم لم يجدوا قصةً، بل وجدوا، استناداً إلى وصيّة يعقوب الأُسقف، أن هذه القصة كانت في أَفسس، عند الرسول يوحنا. ورجَوهم أن يضعوا لاستخدامهم نسخةً من ذلك الكتاب لتكون في حوزتهم في أُورشليم، حيث يستعملونها لدحض اليهود، وكلّ واحد يُسِرُّه سماع قراءته، ويلبثون في كلّ وقت في صلواتهم. وإذ نُقِلت الرسالة إلى جبل سيناء، كتبوا على الفور إلى أُسقف روما وإلى أُسقف الإسكندرية، وأرسلوا إليهما مبعوثين، وسعَوا إلى الحصول لديهما على القصة، وإذ لم يجدوها، أرسلوا رجلَين إلى أَفسس.

٦. أمر مريم

وعندما وصلا إليها، لم ينقطعا عن تقديم البخور خلال الليل لأُم ربّنا يسوع المسيح، قائلَين: «يا يسوع المسيح، يا ربّنا، لقد اخترت الرسول يوحنا، وأحببته أكثر من رفاقه، وأخفيته عن عيون البشر، عندما قلت: "سوف يحفظ لي الإيمان." نرجوك أن تُظهره لنا، ليتكلّم معنا، ويُلَقِّننا قصة أُمّك مع المعجزات والآيات التي تمّت من أجلها وباسمها، عندما نقلتها إلى الجنّة الأبدية، لتتمّ مشيئتك.» حدث ذلك في اليوم الخامس والعشرين من شهر كَنان، يوم ميلاد الربّ يسوع

المسيح، في العام ٣٤٥ للإسكندر. عندما ظهرت العذراء البلا عيب مريم ليوحنا، قائلةً: «يا بُنَيّ، أعطِ كتابك الذي يحتوي قصة خروجي من هذا العالم لهذَين الرجلَين الآتيَين إليك من جبل سيناء، ليكون ذلك لله موضع مجد.» وكان في كنيسة يوحنا في أَفسس سبيلٌ من المعتاد الذهاب إليه للاغتسال وطلباً للصحة، وكان يتدفّق نبع يشفي كلّ الذين كانوا يأتون إليه باسم يسوع. وعلى الفور ظهر الرسول للمبعوثَين وقال لهما: «سلام، يا أخوَيّ الحبيبَين؛ لا تحزنا، لأن ربّنا يسوع المسيح، عندما كان على خشبة الصليب، قال لي هذه الكلمات في شأن العذراء مريم: "ها هي أمك، خُذْها إلى جوارك." وقال لها: "إذهبي معه." إن الله سوف يكافىء عملكما وجهدكما، وسأُعطيكما القصة التي في حوزتي كاملةً.» وعندها اختفى من أمامهما. ودخلا الكنيسة التي كانت أبوابها مفتوحة، وعندما أقبلا إلى جوار السبيل، وجدا على المذبح كتاباً، فأخذاه بفرحٍ فائق، وأعطياه لرجلٍ ليتلوه على الجمع، وكانت شهادة الآباء، والأنبياء والرسل الآخرين مكتوبةً فيه بالعبرية، واليونانية واللاتينية.

٧. غضب اليهود

باسم الله، ربّنا، ويسوع المسيح، إلهنا ومخلّصنا، المولود من الآب قبل كلّ الدهور والمتجسّد من مريم، العذراء البلا عيب، ليكون شبيهاً بالبشر، راغباً في تخليص العالم من قدرة الشيطان العاصي؛ هو الذي، بنور أُلوهته الرائع، خلّص الجنس البشري من ظلمات التمرُّد، الأمر الذي لم يكن يستطيع أحد فعله، إلا إله السماء والأرض وكلّ ما تحتويانه. لتنزلْ رأفته ورحمته على الذين خلقهم بيده، لينال الذين يؤمنون به الحياة الأبدية في الجنّة الأبدية. من المُحقِّ كذلك تعظيم أُمه

الرائعة والكاملة، التي حُجِبت عن البشر عندما عاشت وعندما انتقلت إلى الذي لم تَرَه أي عين، ولم تسمع به أي أُذن، ولم يستطع إدراكه عقل الإنسان؛ إننا نرجو وننتظر شفاعة مريم، لبلوغ المقام الساطع والمجد الدائم. ويا إخوتي الأعزاء جداً، أيها المغبوطون والمختارون، أنتم الذين انتقلتم من ظلمات المعصية والتمرُّد إلى نور الطاعة والخضوع، نؤكد لكم أن العذراء البلا عيب، مريم، خرجت في العيد الثالث، ظهراً، من منزلها وذهبت إلى قبر المسيح وإلى الجُلْجُثَة، لتصلّي وتطلب الخلاص كما كانت تفعل كلّ يوم. لكن اليهود قالوا، وقد دحرجوا حجراً ضخماً على باب القبر: «لا نحتمل أن يأتي أحد ليصلّي عند المدفن وعلى الجُلْجُثَة»، وكانوا يصدّون كلّ الذين يرونهم، ويرشقونهم بحجارة، وأخذوا صليب المسيح وصليبَي اللصَّين، والحربة التي طُعِن بها ربّنا، والثياب التي كان مكسواً بها، والمسامير وإكليل الشوك الذي ثُبِّت على رأسه، والأقمشة التي لُفَّ بها عندما قُبِر، وخبأوا كلّ هذه الحوائج في موضع ما، وكتموا الأمر، وكانوا يمنعون المرور من هناك، خشية أن يأتي ملِكٌ ما ويستعلم عن ذلك.

٨. إبتهال مريم

لكن الحرّاس كانوا يرَون العذراء تأتي كلّ يوم إلى القبر وعلى الجُلْجُثَة، وتذرف هناك دموعاً وتقول، ووجهها خارٌّ إلى الأرض ويداها مرفوعتان: «يا ربّي وإلهي، أبعِدْني عن هذا العالم الشرير، لأنني أخشى أن يقتلني اليهود أعدائي؛ في كلّ مرة آتي لأُصلّي في هذا المكان المقدَّس، يشتمونني ويهدِّدونني؛ وقد قدّموا لي بسببك ماء المحنة، يدفعهم لؤمهم الطبيعي، لكنني انتصرت عليهم؛ وتغلّبت على مكائدهم، ودحضتهم بكلماتي بسبب إيماني بك، وأعمَتْ قدرتك

عيونهم وأربكت عقولهم، ولم يستطيعوا أن يؤذوني؛ لذا لا تحرمني معونتك.»

٩. إستجابة يسوع

وإذ دخل الحرّاس المدينة، قالوا للكهنة: «ما من أحد يأتي ليصلّي إلى جوار القبر وعلى الجُلْجُثَة إلا مريم، التي تأتي إلى هناك، كلّ يوم، صباحاً ومساءً.» فأجاب الكهنة: «عندما تأتي، أوسِعوها ضرباً بالحجارة، لأنها تستحق أن تُرجَم، لأن الخزي يصيب أبناء إسرائيل.» لكن الحرّاس قالوا: «لن نفعل ذلك، بل نسلّمكم إياها لتفعلوا بها ما تشاؤون.» وحين حلّ نهار الجمعة، ذهبت كعادتها، وعندما كانت تصلّي، رفعت عينَيها إلى السماء ورأت أبواب السماء مفتوحة. وإذا بجبرائيل، أمير الملائكة، نزل نحوها، وقال، منحنياً أمامها: «السلام عليك، يا ممتلئة نعمة؛ إن صلواتك بلغت الربّ يسوع المسيح المولود منك؛ لقد استجاب طلبك وأرسلني لأُبشِّرك بأنك سوف تُخطَفين من هذا العالم للانتقال إلى الحياة الأبدية إلى دهر الداهرين. آمين.»

١٠. رسالة أبجر

وإذ سمعت هذه الكلمات، امتلأت العذراء مريم حبوراً، وبعدما سجدت، عادت إلى مسكنها. عندها روى الحرّاس للكهنة، وقد خرجوا، أنها جاءت لتصلّي. وحدثت حيال ذلك جلبة في أُرشليم. وجاء الكهنة إلى الحاكم وقالوا له إن عليه أن يُرسِل إليها ويمنعها من التوجُّه إلى القبر والصلاة هناك. وعندما كانوا يتشاورون في هذا الموضوع، وصلت رسالة من أَبجر، ملك الرّها، إلى الملك طيباريوس، يقول فيها: «عندنا رسول يُعلِن عن نفسه أحد تلاميذ يسوع المسيح

الاثنين والسبعين، وقد شفى مرضى كثيرين، وصنع آيات باسم هذا المسيح؛ وبنى كنيسة، وكثيرون منحوه إيمانهم، وأرشدوني إلى مَنْ كان هذا المسيح وأي معجزات صنعها عندنا، بحيث أن محبّته حلّت في قلبي، وكنت أودّ رؤيته قربي أو في أقاليمي، وقد أحسست بألمٍ عظيمٍ لما فعله به اليهود ولأنهم صلبوه، على رغم أنهم لم يجدوا أي سببٍ ملامة ضده، لأنه صنع بينهم أموراً كثيرة صالحة وعجائبية. وقد جئت مع كلّ رفاقي إلى أُورشليم لأُدمِّرها وأُهلِك كلّ اليهود الذين فيها، لتُصيب منهم ثأراً تاماً. ولكن عندما جُهِّزت الحملة، خطرت في بالي فكرة وخشيت أن تغضب مني، أنت، طيباريوس، مليكي، وأن تستعر الحرب بيننا؛ لذا رأيت من الموافق أن أكتب إليك لأطلب منك، كما يليق بين ملوك، أن تعاقب اليهود وتقاصصهم على ما فعلوا. فلو عرفتَ ذلك قبل أن يُصلَب يسوع المسيح، لجرى الأمر في شكل مختلف جداً، لكنك تجهل سبب تصرّفي كما أقول لك؛ إنني أُفضِّل أن تكون أنت مَنْ ينفِّذ التعهُّد الذي التزمت به وأن تقاصص المذنبين بالقيام بما كنت مستعداً له. لديّ الثقة بذلك وأشكرك عليه.» وعندما قرأ الملك طيباريوس رسالة أَبجر، استولى عليه الرعب والغضب، واضطرب بشدّة وفكّر بإهلاك كلّ اليهود، وكتب في هذا الشأن إلى حليفه.

١١. ذعر اليهود

وعندما علم سكان أُرشليم بهذا النبأ، امتلأوا ذعراً ولجأوا إلى الحاكم، ورجَوه وقد أعطَوه مبلغاً ضخماً من المال، أن يتصرّف بحيث لا يصيبهم أي مكروه بسبب مريم وابنها، والحؤول دون أن تُدَمَّر أُورشليم إلى الأبد. وقالوا له: «لقد أهلكناه وبحق، لأنه كان يدّعي بأنه

ابن الله»، وارتمَوا عند قدمَي الحاكم راجينه أن يعمل ما هو لخلاصهم وخلاص مدينتهم، ومتوسّلين إليه أن يكتب للملك ويعرض قضيتهم للحصول على حكم أخَفّ، وسألوه أن يذهبوا إلى مريم ليُنذِروها بالكفّ عن الذهاب إلى القبر وتلاوة صلواتها على الجُلْجُثَة؛ وكانوا ينوون أن يقطعوا هكذا أصل الشر. فقال لهم الحاكم: «إذهبوا وتصرّفوا برفقٍ حيالها، وقولوا لها ما ترَونه مناسباً.»

١٢. وساطة الكهنة

عندها ذهب الكهنة إلى مريم وقالوا لها: يا مريم، تذكّري الخطايا التي ارتكبتها أمامْ الله وما عانيناه بسببك وبسبب ابنك؛ إننا نرجوكِ عدم الرغبة في المجيء أكثر إلى ذلك الموضع، لئلا يحلّ الارتياب، بسببك، على أشخاص آخرين وليتوقّف الشر؛ عندما تريدين أن تصلّي، صلّي مع الجمهور وتقيّدي بشريعة موسى، لأن كلّ الخطايا التي ارتكبتها تُغفَر لك. إننا سنبتهل إلى الله ليُشفِق عليك؛ إجمعي حولك رفاقك كلّ يوم سبت، وسنضع على رأسك كتاب الشريعة، لتسكنك رحمة الله؛ لن نتخلّى عنك وعندما تمرضين، ننفخ في البوق، فتشفين. وإذا لم تُنصتي إلينا وإذا كنت لا تريدين أن تفعلي ما نقترحه، فاذهبي من أُورشليم إلى بيت لحم، لأننا ما عدنا نحتمل مجيئك أكثر للصلاة على الجُلْجُثَة وقرب القبر، خوفاً من أن يرتاب أشخاص آخرون ويقوم صخب بين الناس.»

١٣. الذهاب إلى بيت لحم

وأجابتهم مريم، العذراء البلا عيب، وقالت: «من غير اللائق أن تتوجّهوا إليّ بهذا الكلام؛ إنني لن أُنصِت إليكم ولن أتقيّد برغبتكم.»

عندها ابتعد اليهود عنها، غاضبين جداً، إذ أن المساء قد حلّ. وصباح الغد عادوا إليها وكرّروا ما قالوه. عندها وعدتهم بالتوجُّه إلى بيت لحم ليهدأ الصخب. وكان منزلها قرب صهيون وقرب منزل يوسف. وعندما انقضى أربعون يوماً، جمعت العذراء مريم قربها كلّ نساء الجوار وقالت لهن: «السلام عليكن، يا أخواتي، أريد الذهاب إلى بيت لحم والإقامة في منزلي هناك، لأن اليهود منعوني من الذهاب للصلاة قرب القبر وعلى الجُلْجُثَة، خوفاً من أن يقوم صخبٌ بسببي. فإذا أرادت إحداكنّ الذهاب معي، فلتأتي لأنني أثق بالربّ الذي في السماء والذي يحقِّق مواعيده، وأنا متأكِّدة، من أنني إذا سألته أمراً ما، فسوف يمنحه لي ولكن.» وتأمّلت في عقلها في كلمة جبرائيل وفي الخطاب الذي وجّهه إليها: «سوف تخرجين من هذا العالم للذهاب إلى الحياة الأبدية ولدخول الجنّة»؛ وكانت تجد تعزيةً في هذا التأمُّل.

١٤. عذارى يتبعن مريم

إذاك دنت منها ثلاث عذارى قديسات، كن يخدمنها ويعتنين بما يخصُّها، وقلن لها: «سوف نذهب معك ولن نفارقك، لأننا نرغب في الحياة والموت في خدمتك؛ من أجلك تركنا عائلتنا، واخترناك وتبعناك لنحصل، بوساطتك على خلاص الربّ الذي وُلِد منك، ونعمته ورحمته.» واقتبلتهن مريم وباركتهن. كانت تحبُّهن كثيراً، ولبثن في خدمتها، ورجَونها أن توضح لهن كيف استطاعت أن تحبل من دون علاقة برجل وتلد من دون أن تتلف بكارتها. وبسبب الحب الكبير الذي كانت تُكِنُّه للعذارى الثلاث، شرحت مريم لهن هذا السرّ، وكانت موضع تقدير كبير في نظرهن. وكن ينمن أمام سريرها، ويعاين ليل نهار معجزاتها العظيمة. وأولى المعجزات التي كن شاهدات عليها،

رائحة عذبة جداً كانت تفوح وتملأ الموضع الذي كانت فيه. وفي كلّ مرة يأتي إليها أُناس مصابون بمرض أو عاهة، كانت تباركهم، وعندما يسجدون أمامها ويقبِّلون قدمَيها، يتخلّصون من كلّ ألم، بعد أن تصلّي من أجلهم، وكانت تصدر ثناءات عظيمة في حقّها. وعندما كان الأمر كذلك، إذا بالملاك جبرائيل يأتي إليها، ليلاً، ويقول لها: «تشجّعي، أيتها الطوباوية مريم، ولا تخافي، إذهبي إلى بيت لحم وامكثي في هذه المدينة إلى أن تعاينى الربّ.» وإذ حلّ النهار، جمعت العذارى الثلاث وقالت لهن: «أُخرجن، يا بناتي»، وانطلقن، وقد حملن المبخرة والبخور. وكان اسم أولئك العذارى **(هنا فراغ في النص)**. وكان يوم العيد الخامس عندما توجّهت مريم إلى بيت لحم مع العذارى الثلاث.

١٥. طلب الرسل

وإذ حلّ يوم الجمعة، مرضت العذراء مريم، فصلّت وقالت، وقد تناولت البخور والمبخرة: «يا ربّي وإلهي الأبدي، يسوع المسيح، أنت الذي في السماوات، أنت الذي جعلت خادمتك أهلاً لتأخذ منها الجسد البشري من أجل الظهور في هذا العالم بإنسانيتك بفعلٍ من مشيئتك، لتستطيع العقول إدراكك ولتستطيع العيون رؤيتك، ليؤمن البشر بأن أُلوهتك نزلت في الجسد وليخلصوا من خطاياهم، أَنصِتْ إلى صلوات أُمك وأَرسِلْ إليّ يوحنا الصغير، حبيبك، الذي بشّر العالم بوصاياك؛ إجعلني اغتبط عند رؤيته وأَرسِلْ أيضاً كلّ رسلك وأحبّائك، الأنبياء والمختارين، الأحياء والأموات، لأغتبط عند رؤيتهم، قبل أن أُغادر هذا العالم، لأنني أعلم أنك على كلّ شيء قدير وسوف تهبني ما أتوق إليه.»

١٦. خطف يوحنا

وعندما كفّت عن الكلام، إذا بسحابة رائعة تخطفني، أنا، يوحنا، إلى خارج أفسس. وإذا بالروح القدس يقول لي: «يا يوحنا، إن أُم ربك تريد أن تراك قبل أن تخرج من هذا العالم. إذهَبْ إلى جوارها في بيت لحم، وسوف أُخطِر رفاقك الأحياء كما الأموات، ليذهبوا إلى هناك أيضاً.» عندها شعرت بأنني محمول من تلك السحابة المنيرة، وكان يبدو لي أنني أمشي على الأرض، وفجأةً وجدت نفسي عند باب المنزل الذي كانت فيه العذراء مريم. وإذ فتحت الباب، دخلت. وإذا بها راقدة في السرير وتصلّي. وحين أنهت صلاتها، تقدّمت إليها، وصحت وقلت، وقد قبّلتها على صدرها وركبتَيها: «السلام عليك، يا أم الله، المحظوظة بين النساء؛ لا تحزني، لأنك، مغادرةً هذا العالم الزائل، سوف تنتقلين بكثير من المديح والمجد إلى الحياة الأبدية.» وأحسّت بحبور عظيم عند رؤيتي، وجلست وأوضحت لها ما حدث لي؛ واقتربت بعد ذلك من العذارى وباركتهن. ثم قالت لي: خُذِ البخور وصلِّ من أجلي.» ففعلت ذلك وقلت، وقد انحنيت: «يا ربّي وإلهي يسوع المسيح، أَظهِرْ معجزات أُمك وأَخرِجْها من هذا العالم بمجدٍ عظيم كما وعدتها بذلك، وأَرِها مجدك وبهاءك مع مختاريك، ليغتبط المؤمنون ويسبّحوك، وليمتلِئْ هلعاً الذين صلبوك ونكروا أنك المسيح، ابن الله، ولتشهَدْ لأُمك السماء والأرض، أنت الذي يليق بك التسبيح والمجد في كلّ الدهور. آمين.»

١٧. تعزية يوحنا

وحين أنهيت صلاتي، قالت لي العذراء مريم: «أيها القدِّيس يوحنا، إن معلِّمك وعدني بأنه سيظهر لي، عندما يجب أن أُغادر هذا العالم،

مع ملائكته ومختاريه، وأنني سوف أغادر هذه الأرض مع هذه المواكبة المجيدة.» فقلت: «سوف يأتي لتريه، وسوف يفي بكلامه.» عندها قالت: «يا يوحنا، إن اليهود قرّروا أن يأخذوا جسدي ويُتلِفوه بالنار عندما أكون قد خرجت من هذا العالم.» فقلت لها: «لا تخشي شيئاً، لا اليهود ولا أي آخر ستكون لهم أي قدرة عليك، حيّةً أو ميتةً، لأن الربّ معك.» عندها قالت: «يا يوحنا، أين ستدفنونني؟» فقلت: «كما سيأمر ربّنا يسوع المسيح.» عندها انسابت دموعها وأخذتُ أمسحها بثوبي، وأبكي، وكانت العذارى الثلاث يبكين، ويتكدّرن كلّ التكدُّر لأجلها. وقلت لها: «طالما أنك ولدت المسيح وحصلت على مواعيده وعلاماته، لِمَ تخشين الخروج من هذا العالم الباطل والفاني ولِمَ تأسفين لذلك؟ ماذا سيكون إذاً موقف الآخرين القائمين دونك والذين يجهلون، عندما يغادرون هذا العالم، ماذا سيكون مصيرهم؟ لأنك سوف تتسلّمين من ابنك أكاليل متلألئة وسوف تضعينها على رأس الأبرار والأتقياء، وسوف تصيب عقوبة أبدية مَنْ يستحقونها.

١٨. كلام الروح القدس

«لا تستسلمي إذاً للحزن والألم، أيتها الطوباوية مريم، لأن الروح القدس قال لي في أَفسس إن رفاقي والقدِّيسين الآخرين يجب أن يجتمعوا حولك، ملتمسين بركتك، كما قال النبي داوود: "الشعوب كلّها سوف تأتي وتسجد لك، وقبائل الأُمم كلّها تتصاغر أمامك."» فقالت لي مريم ثانيةً: «أَحرِق البخور وصلِّ.» فأحرقت البخور وقلت يا ربّي وإلهي يسوع المسيح، أَنصِتْ إلى صلاتي، واسمَعْ صوت أُمك، وأَتِمَّ مواعيدك التي قطعتها لها. لتكن مشيئتك، كما رغبة أبيك السماوي،

كما اقمتَ فيها برضاك. والملائكة وكلّ المخلوقات يجب أن تسبّحك.» وإذ انتهت صلواتي، إذا بصوتٍ عظيمٍ يقول: آمين، فأُصِبْت بالدهشة. وعندما قال لي الروح القدس: "أَسمِعتَ هذا الصوت، يا يوحنا؟"، قلت: "نعم سمعته جيداً جداً." فقال الروح القدس: «سوف يذهب هذا الصوت إلى التلاميذ، رفاقك، وسوف يأتون للسلام على الطوباوية مريم؛ لقد أنذرتهم كلٌّ في الموضع الذي يسكن فيه، وهيّأتُ لهم، على سحابة ساطعة، العربات التي ستأتي بهم إلى هنا. وأبلغت في روما، سمعان كيفا، عندما كان يتوجّه إلى الهيكل المقدَّس لتقديم الذبيحة هناك، وقلت له: "حين تكون قد قدّمت قربانك، سارِعْ في التوجُّه إلى بيت لحم، لأن أُم معلِّمك هناك، وسوف تخرج من هذا العالم." وأخطرت بذلك بولس، الذي كان على مسافة خمسين رمية سهم من روما، ويجادل اليهود، واليهود يسخرون منه ويقولون: "بالتأكيد، لن يُصغى إلى ما تقوله، لأنك تكرز باسم المسيح، أنت الذي أصلك من سوس، ونحن نعرفك." لقد ناديت بولس، وعلى الفور نهض وخرج. ثم ناديت توما الذي كان في الداخل الهندي: كان قرب سرير ابنة الملك، وقد عمّدها. فسارع في التوجُّه إلى الكنيسة، وصلّى ورحل. ثم ناديت متى ويعقوب. ثم خاطبت الأموات، فيليبس، أَندراوس، أخا سمعان بن حلفى، لوقا، سمعان الكنعاني، ومرقس وبرتلماوس، وقلت لهم: "هيّا غادروا قبوركم، ولا تظنوا بأن اليوم الأخير أتى؛ لم تحلِّ بَعْدُ نهاية الأزمنة. إنما توجّهوا على عَجَلٍ إلى بيت لحم، للسلام على السيِّدة مريم، الطوباوية أُم الربّ، لأنها على وشك الخروج من هذا العالم." فأخذوا يقولون: "كيف سنتوجّه إلى هناك، ومَنْ الذي سينقلنا إلى هناك؟"».

١٩. إجتماع الرسل

وإذا بعربات رائعة تحملها سحابة نزلت في وسطهم، وكانت الرياح تعصف بقوّة، والسماء والأرض تشقّها الصاعقة. ونقلتهم تلك السحابة كلّهم إلى بيت لحم، وإذ اقتربوا من مريم، سلّموا عليها، وحدث عندها فرح عظيم، وكان يوحنا يُحرِق بخوراً تكريماً لهم ويسلّم عليهم. وكان على رؤوسهم إكليل المسيح البهيّ. وعندما رأتهم مريم، استقامت فوق سريرها، وسبّحت الله وباركتهم ملأى حبوراً، قائلةً: «لدي الثقة بأن ربّي سوف يأتي من السماوات لأراه، كما أتيتم وكما أراكم؛ قولوا لي كيف علمتم ما يخصّني.» وبدأ كلٌّ منهم يروي كيف كشف له الروح القدس ما يتعلّق بمريم، وبأي معجزات وصلوا، وقالوا: «أيتها الطوباوية العذراء، لا تستسلمي للحزن، لأن الذي وُلِد منك سوف يرافقك إلى خارج هذا العالم بمجدٍ عظيم، وسوف تدخلين بيت المجد وتكونين سيِّدته.» فبسطت العذراء مريم يدها، وقد سمعت هذه الأمور، وحيّت الربّ، قائلةً: «أعبدك، يا ربّي وإلهي، وأؤمن بعظمتك وقدرتك، لأنك لم تجعل مني أُلعوبة ذلك الشعب الغبي، ولم تدعهم يتمّمون ما كانوا يعلنون أن عليهم القيام به عندما كانوا يقولون إنهم سوف يدفعون بجسدي إلى العار؛ لكنك سمعت صلوات خادمتك وأظهرت آياتك، يا مَنْ أنت قدير وتستطيع ما تشاء. لذا يليق باسمك التسبيح، وقدرتك عظيمة جداً إلى دهر الدهور. آمين. ولذا سوف تسبّحني كلّ الأُمم.»

٢٠. آيات السماء

وعندما أنهت رسالتها، قال التلاميذ: آمين. عندها قالت للتلاميذ: أَحرِقوا البخور وصلّوا، وارسموا على وجوهكم إشارة الصليب.»

وعندما فعلوا ما قالته لهم، إذا بصوتٍ يُسمَع كصوت الرعد آتٍ من السماء، وانتشرت رائحة بخور لا يمكن أن توصَف عذوبتها. وإذا بالملائكة والقوات التي لا يمكن أن يُحصى عددها يهبطون إلى المنزل حيث كانت العذراء مريم والتلاميذ ويقولون، وقد أحاطوا بهم: «قدُّوس، قدُّوس، قدُّوس، هو الربّ الصباؤوت.» وإذ رأى سكان بيت لحم هذه الأمور تملّكهم الذعر، وظهرت لهم آيات عظيمة؛ فقد كانت جيوش السماء تصعد وتهبط، ويُسمَع بينها صوت ابن الإنسان. عندها أتى عدد كبير من سكان بيت لحم، وروى للحاكم والكهنة، في أُورشليم، كلّ ما رأَوه وسمعوه، مذيعين الآيات التي طرأت في الموضع الذي كانت فيه الطوباوية مريم.

٢١. السلام على المغبوطة

عندما سمع سكان أُورشليم هذه الأمور، مضى كثيرون، مغادرين عائلتهم، ليرَوا المعجزات التي كانت تصنعها الطوباوية مريم. وفُتِحت السماوات، وخرجت منها جيوش الملائكة، وصواعق ورعود، وأتت سحابة من السماء وروت الأرض ندى، وسقطت النجوم من السماء، وكما الشمس والقمر، سجدت للطوباوية مريم. وكان بعض سكان بيت لحم يحوّلون عيونهم نحو المنزل الذي كانت فيه الطوباوية مريم. وكان التلاميذ يحيطون بها باحترام، رافعين أيديهم نحو السماء؛ والملاك جبرائيل يبرِّد رأسها وميخائيل قدمَيها؛ وكان بطرس ويوحنا يمسحان بثيابهما دموع مريم، وعصفُ ريحٍ مثل الذي لنوافير المياه يخرج من ذلك المنزل، وكلٌّ كان يقول: «السلامُ عليك، أيتها المغبوطة، ومغبوط المولود منك»؛ وكانوا يحتفلون هكذا بتسابيحها ومجدها، ولم تكن ممكنةً رؤيتها بسبب النور الباهر الذي كان يخرج منها. وإذا أتى

مريض ما إلى ذلك الموضع ووضع رأسه على عتبة الباب وعلى جدار المنزل، وصرخ: «أيتها الطوباوية مريم، صلّي لأجلي وترأفي بي»، كان يجد نفسه معافىً على الفور، على رغم أن مريم لم تره؛ إنما عندما كانت تسمع صوتهم، كانت تبسط يدها وتباركهم، وكانوا ينجون من عاهاتهم. وكان هناك بكمٌ، صمٌّ وعميان، وشفوا على الفور. وبعضهم أخذوا تراباً من سور المنزل ومزجوه بماء شربوه، فنجَوا من كلّ الأمراض التي كانوا يعانونها.

٢٢. من كلّ البلدان

وصنعت الطوباوية مريم معجزات وآيات إلى حد أن ما من أحدٍ يمكنه روايتها، إلا الربّ، الذي وُلِد منها وجعل منها هيكل عظمته. وما هو أعظم وأعجب، أن سكان بيت لحم كانوا يسبّحونها على رغمهم. وكانت تأتي إليها نسوة من كلّ البلدان، من روما، من الإسكندرية ومن مصر؛ كذلك بنات ملوك وأمراء كن يقدّمن لمريم هدايا ويسجدن لها، ويعترفن بالمسيح الذي وُلِد منها. ولدى رحيلهن، كن يرجونها أن تباركهن وتمنحهن كتباً وقوىً، ليؤمنوا في بلادهن بالشهادات التي سيقدّمنها.

٢٣. طرد الشياطين

وأتت امرأة كان يعذّبها شيطانان يسيطران عليها، واحد خلال النهار، والآخر خلال الليل، وكانت ترافقها ابنة ملك الإسكندرية، التي كانت مكسوّة قروحاً؛ فسجدتا أمام مريم، ملتمستَين شفاعتها ومتوسلّتَين إليها أن تشفيهما. وصلّت مريم من أجلهما، وقد أشفقت عليهما، فشفيتا على الفور. وأتت مصرية أخرى مصابة بمرض في

الأحشاء، فشفيت ما أن صلّت مريم من أجلها، وسبّحت الله. وأتت امرأة بها مسٌّ شيطاني، ورجت مريم لتنجو منه، فبسطت الطوباوية العذراء يدها عليها وهي تقول: «باسم يسوع المسيح، ربّي، ابتعِدْ عن هذه النفس ولا تَعُدْ إلى إقلاقها بأيّ شكل»، وعلى الفور خرجت الشياطين منها وقالت: «ما الذي بينك وبيننا، يا مريم؟ إننا نخشى الاقتراب من كلّ مكان يسود فيه ابنك، ولا نستطيع الصمود أمام رفاقه. لقد أقصانا، بقدرته، إلى عمق الهاوية، وأنت، بصلواتك، طردتنا أمس من هذه النفس ومن نفوسٍ أخرى كثيرة.» عندها وبّختها الطوباوية مريم، فهربت على الفور ولاذت بأعماق البحر. ولجأ إليها إبنٌ لسوفرين، ملك مصر، الذي مزّق رأسه أسد، وبعدما صلّت من أجله باسطةً يدها شفي رأسه على الفور، وسبّح الله كلّ الحاضرين.

٢٤. نجاة مرضى

وإذ علم ناسٌ كثرٌ بهذه الأمور توجّهوا إلى بيت لحم، واستعلموا أين كانت الطوباوية مريم، ولما كانوا يقرعون الباب والتلاميذ لا يفتحون، أخذوا يصرخون بقوة، قائلين: «أشفِقي علينا، أيتها الطوباوية مريم، واشفنا ولا تدعي طلباتنا من دون استجابة.» وسمعت مريم أصواتهم، وصلّت من أجلهم من داخل المنزل، وقالت: «يا ربّي وإلهي يسوع المسيح، أنت سيّدي، الذي شاء أن يصبح ابني، استمعْ إلى صوتي إكراماً للذين أتَوا إليك، ولا تدع الإيمان الذي لهم بك من دون مكافأة، بل تكرّم بنجدتهم.» عندها انبعثت من المنزل قوّة عظيمة، ونجا كلّ المرضى من كلّ آلامهم، وكان عددهم نحو ألفين وثمانين.

٢٥. غضب القضاة والكهنة

وقامت تسابيح عظيمة في ذلك اليوم في كلّ أرض بيت لحم. عندها سأل قضاة بيت لحم وأُورشليم الناس الذين شفوا ماذا صنعت لهم الطوباوية مريم، وكيف نجَوا من كلّ آلامهم. وحين قيلت تلك الرواية، حدثت دهشة عظيمة بين كهنة المعبد، ورأَوا، باندهالٍ، التكريم العظيم الذي كان يؤدّى للمسيح وفرح المؤمنين. وأظلمت عيونهم، وارتعشوا وارتجفوا، وشعروا بغضبٍ عظيم، وقالوا: «بالتأكيد إن ما يقولون يسوّغ لنا الكثيرِ من الاهتمام، ويقدّم لنا موضوع اضطراب عظيم.» وإذ مضى يهود كثر من أُورشليم إلى بيت لحم، قال لهم الكهنة: «هيّا اُقبضوا على تلاميذ المسيح، واطردوا مريم من المدينة.»

وحين أصبح اليهود على نحو ألف خطوة من أُورشليم والشمس عند المغيب، تجلّت معجزة عظيمة؛ فقد توقّفت أقدامهم، ولم يستطيعوا الذهاب إلى بيت لحم وعادوا على أعقابهم. وتوجّه الكهنة إلى الحاكم، مضطربين ومملوئين غضباً أكثر فأكثر، وهم يصيحون: «هذه الأمور عظيمة، وسوف يهلك اليهود بسبب ما تصنعه مريم هذه.» ورجَوه أن يطردها من بيت لحم. وزادت دهشة الحاكم عندما سمعهم، وقال: «لن أفعل ذلك بالتأكيد.» عندها ضاعفوا صخبهم واستحلفوه باسم الامبراطور قائلين: «إذا لم تفعل ذلك، فسوف نَشي بك إلى طيباريوس قيصر.» ومضى عدد كبير من اليهود وقد تجمّعوا نحو المنزل الذي كانت فيه الطوباوية مريم، وكان الباب مفتوحاً، وكانوا يريدون الدخول؛ لكنهم لم يكونوا يستطيعون الاقتراب، لأن أبواب السماء كانت مفتوحة، وكان بهاء عظيم يفيض عند مدخل منزل مريم.

٢٦. الإنتقال بالروح إلى أُورشليم

وبسبب صخبهم وتهديداتهم، ذهب أحد الزعماء وإياهم مع ثلاثين ألف فارس ومشاةٍ كثر، وقال: «هيّا إلى بيت لحم، وقودوا إلى هنا مريم والتلاميذ.» عندها خرج الزعيم من أُورشليم مع الجنود؛ لكن الروح القدس قال لتلاميذ المسيح: «ها إن زعيماً يصل من أُورشليم مع جيش غفير؛ خذوا مريم واصطحبوها معكم، ولا تخشَوا شيئاً، لأنني سأحملكم على سحابة عبر الفضاء، وسوف أحميكم ضد الجميع، وما من أحد يستطيع إيذاءكم، لأن قدرة الربّ معكم.» عندها نهض التلاميذ وغادروا المنزل، حاملين الطوباوية مريم في سريرها، وكان الروح القدس يحملهم، ومروا فوق رأس أعدائهم، الذين لم يستطيعوا رؤيتهم. وحين وصل التلاميذ إلى أُورشليم، توجّهوا إلى منزل مريم، ولبثوا هناك منشغلين بالصلاة وتسبيح الله.

٢٧. لم يجدوا أحداً

وعندما أتى الفرسان إلى بيت لحم، قالوا: «لنُغلِقْ أبواب المنزل.» ولم يجدوا فيه أحداً، فقبضوا ملؤهم الغضب، على كلّ سكان بيت لحم، وقالوا: «لقد أتيتم إلى الحاكم والكهنة في أُورشليم، وأكدتم لهم أن تلاميذ المسيح كانوا قرب مريم ولم يكونوا يكفّون عن حمدها وأن جمعاً من الملائكة كان يصعد إلى السماء ويهبط منها، وقلتم إن تراتيلهم بلغت إليكم. أين هم الآن؟ تعالَوا معنا، ودافعوا عن أنفسكم كما تشاؤون، لأننا لا نجد شيئاً.» ومضَوا إذاً معهم وعادوا إلى الحاكم، وقالوا: «إنهم لم يرَوا أحداً في بيت لحم.» فقال الكهنة: «إن تلاميذ المسيح مارسوا سحراً أمام أنظاركم لئلا ترَونهم.» وقال لهم الحاكم: «إذا وجدتموهم في موضعٍ ما، فاقبضوا عليهم وأغلقوا

الأبواب.» وبعد خمسة أيام، رأى سكان أُورشليم الملائكة يهبطون نحو الطوباوية مريم ويخرجون من المنزل الذي كانت تملكه في أُورشليم على جبل صهيون، وهرع الجيران، وأخذوا يصلّون، قائلين:

٢٨. حطب ونار

«أيتها القديسة مريم، يا أُم المسيح، الذي هو الربّ، نرجوك أن تتشفّعي لنا بابنك، لننال الخلاص.» وتمّت معجزات كثيرة، وشفي مرضى كثيرون. وانتاب سكان أُورشليم فزع عظيم، وعندما حلّ النهار، أمسكوا بالجيران، وقالوا: «لِمَ هذا الصخب وهذا الضجيج وهذا الصياح الذي كنتم تُطلِقونه أمس؟» فروى الجيران أن مريم أتت إلى منزلها ترافقها تسابيح الملائكة والبشر، وأن كلّ مريض يقترب منها يشفى على الفور من مصابه. عندها توجّه اليهود إلى الحاكم، وقالوا له: «إننا نؤكد لك أن ثمة قلقاً عظيماً في أُورشليم بسبب مريم»، ورووا ما قيل لهم. فأجاب الحاكم: «ماذا يمكنني أن أفعل من أجلكم؟» فقالوا: «لنأخُذ حطباً وناراً، ونُحرِق المنزل حيث هي.» فقال لهم: «إفعلوا ما ترَونه مناسباً. واجتمع اليهود، كما حشدٌ عظيمٌ، وإذ أخذوا ناراً وحطباً، توجّهوا إلى الموضع الذي كانت فيه الطوباوية مريم لإحراقه؛ وكان الحاكم ورفاقه ينظرون من بعيدٍ إلى ما كانوا يفعلون.

٢٩. إيمان الحاكم

وعندما وصلوا إلى أبواب المنزل ظهرت نار عظيمة خارجةً من الباب، وكان ملائكة قربها، وكلّ مَنْ كان يقترب يحترق، وهلك يهود كثر في تلك الساعة، وأُصيب الآخرون بذعر، واستولى الذعر على

الحاكم أيضاً. فصاح بصوتٍ عالٍ، باسطاً يدَيه نحو السماء: «حقاً، يا مريم، إن مَنْ وُلِدِ منك هو ابن الله؛ إننا نرغب في رؤيته، وسوف أعبده دوماً.» ونشب خلاف عظيم بين اليهود، وكثيرون من بينهم آمنوا باسم يسوع المسيح. عندها جمع الحاكم سكان أُورشليم والكهنة، وقال لهم: «أيها الشعب الشرير، لقد صلبتم المسيح الذي نزل من السماء ليفتدينا؛ لقد رفضتم الإنصات إلى الحق، وارتكبتم الشر؛ سوف تُسلَّمون لعذابات جهنَّم. أما أنا، فأؤمن بالمسيح، ولست واحداً منكم، وأخشى أن يثقُل غضب الملك طيباريوس عليكم بسبب رداءتكم. وهذا ما أقوله لكم: لا يقترب أحد من منزل هذه الطوباوية مريم، ولا تفتروا عليها.»

٣٠. اليهود قسمان

عندها نهض أحد الأحبار الرئيسيين، وكان اسمه كالِب، وكان واحداً من الذين يؤمنون بيسوع المسيح وبالطوباوية مريم البلا عيب، وقال للحاكم: «إسألهم باسم الله مَنْ قاد أبناء إسرائيل إلى خارج مصر، وأن يقولوا استناداً إلى كتب الشريعة المقدَّسة، إذا كان ابن مريم هذا هو بينكم كما نبي، كما ابن الله أو كما الآخرون. أعلم أنكم تقرأون وأنكم تعترفون بكتب الآباء والأنبياء.» عندها نهض الحاكم وصعد إلى مكانٍ عالٍ فوق الناس الآخرين، وحثَّ الذين كانوا يؤمنون بمريم وبابن الله، وابنها، على الوقوف في جانب. فانفصل يهود كثر عن الآخرين، وانقسم الحشد قسمَين.

وقال الحاكم: «هل تؤمنون بالمسيح؟» فقالوا: «نؤمن بأنه ابن الله الوحيد الذي سيدين كلّ المخلوقات، وأنه المسيح المُبَشَّر به في كتبنا، الذي تنتظره الشعوب والذي سيفتدينا.» وصاح الآخرون: «ماذا

تقولون؟ إننا نعلم، نحن، أنه ليس المسيح، لأن التقليد والأمور المكتوبة حياله لم تتمّ بعد.» فردّ المؤمنون: «إنكم لا تفهمون المعنى الحقيقي للكتب، ولا تعلمون على ماذا تدلّ، والتقليد مجهول عندكم. ألا تعلمون أن أبانا آدم، عندما كان على مشارف الموت، أوصى ابنه شيت بأن يأمر ذريّته بحمل جسده إلى خارج كهف الكنوز ونقله إلى الأرض المقدَّسة، لأنه كان يعلم أن خلاص سلالته سيتمّ بوساطة المسيح. وقال: "الذهب، المرّ والبخور الموجودة في كهف الكنوز هي الهدايا التي ستُحمَل إلى بيت لحم بيد المجوس الذين هم أبناء الملوك، لأن الله وعد بأن المسيح سيأتي إلى هذا العالم، ويُظهِر أُلوهته بمعجزات، ويخرج من صهيون متجلِّياً للبشر." وقال النبي: "إن قدمَي الربّ سوف تستقران على جبل الزيتون في أُورشليم"، وتعلمون أن الأمر جرى هكذا.» وقال كالِب أموراً أخرى كثيرة، تطول روايتها. فأجاب اليهود: «أَتظن بأن المسيح هذا أعظم لدن الله من أبينا إبراهيم الذي فُتِحت له السماوات والذي تكلّم مع الله؟» وأجاب المؤمنون: «نعلم ونعرف يقيناً أن الذي وُلِد من مريم خلق آدم قبل أن يتكوّن إبراهيم في بطن أُمه، لأنه قبل كلّ المخلوقات وهو الذي تكلّم معه إبراهيم وقال عنه دانيال إن مسيحاً سيأتي بعد ستين أسبوعاً تنتظره كلّ الأُمم.»

٣١. ذبيحة المصالحة

وأجاب اليهود: «هل هذا المسيح الذي تؤمنون به أعظم من إسحق، الذي كان أمام الله قرباناً طاهراً اغتبطت به السماوات والأرض؟» فقال المؤمنون: «إن الله لم يسمح بأن يُقدَّم إسحق ذبيحةً، ولو انه ضُحِّي به، لما كان سوى قربان وحيد؛ لكن المسيح كان قرباناً مقدَّماً لأجل كلّ المخلوقات؛ وبارتفاعه على الصليب، قدّم ذبيحة صالحت الله

مع البشر. إن الذين يؤمنون به أُنقِذوا من كلّ الخطايا كما شفي أبناء إسرائيل من لسعة الحيّات، عندما كانوا ينظرون إلى حيّة الفولاذ التي أمر الله موسى برفعها.» وقال اليهود: «أَتظن بأن المسيح أرفع منزلةً من يعقوب، الذي رأى أبواب السماء مفتوحة، وعاين مليّاً الملائكة صاعدين وهابطين سُلّم الخلاص؟» فأجاب المؤمنون: «إنّ يعقوب والملائكة والسُلّم الذي رآه هم صورة المسيح. إنّهم معجزات عظيمة تصيب العقول بذهول، إنّما آيات أعظم تتمّ على يد الذين يتضرّعون باسمه، وتستطيعون أن تروها بعيونكم؛ لكنّكم عميان وقلوبكم قاسية.» وقال اليهود: «أتظن بأنّ هذا المسيح أعلى مرتبةً من إيليا، الذي صعد إلى السماء ورأى كلّ الذي في السماء وعلى الأرض؟» فقال المؤمنون: «إن إيليا، وقد نقله ملاك، صعد إلى تلك السماء حيث الشمس والقمر، لكن المسيح، بتجلّيه على جبل طابور مع إيليا وموسى الذي كان ميتاً وفسد أظهر كلّ قدرته، طالما أنه كان يستطيع أن يدعو إليه الأحياء والأموات، وأن عليهم إطاعة أوامره.» وقال اليهود: «أَتظن بأن هذا المسيح أعلى منزلةً من موسى، الذي أنقذ من مصر أبناء إسرائيل، وفتح لهم ممراً عبر البحر فيما ابتُلع فرعون وجيشه؟» فقال المؤمنون: «أيها القوم الحمقى والجهلة، إن الأُلوهة وقد اتخذت جسد المسيح، صنعت كلّ هذه الأمور والمعجزات التي تحقّقها كانت مرسومة منذ الأزل. إن المسيح طرد الشياطين التي كانت مُرغَمة على إطاعته، وعندما كان سمعان بطرس يمشي على البحر كما على اليابسة، استولت عليه فكرة شريرة ولحظة كان سيُغمَر، بسط إذاك المسيح يده نحوه، وخلّصه من الذعر. إنه يأمر كلّ المخلوقات، وتُنصِت إلى صوته بذعر، وهي خاضعة له.» عندها قبض الحاكم على أربعين من بين اليهود، وأمر بجلدهم بالسياط، وامتلأ الآخرون فزعاً.

٣٢. شفاء إبن الحاكم

وحين حلّ الليل، أخذ الحاكم أحد أبنائه، الذي كان مصاباً بألم عظيم في الاحشاء، ومضى إلى مسكن العذراء مريم، وإذ قرع الباب، استقبلته إحدى العذارى اللواتي كن يخدمن مريم، فقال لها: «إذهبي وقولي للطوباوية مريم إنني حاكم المدينة.» وذهبت العذراء تُخبِر بما قال، فأمرت مريم بفتح الباب له وإدخاله. ودخل باكياً، وقال: «السلام عليك، يا أُم الله إنني اؤمن بالذي وُلِد منك وهو المسيح المخلِّص؛ أُبسطي يدَيك، يا أُم النور، وباركيني، وصلّي أيضاً من أجل كلّ أهلي الذين في روما، ليُحفَظوا من كلّ شر، وامنحيني أن أعود بيُسْرٍ إليهم لأستطيع رؤيتهم ثانيةً.» وكان يبكي بمرارة. وكانت الطوباوية العذراء، وقد وقفت، تصلّي كما التلاميذ الذين كانوا حولها، ثم بسطت يدَيها، وقد استدارت نحو الحاكم، وباركت ابنه، وأمرته بالجلوس. إنما هو، إذ انحنى أمامها، ارتمى عند قدمَي التلاميذ، وقال: «السلام عليكم، يا أصفياء الله، أنتم الذين اختاركم بين كلّ المخلوقات، لتبشّروا العالم بأسره.» عندها باركه التلاميذ، وعلى الفور شفي ابنه، وخرج ملؤه الفرح. وامتطى حصانه، حالاً، وتوجّه إلى مدينة روما، فوصل إليها بأمان، وإذ وجد أهله وسلّم عليهم، روى لهم كلّ ما رأى الطوباوية مريم تصنعه، وكلّ ما سمعها تقوله. وهناك كان تلاميذ بطرس وبولس، الرسولَين، فأعلموهما خطياً بما سمعوه وبكلّ المعجزات التي تمّت في روما، وفي المدن الأخرى بشفاعة الطوباوية مريم.

٣٣. نقل مريم

وصباح الجمعة، قال الروح القدس للتلاميذ: «هيّا: خذوا مريم، العذراء البلا عيب، واحملوها إلى أُورشليم، وادخلوا من الدرب التي

تقود إلى الوادي الذي يُدعى جَتْسَمَاني: هناك ثلاثة كهوف يتصل الواحد بالآخر، ومن جهة الشرق، موضع رملي؛ ضعوا هناك الطوباوية مريم، وصلّوا قربها إلى أن أُكلِّمكم.» عندها فعل التلاميذ ما أُمِروا به ونقلوا مريم. وعندما رآهم اليهود، تجمَّعوا، وقالوا لواحدٍ من بينهم، كان اسمه جافيا، وكان صاحب طبع خجول: «إذهَبْ معهم، وعندما يصبحون قريبين من الوادي، أُضرُب المِحَفَّة التي يحملون وأَوقِعْها في الوادي؛ سوف نتبعك مع حطبٍ ونارٍ، ونُحرِقها في الوادي، ولن يستطيع صانعو السحر هؤلاء أن يعتقدوا بأنهم أعلى شأناً من سكان أُورشليم.» وأطاعهم جافيا وانطلق مع التلاميذ، وعندما أضحَوا قرب الوادي، مدّ جافيا يده ليُمسِك بالمِحَفَّة، لكن ملاكاً ضربه بسيفٍ حديدي وقطع له معصمَيه، بحيث أنهما لبثا ملتصقَين بالمِحَفَّة. عندها أخذ جافيا يتوسّل إلى التلاميذ ويبكي، وقال، ووجهه إلى الأرض: «أَشفِقوا عليّ، يا تلاميذ يسوع المسيح المخلِّص!» فترأفوا به، وقالوا: «تضرّعْ إلى العذراء مريم التي أردت تحطيم مِحَفَّتها ودفعها إلى الوادي.»

٣٤. شفاء جافيا

وأخذ يصرخ ويقول: «يا ملكتي، يا أُم الخلاص، أَشفِقي عليّ.» فقالت لبطرس: «أَعِدْ إليه معصمَيه»، فأخذهما وأعاد وضعهما في مكانهما وهو يقول: «باسم يسوع الناصري وبصلوات أُمه، لِتَعُدْ هاتان اليدان إلى مكانهما من دون ألم»؛ فأُرجِعتا إلى الحال التي كانتا فيها، ولم يشعر بأي ألم. عندها أعطاه عصا يابسة، قائلاً: «إمضِ واعلِنْ لكلّ اليهود، بهذه العصا، قدرة الله، وأَرِهم ما هو ضعفهم وجهلهم، إذا قورِنا بقدرة الله وحكمته، واعرُضْ لهم ما صنعه الله لك وأي منافع

أعطاك، ليعلم كلّ الذين سيسمعونك أن عقيدتنا غير صادرة من البشر، بل أُرسِلت إلينا من السماء، على يد سيِّد السماء والأرض، فيعزفون عن أفكارهم السيئة كما عن الإثم الذي سيُهلِكهم، ولا يستطيعون تحقيق ما أضمروه ضد الطوباوية مريم وضد تلاميذ المسيح.»

٣٥. عصا الشفاء

وآمن جافيا وصلّى، وإذ تناول العصا، عاد إلى اليهود، وعندما بلغ باب المدينة، قرعه بعصاه، فإذا بالعصا تخضرّ ثانيةً. عندها سبّح جافيا الله وقال: «هذه العصا أعلى شأناً من قضيب هارون.» فقال اليهود: «ماذا جرى لك، أيها الأحمق؟ وماذا تفعل؟ إن تلاميذ المصلوب خدعوك، فلِمَ كنت معهم؟» وكان هناك أعمى، فمضى جافيا إلى جواره، وأدنى العصا من عينَيه وقال: «باسم الله المصلوب، لتفتَحْ عيناك»؛ فاستعاد الأعمى النظر. عندها سبّح الحاضرون الله. وفي كلّ مرة كان يُدني عصاه من مريض ما أو صاحب عاهة ما، كان هذا الأخير يشفى. وعندما رأى اليهود ذلك، دهشوا جداً، وآمن كثيرون، وهم يقولون له: «حقاً، هذه القوة آتية من السماء، وهذه الأمور تُثبِت قدرة الله.» وكان الكهنة مملوئين حيرةً، وكان غضبهم فائقاً.

٣٦. مريم في الكهف

لكن التلاميذ نزلوا إلى أسفل الوادي، فوجدوا هناك كهفاً، وضعوا فيه الطوباوية مريم، تبعاً للأمر الذي أعطاهم إياه الروح القدس، ولم يكفّوا عن تسبيح الربّ. ومساء الغد، إذا بالروح القدس يقول للتلاميذ: «في يوم الشمس السادس، نزل الملاك جبرائيل إلى العذراء وسلّم عليها، وتنبّأ لها بأن مخلّص العالم سيولد منها، وفي يوم

الشمس أيضاً ولدت في بيت لحم، وفي يوم الشمس أيضاً أتى سكان أُورشليم بسعفٍ لاستقبال المسيح، قائلين: "مبارك الآتي باسم الربّ"؛ وفي يوم الشمس أيضاً سيأتي مع المخلوقات السماوية والأرضية مرتِّلةً تسابيحه، ليرافق إلى خارج هذا العالم نفس أُمه البلا عيب.» وأحسّ التلاميذ بتعزية عظيمة.

٣٧. وداع الطوباوية

وعندما كانوا هكذا، إذا بحواء، أُم الجسد، وحنّة، أُم الطوباوية مريم، وأَليصابات، أُم يوحنا المعمدان، يأتين إليها، وبعدما قبّلنها، قلن مَنْ هن. وقالت حنّة، أُمها: «يا ابنتي، مبارك الله الذي اختارك، لتكوني محلّ مجده. فما أن بدأتِ التكوُّن في أحشائي، كنتُ أعلم أنكِ مُسبَقاً مباركة ومختارة، وأن إله السماء والأرض سينزل في أحشائك، كما قيل في الكتب.» وكلّهن كن يسبّحن الله، وسلّمت الطوباوية مريم عليهم بفرح. ثم قال لهن بطرس: «ابتعِدْن عنها، لأنني أرى الآباء قادمين.» وإذا بآدم، شيت، سام، نوح، إبراهيم، إسحق، يعقوب وداوود، والآباء الآخرين والأنبياء والقدّيسين يصلون على سحابة ويقتربون من الطوباوية مريم، ويسلّمون عليها وهم يعبّرون عن تسبيحها ويدعونها طوباوية، فردّت عليهم سلامهم، وعرّف الأنبياء عن أنفسهم بما أعلنوه عنها، وأحسّت لذلك بفرحٍ عظيم. وأتى أخنوخ كما إيليا وموسى، وكانوا ينتظرون يسوع المسيح ربّنا، لابثين في عربات من نار بين السماء والأرض.

٣٨. وصول المسيح

وإذا باثنتَي عشرة عربة يقودها ملائكة، لا يمكن أن يُحصى

عددهم، استرعت الانتباه ببهاء عظيم، وظهر المسيح، ربّنا، بإنسانيته، تُقِلُّه عربة، حولها السيرافيمات والقوات، واقترب من العذراء مريم، وكلّ المخلوقات انحنت أمامه. عندها قال الربّ لمريم: «يا مريم، المعظّمة في الكون كلّه.» فقالت: «أنا هنا، يا ربّ.» وقال: «إنهضي، وانظُري ما أعطاني أبي.» فنهضت ورأت مجداً ونوراً لا تستطيع العيون تأمُّلهما ولا يمكن أن يوصفا. وإذ سجدت، قالت: «يا ربّي وإلهي، ضَعْ يدك عليّ.» عندها بسط يده ووضعها عليها، وباركها، وأخذت مريم يده وقبّلتها، ووضعتها على عينَيها وبكت، وقالت: «إنني أنحني أمام هذه اليد التي خلقتْ السماء والأرض وكلّ ما فيهما، وأحمدك، وأُسبِّحك، لأنك رأيتني أهلاً، في هذه الساعة كذلك العزيزة عليّ وعلى الناس الواقفين أمامك.» وقالت إذاك: «يا ربّي خذني إليك.» فأجاب: «ستكونين في الجنّة بجسدك حتى يوم القيامة، وسيخدمك الملائكة، لكن روحك الطاهرة ستشعّ في الملكوت، في مساكن أبي الكمال.» واقترب التلاميذ وقالوا لمريم: «يا أُم النور، صلّي من أجل العالم الذي ستخرجين منه.»

٣٩. صلاة مريم

فأجابت الطوباوية مريم وهي تبكي: «يا ربّي وإلهي وسيِّدي يسوع المسيح، أنت الذي، بمشيئة الآب ومعونة الروح وبفعل أُلوهة واحدة ومشيئة واحدة، خلقت السماء والأرض وكلّ ما يحتويانه؛ أرجوك أن تستمع إلى الصلاة التي أُوجِّهها من أجل خدّامك وأبناء المعمودية، من أجل الأبرار ومن أجل الخطأة، وامنحهم نعمتك. تقبّل الذين يجتمعون باسمك، الذين يقرّبون تقدمات باسمي، والذين يبتهلون إليك في صلواتهم، في رغباتهم وفي آلامهم؛ تصرَّفْ بحيث يخلصون من كلّ

أحزانهم وينالون ما أمِلوا به في إيمانهم، وحوِّلْ عنهم الشرور التي يُراد توجيهها إليهم؛ إشفِ أمراضهم، زِدْ ثرواتهم وضاعِفْ أولادهم؛ ساعِدهم في كلّ ما يباشرون به في هذا العالم وامنَحْهم أخيراً فرح المشاركة في ملكوتك. أَبعِدْ عنهم عدوّهم، الشيطان المليء مكراً؛ زِدْ قوتهم واحصِهم في قطيع الراعي الوديع والصالح، الحليم والرحوم؛ حقِّقْ، في هذه الحياة وفي الأخرى، رجاء كلّ مَنْ يصلّي ويطلب معونتك باسمي، ولتَحْمِهم مساعدتك، كما وعدتَ بذلك، أنت الراسخ في مواعيدك، الوافر الرحمة والذي يليق باسمك المجد في كلّ الدهور. آمين.»

٤٠. وجه من نور

وقال لها الربّ: «أمنحك ما تطلبين مني؛ وتبعاً لصلاتك، لن أحرمهم نعمتي ورحمتي.» وكلّ المخلوقات أجابت ملؤها الفرح: آمين. عندها قال الربّ لبطرس والتلاميذ: «ها قد حلّ الوقت»، وكلّهم، وكذلك الملائكة، كانوا يسبّحون الله ويمجّدونه بصوتٍ عالٍ، وألقَوا البخور بكثير من الاحترام والورع، ذارفين دموعاً كثيرة. وكان وجه الطوباوية مريم يشعّ بنورٍ بهيّ، وإذ بسطت يدَيها، باركتهم كلّهم، وبسط الربّ يده المقدَّسة، وأخذ نفسها الطاهرة التي حُمِلت إلى خزائن الآب. وبدا نورٌ ورائحة عذبة كما لم يعرف العالم مثلها، وإذا بصوتٍ آتٍ من السماء، قائلاً: «السلام عليك، أيتها السعيدة مريم؛ مباركة أنت ومكرَّمة بين النساء.» وبسط يوحنا التلميذ يده، وأغمض بطرس عينَيه، ومدّ بولس رجلَيه، وصعد ربّنا إلى ملكوته الأبدي، يواكبه الملائكة ووسط التسابيح. ووضعوا حجراً عند مدخل الكهف الذي كان فيه جسدها، ولبثوا حوله في صلاة. ونشر الروح القدس نوراً عظيماً

غطّاهم، بحيث أنهم لم يكونوا يستطيعون أن يتلامحوا في ما بينهم وما من أحد كان يمكنه رؤيتهم. وحُمِلت العذراء البلا عيب بفوزٍ عظيمٍ إلى الجنّة على عربات نار.

٤١. توما أخيراً

عندها رفعت سحابة كلّ الحاضرين وكلّ واحد عاد إلى الموضع الذي رحل منه، ولم يبقَ سوى التلاميذ، الذين لبثوا ثلاثة أيام في صلاة، وكانوا يسمعون دوماً ترتيل الأناشيد. وعندما كانوا مجتمعين هكذا، إذا بتوما، أحد التلاميذ، يصل على سحابة، وكان جسد الطوباوية مريم محمولاً على أكتاف الملائكة، فصاح بهم أن يتوقّفوا، ليحصل على بركتها. وعندما أصبح مع رفاقه الذين كانوا يواظبون على الصلاة، قال له بطرس: «توما، يا أخانا، مَنْ منعك من حضور موت أُم الربّ يسوع ورؤية العدد الوافر من المعجزات التي تمّت بالنسبة إليها؟ ولقد حُرِمْتَ من بركتها.» فأجاب توما: «إن خدمة الله التي منعتني من أن أكون معكم، لأن الروح القدس كشف لي ما كان يحدث، عندما كنت أكرز بنعمة المسيح وعندما كنت أُعمِّد غولوديوس، إبن أُخت الملك. وقولوا لي أين هو جسدها الآن؟» فقالوا في هذا الكهف.» وأجاب: «أريد أيضاً أن أراها وأتلقّى بركتها لأتمكّن من تأكيد حقيقة ما تقولون.» فأجاب التلاميذ: «أنت دائماً على حَذَرٍ مما نقول، كما احترزت زمن قيامة الربّ إلى أن منحك اليقين وأراك آثار المسامير في يدَيه والحربة في جنبه، عندها صحتَ: «يا ربّي وإلهي!»

٤٢. الحزام لتوما

إذاك أجاب توما: «تعلمون أنّني توما، ولن أرتاح حتى أرى القبر

الذي دُفِن فيه جسد مريم، وإلا لا اؤمن.» عندها نهض بطرس بغضبٍ وسرعةٍ، وساعده التلاميذ على رفع الحجر، ودخلوا الكهف، ولم يجدوا فيه شيئاً، الأمر الذي سبّب لهم دهشةً فائقة، وقالوا: «لقد تغيّبنا ونقول إن اليهود خطفوا الجسد ليصنعوا به ما يشاؤون.» فأجاب توما: «لا تحزنوا، يا إخوتي، فعندما وصلت من الهند على سحابة، رأيت الجسد المقدَّس يرافقه عدد كبير من الملائكة، وكان يصعد معهم بفوزٍ في السماء، وطلبت، بصيحات عظيمة، أن تباركني الطوباوية مريم، فأعطتني هذا الحزام.»

٤٣. إياب الرسل والموتى

وعندما رآه التلاميذ، سبّحوا الله بورع، وأغلقوا بصخرٍ باب الكهف، وانصرفوا إلى الصلاة، وصعدوا كلّهم إلى جبل الزيتون، وتوقّفوا هناك وقالوا: «يا يسوع المسيح، يا ربّنا وإلهنا، لقد اخرجتنا من صعوبات هذا العالم، وأريتنا عظمتك، وباركتنا على يد الطوباوية العذراء مريم قبل أن تُرفَع من هذا العالم الزائل، ووعدتنا بأنك سوف تعطينا القدرة على السير فوق الصلّ وفوق العظاءة وفوق الشياطين المملوءة مكراً، وقلت لنا إننا سنجلس على اثني عشر مقعداً يوم الدينونة، لنحاكم أسباط إسرائيل الاثني عشر؛ تكرَّم الآن بمباركتنا.» عندها سجدوا أمام الربّ، وتلقّوا البركة، وبدأ كلٌّ منهم يعظّم، في نشيدٍ كلّ ما يتعلّق بالطوباوية مريم. وإذا بصوتٍ يصل إليهم يقول: «ليَعُدْ كلٌّ منكم إلى موضعه»، وإذاك ظهرت عربات تحملها سحابات وأعادت كلاً منهم إلى المدينة التي رحل منها وأُعيد الأموات إلى قبورهم.

٤٤. مجد عظيم

وعندما حُمِلت مريم إلى الجنّة، أتى الربّ يسوع المسيح، ومعه حشد من الأرواح السماوية؛ لأن أُسس الجنّة هي في الأرض، وسورها، الذي تجري منه أنهار أربعة، يبلغ السماء. وعندما كان الطوفان على الأرض، لم يسمح الربّ للماء بالصعود حتى الجنّة. وقال للطوباوية مريم: «تأمّلي المجد الذي رُفِعْتِ إليه.» فنهضت، ورأت مجداً عظيماً لم تكن عين الإنسان تستطيع تأمّله، وإذا بأخنوخ، إيليا، موسى، وكلّ الأنبياء، والآباء الآخرين والمختارين قد أتَوا، وسجدوا للربّ والطوباوية مريم، وابتعدوا. عندها قال الربّ لمريم: «أُنظري إلى الخيرات التي أعددتها للقديِّسين والتي وعدتهم بها.» وإذ رفعت عينَيها، رأت مساكن جميلة وساطعة، ورأت أكاليل الشهداء البهيّة، وأدارت عينَيها نحو أشجارٍ رائعة وعَطِرَة، وكانت تنبعث منها روائح لا يستطيع أحد أن يُحسِن وصفها.

٤٥. المنزل الإلهي

وتناول الربّ ثماراً من تلك الأشجار وأعطاها للطوباوية مريم، لتأكل من ثمار الجنّة تلك الجميلة واللذيذة، وقال لها: «إذهبي وعايني أعلى السماوات.» فصعدت، ورأت السماء الأولى والثانية، وفي الثالثة، رأت المنزل الإلهي مشيّداً فوق ذلك المقام الأرضي، ورأت آياتٍ عظيمةً، وسبّحت الله الخالق على أنه أنجز في السماوات أموراً مدهشة لا يمكن للإنسان أن يصفها ولا أن يفهمها. وأمر الربّ الشمس بالتوقّف على أبواب السماء، وأحد وجوهها متحوِّلٌ نحو الجنّة، وكان الربّ في عربة نار فوق الشمس. ورأت الطوباوية مريم كنوز النور حيث كان الثلج، البَرَد، المطر، النّدى، الصاعقة والرعد، وكلّ الأمور الشبيهة بها.

ورأت جيوش الملائكة، باسطةً الأجنح، قائلةً: **قدُّوس، قدُّوس، قدُّوس الربّ الصباؤوت**، ورأت أسوار النور الاثني عشر، ولكلٍّ منها باب وحارس، ورأت الباب العظيم للأُورشليمات السماوية، وكانت مكتوبة عليها أسماء الأبرار إبراهيم، إسحق، يعقوب، داوود، وكلّ الأنبياء منذ آدم.

٤٦. إجتياز الأبواب

وإذ دخلت الطوباوية مريم من الباب الأول، انحنى الملائكة وعظّموا تسابيحها، وإذ دخلت من باب آخر، قدّم لها الكاروبيم صلواتهم، وإذ دخلت من الباب الثالث، قدّم لها الساروفيم صلواتهم. وحين اجتازت الباب الرابع، سجدت لها ربوات من الملائكة؛ وحين اجتازت الباب الخامس، سجدت لها الصاعقة والرعد؛ وحين اجتازت الباب السادس، صاح الملائكة: قدُّوس، قدُّوس، قدُّوس الربّ الصباؤوت؛ السلام والمجد لكِ! ليكن الربّ معكِ، أنتِ الممدوحة بين النساء، وليكن ممدوحاً الذي وُلِد منك.» وحين اجتازت السماء السابعة، مدحها النور؛ وحين اجتازت السماء الثامنة، سجد لها المطر والنّدى، وحين اجتازت التاسعة سجد لها جبرائيل وميخائيل والملائكة الآخرون؛ وعند الباب العاشر، الشمس والقمر، والنجوم وكلّ الكواكب سجدت لها؛ وحين دخلت من الباب الحادي عشر مدحتها نفوس التلاميذ، الأنبياء والأبرار وسجدت لها؛ وإذ دخلت من الباب الثاني عشر، رأت إبنها جالساً على عرشٍ ساطعٍ ويحيط به نور عظيم، فانحنت أمام جلال الآب والإبن والروح القدس. وعندما حوّلت عينَيها نحو أُورشليم السماوية، ورأت وقارها وجمالها، أُصيب عقلها بذهول، ولم تكن تستطيع أن تفهم كلّ ما كانت تراه، وأمسك الربّ بيدها وأراها

السعادات المحجوبة وكنوز الكنيسة المقدَّسة، وأراها أشياء كثيرة بحيث أن العين لا تستطيع لمحها، ولا الأُذن سماعها، ولا اللسان روايتها، ولا عقل البشر فهمها، وتلك الأشياء سوف تُعطى للمؤمنين الذين سيأتون في اليوم الأخير بحبورٍ عظيم، ويتمتّعون بها في كلّ الدهور. ثم أتت الطوباوية مريم إلى محرِّر المخلوقات، فقال لها الربّ: «هنا مسكن أَخنوخ، حيث صلّى في كلّ الأزمنة.» آمين.

٤٧. بهاء وظلمة

عندها رفعت الطوباوية مريم وجهها، ورأت بشراً كثراً كانوا يهتزّون ومِظالاً لا تُحصى، وكانت تتصاعد رائحة بخور، ويُسمَع ترتيل أناشيد، وكان الجمع يرى ذلك البهاء ويسبّح الله. وقالت الطوباوية مريم: «يا معلِّمي وربّي، مَنْ هم هؤلاء البشر الذين يمكثون هنا؟» فأجاب: «هنا مِظالّ الأبرار ويقيمون فيها، وهذا النور يُشير إلى أيّ تشريف هم قربي؛ وفي اليوم الأخير، يقومون من بين الأموات ليتمتّعوا بهذه الخيرات، ويمتلكوا فرحاً أعظم من هذا، ولن يكون له انقضاء عندما تعود نفوسهم إلى أجسادهم.»

وإذا بالطوباوية ترى منطقة أخرى، مظلمة جداً، يخرج منها دخان عظيم، وكذلك رائحة كريهة مثل التي للكبريت، وكانت تشتعل فيها نار عظيمة، وفيها بشر كثر يُطلِقون صيحات وهم يبكون. فقالت الطوباوية مريم: «يا ربّي وإلهي، مَنْ هم هؤلاء القوم الذين في الظلمات والذين يتألّمون من اضطرام النار؟» وقال: «إنها منطقة جهنّم المفتوحة للخطأة والمُعَدّة لهم، وسوف يبقون فيها حتى اليوم الأخير، عندما تعود نفوسهم إلى أجسادهم، وسوف يعانون عذابات عظيمةً وألماً فائقاً، لأنهم لم يكفّروا عن آثامهم، وسوف يعذّبهم ندمٌ متواصلٌ، كما دودٌ

أكلٌ لا يموت ولا ينام، لأنهم يكونون، متمرِّدين على وصاياي، قد احتقروا نعمتي ونكروا أُلوهتي.

وعندما سمعت الطوباوية مريم تسابيح الأبرار، أحسّت بفرحٍ عظيمٍ، وعندما رأت ما كان مُعَدّاً للخطأة، استولى عليها الحزن، ورجتْ الربّ أن يُشفِق على الخطأة ويعاملهم بلينٍ أكبر، لأن طبيعة الإنسان ضعيفة، فوعد بذلك. وعندها أمسكها بيدها وقادها إلى الجنّة المقدَّسة والبهيّة، يرافقها كلّ القدّيسين وكلّ الأبرار.

٤٨. معجزات

وإذا برسائل، موجّهة من مدن مختلفة ومن التلاميذ الذين كانوا في روما، حُمِلَت إلى بطرس، وبولس ويوحنا، لسؤالهم إعلان ما عرفوه في شأن الطوباوية مريم، وبواسطتهم أُعلِنت المعجزات المتعلّقة بمريم، وأنها ظهرت لأشخاص كثر جديرين بالثقة. وها هي بعض تلك المعجزات:

كان فوق البحر اثنان وتسعون مركباً، وكانت تدفعها رياح عظيمة والأمواج؛ عندها ابتهل البحّارة إلى مريم، فظهرت لهم على الفور، ولم يغرق أيّ من المراكب ونجَوا.

ابتهل مسافرون، فاجأهم لصوص كانوا يريدون سرقتهم، إلى مريم، التي ظهرت لهم وضربت اللصوص كالصاعقة؛ بحيث أنهم عُمُوا، وتابع المسافرون طريقهم سالمين وآمنين، وكانوا في فرحهم، يسبّحون الربّ.

كان لأرملة ابن وحيد وقع في بئر، وقد ذهب يستقي، فصاحت أُمه وقالت: «أيتها القدِّيسة مريم! أعينيني وخلِّصي إبني!» وعلى الفور ظهرت لها الطوباوية مريم، وانتشلت ابنها، ولم يغرق.

أعطى رجل، مُبتلى منذ ستة عشر عاماً بمرض خطير، الأطباء مالاً كثيراً ولم يستطع أن يشفى، فألقى بخوراً في النار وصلّى، قائلاً: «أيتها القدِّيسة مريم! يا أُم المخلِّص، أُرمقي بعينَيك ضعفي واشفني من هذا المرض.» وعلى الفور ظهرت له، ووضعت يدها عليه، ولمسته، فشفي من مرضه، وقصد الكنيسة، وسبّح اسم الله، وشكر الطوباوية مريم.

حطّم البحر مركباً عظيماً مليئاً بشراً، وكانوا يصرخون كلّهم، قائلين: «أَشفقي علينا، أيتها العذراء المباركة!» فظهرت لهم، وقادتهم إلى اليابسة سالمين ومعافَين.

أتى تنين عظيم، خارجاً من كهف، إلى امرأتين كانتا في سفر، وتقدّم نحوهما لافتراسهما؛ فتوجّهتا إلى مريم، صارختين: «أنقذينا!» وعلى الفور ظهرت لهما الطوباوية مريم، وضربت بيدها التنين على شدقه، فانشقّ رأسه حتى أُذنَيه، ومضت المرأتان وهما تسبّحان الله.

كان رجل قد استدان ألف درهم لشراء بضائع، وعندما كان سائراً، فقد كيس ماله من دون أن يشعر بذلك إلى أن أصبح على مسافة عظيمة، فأخذ يلطم وجهه، وينتف شعره ويبكي، ومن ثم تنبّه للتوسُّل إلى مريم، فقال: «أيتها الطوباوية العذراء! أَعينيني.» فظهرت له وقالت: «إتبعني ولا تحزن.» فتبعها، وقادته إلى موضع عثر فيه على كيس ماله، الذي التقطه بفرح عظيم، ومضى إلى أعماله، مسبّحاً الله الكلّي القدرة وممجّداً سيِّدتنا.

وعندما علم التلاميذ بالمعجزات التي تمّت في روما ومواضع أخرى، سبّحوا الله، وشعروا بحبور فائق، وكتبوا الأمور التي صنعتها مريم خلال حياتها وبعد موتها، وكان ذلك في العام ٣٤٥ من عهد الإسكندر. وحدثت أيضاً معجزات كثيرة في مدن أخرى لم يصل

إلينا خبرها: إذا استعلمنا عنها وإذا كتبناها، لا تستطيع كتب كثيرة أن تحتويها.

٤٩. الإحتفال بذكراها

وقال التلاميذ: «نريد الاحتفال بذكراها ثلاث مرات كلّ عام، لأننا نعلم أن كلّ الملائكة يحتفلون بعيدها بفرح، وأن على يدها ستُخَلَّص الأرض.» وحدّدوا إذاً للاحتفال بإحياء ذكراها، اليوم الثاني بعد ميلاد الربّ ليهلك الجراد المختبىء في الأرض ويتكاثر الحصاد، ولتحمي مريم الملوك ولا تقع حرب في ما بينهم؛ وحدّدوا اليوم الخامس عشر من شهر أيار لئلا تخرج الحشرات من الأرض وتأتي لتتلِف الحصاد، مما يجلب المجاعة التي تُهلِك البشر الذين عليهم غاضبٌ الله، وعندما يدنو البشر من الأمكنة المقدّسة وهم يصلّون ويبكون، ليخلِّصهم الله من هذه الآفات. وأخيراً حُدِّد العيد الثالث في اليوم الخامس عشر من شهر آب، الذي هو يوم خروجها من هذا العالم، واليوم الذي صُنِعت فيه معجزات والوقت الذي تنضج فيه ثمار الأشجار.

ورتّبوا عندما يُقدَّم قربانٌ للربّ، أن يؤتى به مساءً إلى الكنيسة، وعلى الكهنة أن يصلّوا عليه، وقالوا: «لقد وضعنا الطقوس التي بموجبها على الذين عُمِّدوا أن يقدِّموا القرابين، لئلا يكون ضرورياً أن يُقال ذلك ثانيةً للذين لا يؤمنون بك، ولا بأُمك القدِّيسة مريم، وقد أعددتَ، في جودك، هذه الخيرات للذين يؤمنون. إمنَحْنا، كما خاصتنا، الذين سمعنا كلامك، الفرح والخيرات التي أعددتها لمختاريك وأحبائك؛ أَعطِنا هذه الخيرات التي لم ترَها عين، ولم تسمعْ بها أُذن، ولا يستطيع أن يُدركها عقل. وتقبّل صلواتنا من أجل كلّ القطيع الذي تراه مجتمعاً حولنا؛ لا تسمح بأن يهلك واحد من

أعضائه؛ إقبَلْهم تحت حراستك وأَعِنْهم، بشفاعة الطوباوية مريم وتوسُّلات كلّ القدِّيسين.» آمين.

٥٠. ظهور المسيح للتلاميذ

وفيما كان التلاميذ القدِّيسون في صلاة وتضرُّع في الأمكنة المقدَّسة، إذا بربّنا يسوع المسيح يظهر لهم، قائلاً: «إغتبطوا، لأن كلّ ما ستطلبونه سيُعطى لكم إلى الأبد، ورغبتكم ستتحقّق أمام أبيكم السماوي.» وقد أرتني الطوباوية مريم، أنا، يوحنا، الذي يكرز بالربّ، كلّ تلك الأمور التي أراها إياها يسوع المسيح، أياً يكن عدم جدارتي بهذه الخطوة، وقالت لي: «يا بُنَيّ، احتفِظْ بهذا الكلام وأَضِفْه إلى الكتب التي كتبتها قبل أن أخرج من هذا العالم الفاني، وسوف يطلبون منك بلا شك أن يرَوه، وكلّ الذين سيرَونه سيمتلئون فرحاً، ويسبّحون اسم الله، كما إسمي، على رغم أنني غير جديرة بذلك.

٥١. أزمنة مصائب

إنني أُعلِمك أن البشر، في الأزمنة الأخيرة، سوف يتعرّضون لمصائب، وحرب، ومجاعة وهول، بسبب كثرة الخطايا التي يرتكبونها وقِلّة محبّتهم؛ وستضرب الأرض كوارث كثيرة، ولن يُحفَظ منها سوى الإنسان الذي يحتقر نفسه في العالم والذي يكره نفسه بالذات، كما الذي يرغب في الخيرات التي قرب الله، الذي يتصرّف وفقاً للمحبّة والرحمة، الذي يعمل بشجاعة على فعل الخير، والذي يرهب غضب خالقه. ومعجزات كثيرة سوف تُرى في السماء وعلى الأرض.

عندها يأتي الإبن الأبدي، المولود من الآب قبل كلّ الدهور، وسوف يأتي في الأزمنة الأخيرة إلى بيت لحم، ولا أظن بأنه سيجد لدى البشر الإيمان ولا العدل.»

ونادتني الطوباوية مريم: «يا بُنَيّ!» فقلت لها: «يا أُمي، ليكن السلام معك، ولتنتشِرْ بركتك في كلّ مكان تتحوّل إليه عيناك؛ إنني آمل بصلاتك وبشفاعتك؛ خلّصي العالم من آلامه، وتصرّفي بحيث يدخل البشر طريق العدل والحق؛ ولا تدعي محبة الله تنقص آدم وذريّته التي خلقها الربّ بيده، وليُبْعَدْ عنهم عدو البشر بفعل رحمة الربّ.» وأجابت الطوباوية مريم: «آمين.»

٥٢. ٥٩ عاماً

وكان عدد الأعوام التي عاشت خلالها العذراء، أُم الله، على الأرض تسعة وخمسين، فمنذ ولادتها حتى دخولها الهيكل، انقضت ثلاثة أعوام؛ وبقيت أحد عشر عاماً وثلاثة أشهر في الهيكل، وحملت في أحشائها الربّ يسوع خلال تسعة أشهر، وأمضت ثلاثة وثلاثين عاماً مع الربّ يسوع عندما كان يعيش على الأرض، وبعد صعوده إلى السماء، انقضى أحد عشر عاماً، ومجموع ذلك تسعة وخمسون عاماً. إننا نأمل بصلواتها لدى ابنها الحبيب ليخلّص نفوسنا إلى أبد الآبدين. آمين.

الحقير يوسف، ابن خليل نونة، نسخ هذه القصة؛ ليشمل الله برحمته كلّ الذين سيكتبونها، يقرأونها أو يسمعونها! آمين.

كتاب انتقال الكلِّيَّة القداسة العذراء أُم الله

هذا النص، المنسوب إلى ميليتون (Méliton)، أُسقف سَرْدِيَة في ليدية في نهاية القرن الثاني م. هو أشهر التصحيحات اللاتينية للنص المترجَم أعلاه من هذا المؤلَّف. إنه أقصر منه، ويبدو مهذَّباً من كلّ غموضٍ هرطقي، وُضِع في القرن الخامس م. ولاقى رواجاً شعبياً كبيراً.

١. لوسيوس الكافر

من ميليتون، خادم يسوع المسيح، أُسقف كنيسة سَرْدِيَة، إلى الإخوة المكرَّمين بالربّ القاطنين في لاوديسية، تحية وسلام. غالباً ما تذكّرت أنني كتبت في شأن المدعو لوسيوس، الذي كانت له وإيانا علاقات بالرسل، إنما الذي أدرج في مكتبه الكثير من الأمور في خصوص أعمال الرسل، يقوده تهوُّره وآراءه الشخصية ومبتعداً عن طريق العدل، قائلاً أموراً صحيحة حيال فضائلهم، إنما مقدِّماً الكثير من الأكاذيب في موضوع عقيدتهم، مؤكّداً أنهم علّموا ما لم يقولوا أبداً، ومُثبِتاً مزاعم بغيضة باعتبارها أقوالهم. ولم يتوقّف عند هذا الحد، فروى انتقال الطوباوية مريم، الدائمة البكارة، أُم الله، في شكلٍ كافرٍ بحيث مُنِع في كنيسة الله، لا قراءة كتابه فقط بل سماعه أيضاً.

٢. طبيعة خيِّرة

تسألونني ما علمناه من الرسول يوحنا؛ إننا نكتبه ببساطة ونوجّهه إلى أُخوّتكم، مؤمنين، لا بالعقائد التي ينشرها الهراطقة، بل بالآب في الإبن، بالإبن في الآب، بالأُقنوم الباقي مثلَّثاً في الأُلوهة والجوهر غير المنفصم؛ إننا لا نؤمن بوجود طبيعتَين في الإنسان، واحدة خيِّرة وواحدة شريرة، بل نؤمن بوجود طبيعة واحدة خيِّرة، خلقها الله الخيِّر، وأفسدها الإثم المُرتكَب بمكر الحيّة، والمرفوع بنعمة يسوع المسيح.

٣. العناية بمريم

عندما كان ربّنا ومخلِّصنا يسوع المسيح، المصلوب من أجل حياة العالم بأسره، مُعلَّقاً على خشبة الصليب، رأى، قرب الصليب، أُمه

واقفةً ويوحنا الإنجيلي الذي كان يحبّه محبّة خاصة وأكثر من الرسل الآخرين، لأنه وحده لبث من بينهم عفيف الجسد. فحمّله مسؤولية العناية بالقدّيسة العذراء مريم، قائلاً له: **ها هي أُمك**، ولها، **ها هو ابنك**. ومنذ تلك الساعة، بقيت القديسة أُم الله مُوكَلة خصوصاً إلى عناية يوحنا خلال كلّ الوقت الذي عاشته. وإذ اقترع الرسل على أي أصقاع يجب أن يرحلوا إليها لتعليمها، بقيت في منزل أبوَيها، قرب جبل الزّيتون.

٤. سعفة من الجنّة

وفي العام الثاني والعشرين بعدما صعد يسوع المسيح إلى السماء، وقد انتصر على الموت، كانت مريم، ملتهبةً بالشوق إلى رؤية المخلِّص ثانيةً، جالسةً ذات يومٍ في مكان منعزل من منزلها وتذرف دموعاً، فإذا بملاكٍ، متألِّقٍ بنورٍ عظيم، مَثَلَ أمامها ونطق بكلمات السلام، قائلاً: «السلام عليك، أنتِ المباركَة من الربّ، تلقّي سلام الذي أرسل السلام إلى يعقوب بواسطة أنبيائه؛ ها إنني جئت بسعفة نخيل من جنّة الله، وسوف تدعينهم يحملونها أمام نعشك، عندما تُخطَفين إلى السماء بجسدك بعد ثلاثة أيام. لأن ابنك ينتظرك مع العروش ومع الملائكة وكلّ قوات السماء.»

عندها قالت مريم للملاك: «أطلب منك أن يجتمع حولي كلّ رسل ربّي يسوع المسيح.» فقال لها الملاك: «كلّ الرسل سوف يؤتى بهم إلى هنا اليوم بقوة يسوع المسيح.» وقالت مريم: «أرجوك أن تُحِلّ عليّ بركتك لئلا تهاجمني أي قوة من الجحيم في الساعة التي تخرج فيها نفسي من جسدي ولئلا أرى أمير الظلمات.» فقال لها الملاك: «إن قوة الجحيم لن تؤذيك؛ إن الربّ الذي أنا عبده ومُرسَله، يمنحك البركة

الأبدية؛ ليس مسموحاً لي بأن أهبَك عدم رؤية أمير الظلمات؛ الأمر من سلطان الذي حملته في أحشائك المقدَّسة والذي تمتدّ قوته إلى دهر الداهرين.»

وابتعد الملاك، وقد قال هذه الكلمات، يحيط به نور عظيم، وكانت السّعفة التي جاء بها تلمع ببهاء باهر. عندها ارتدت مريم ثياباً جديدة، وإذ أمسكت بالسّعفة التي تلقّتها من يد الملاك، توجّهت إلى جبل الزيتون، وأخذت تصلّي، قائلةً: «لم أكن أهلاً يا ربّ، لاستقبالك، لكنك رأفت بي؛ لقد احتفظت بالكنز الذي عهدت به إليّ: أسألك إذاً، يا ملك المجد، ألا تتمكّن قوة الجحيم من إيذائي. وإذا ارتعدت السماوات والملائكة كلّ يوم أمامك، فكم يجب بالأحرى أن يرتعد مخلوق بشري، مكوَّن من تراب ولا يسكنه شيء خيِّر، إلا ما تلقاه من جودك. أنت الربّ الإله المبارَك دائماً إلى دهز الداهرين.» وحين قالت هذه الكلمات، عادت إلى مسكنها.

٥. إنتقال يوحنا

وفيما كان يوحنا الطوباوي يكرز في أَفسس في يوم الربّ، في الساعة الثالثة، إذا بزلزال عظيم يقع، وخطفته سحابة أمام أعين الجميع ونقلته إلى أمام باب المنزل حيث كانت العذراء مريم، أُم الله. حين رأته العذراء الكلِّيَّة القداسة، استولى عليها الفرح وقالت: «أرجوك، يا إبني يوحنا، أن تتذكّر كلمات الربّ يسوع المسيح معلِّمك الذي عهد بي إليك؛ عليّ أن أُغادر هذا الجسد بعد ثلاثة أيام، وقد سمعت اليهود يتداولون ويقولون: "لننتظر اليوم الذي تموت فيه هذه المرأة التي حملت ذلك الدجّال، فنُحرِق جسدها."» وعليه نادت الرسول القدِّيس يوحنا وأدخلته المكان الأكثر عزلةً من منزلها، وأرته الثياب

التي يجب أن تُستخدَم لدفنها وسعفة النور التي تلقّتها من الملاك، وأوصته بأن تُحمَل هذه السّعفة أمام نعشها عندما تُحمَل إلى مكان دفنها.

٦. إجتماع الرسل

وأجاب الطوباوي يوحنا العذراءَ الكلِّيَّة القداسة: «كيف أستطيع وحدي إعداد جنازتك إنْ لم يأتِ إخوتي رسل يسوع المسيح ورفاقي في التبشير لتكريم جسدك؟»

وفجأة، بأمر الله، خطفت الرسل كلّهم سحابة من المواضع التي كانوا يبشّرون فيها بكلمة الله، ونُقِلوا إلى أمام باب المنزل الذي كانت تسكن فيه مريم، أُم المخلِّص، فتبادلوا التحيّة، ملؤهم الدهشة، قائلين: «لِمَ جمعنا الربّ كلّنا في هذا المكان؟» ووصل أيضاً بولس، الذي اختاره الربّ بين اليهود ليبشّر الأُمم بالإنجيل. وفيما بدأ نقاشٌ وَرِعٌ بينهم لمعرفة مَنْ سيوجّه أولاً صلواته إلى الربّ، ليكشف لهم سبب ما حدث، وفيما كان بطرس يطلب من بولس أن يصلّي أولاً، أجاب بولس: «ألا يعود إليك أنت هذا الواجب طالما أن الله اختارك لتكون عماد الكنيسة، ولك حق التقدُّم على كلّ زملائك في التبشير؟ أنا، لست سوى الأدنى بينكم، ولا يمكنني الادعاء بأنني مساوٍ لكم؛ ومع ذلك، بنعمة الله أنا ما أنا.»

٧. لقاء مريم

وأخذ الرسل كلّهم يوجّهون إذاك صلواتهم إلى الربّ، مهتدين بتواضع بولس، وعندما انتهوا وقالوا: آمين، أتى إليهم الرسول يوحنا وأبلغهم مشيئة الربّ. فدخلوا المنزل حيث كانت مريم، أُم ربّنا،

وحيّوها قائلين: «كوني مباركةً من الربّ الذي صنع السماء والأرض!» فقالت: «ليكن السلام معكم، أيها الإخوة المختارون من الربّ!» وسألتهم: «كيف أتيتم إلى هنا؟» فروَوا لها أن كلاً منهم خطفته سحابة ونقلته إلى قربها. فقالت: «إن الربّ جاء بكم إلى هنا، لتعزيتي في الضيق الذي سيصيبني. أرجوكم أن تسهروا كلّكم معي من دون انقطاع حتى الساعة التي يأتي فيها الربّ وأخرج فيها من هذا الجسد.»

٨. وصول يسوع

وجلسوا وعزّوها، ولبثوا ثلاثة أيام منشغلين بتسبيح الله، وفي اليوم الثالث، استولى النوم على كلّ الذين كانوا في المنزل، ولم يستطع أحد أن يبقى مستيقظاً، إلا الرسل وثلاث عذارى كن مصاحبات العذراء القدّيسة. وإذا بالربّ يسوع يصل فجأة مع جمهور عظيم من الملائكة وجلال باهر، وكان الملائكة يرتّلون أناشيد ويمجّدون الربّ. عندها تكلّم المخلّص قائلاً: «تعالي، أنتِ التي اخترتك، أيتها اللؤلؤة الثمينة جداً، أُدخلي مقام الحياة الأبدية.»

٩. مريم تُسلم الروح

عندها سجدت مريم على البلاط، عابدةً الربّ: «ليكن مباركاً اسم مجدك، يا ربّ، يا إلهي، أنت الذي تكرّمت بأن اخترت خادمتك المتّضعة وعهدت إليّ بسرّ سرّك! أُذكرني، يا ملك المجد. تعلم أنني أحببتك من كلّ قلبي واحتفظتُ بالكنز الذي عهدتَ به إليّ. تقبّلْ خادمتك، يا ربّ، وخلّصْني من سلطان الظلمات، لئلا يهاجمني الشيطان ولئلا أرى الأرواح المريعة تأتي من حولي.» فأجاب المخلّص: عندما عُلّقتُ على الصليب، مُرسَلاً من أبي لخلاص العالم، أتى نحوي

أمير الظلمات لكنه تراجع مغلوباً، مُداساً بالأقدام، غير متمكّن من أن يجد فيّ أيّ أثَر من قلبه. لقد رأيته وسوف ترينه، وفقاً لقاعدة الجنس البشري العامة، التي تخضعين لها بموتك، لكنه لن يستطيع إيذاءك، لأن ليس فيك شيء موجوداً فيه، وسأكون معك لحمايتك. تعالي إذاً بسلام، لأن الجيش السماوي ينتظرك لأُدخِلك أفراح الجنّة.» وإذ قال الربّ هذه الكلمات، نهضت العذراء ورقدت في سريرها، وأسلمت الروح، شاكرةً الله. عندها رأى الرسل بهاءً بحيث يعجز أي لسان بشري عن التعبير عنه، لأنه كان يفوق بياض الثلج وسطوع الفضة.

١٠. نحو الشرق

إذاك تكلّم المخلّص قائلاً: «إنهَضْ يا بطرس، كما الرسل الآخرون، وخُذوا جسد مريم، محبوبتي، واحملوها إلى يمين المدينة نحو الشرق، فتجدون هناك مدفناً جديداً؛ تضعونها فيه وتنتظرون أن آتي إليكم.» وسلّم الربّ، وقد قال هذه الكلمات، نفس أُمّه القدِّيسة مريم لرئيس الملائكة جبرائيل، وهو حارس الجنّة وأمير أُمة العبرانيين، ومضى رئيس الملائكة جبرائيل معه، وصعد الربّ ثانيةً إلى السماء، مع الملائكة الآخرين.

١١. زهرة زنبق

وأخذت العذارى الثلاث اللواتي كن هناك جسد مريم وغسلنه تبعاً للعادة المألوفة في الجنازات. وحين عرّينها من ثيابها، كان الجسد المقدَّس يلمع بنور إلى حد أن القدرة على لمسه لم تكن إلا بتأثير من فضل الله؛ كان طاهراً تماماً ومنزّهاً من كلّ دنس. وحين أُلبس ملابس

وأقمشة عادية، اختفى ذلك النور شيئاً فشيئاً. وكان وجه الطوباوية مريم أُم الله، شبيهاً بزهرة الزنبق، وجسدها ينشر رائحةً رائعة العذوبة وبحيث لا يمكننا إيجاد شبيهةٍ بها.

١٢. حمل النعش

ووضع الرسل الجسد المقدَّس في النعش وقالوا لبعضهم بعضاً متوافقين: «مَنْ يحمل السّعفة أمام النعش؟» عندها قال يوحنا لبطرس: «أنت الذي تتقدّمنا في التبشير، تستحق حمل هذه السّعفة.» فأجاب بطرس: «أنت الوحيد بيننا الذي لبث عفيفاً، وقد وجدت قرب الربّ حظوة بحيث نمت إلى صدره. وفوق ذلك، عندما كان معلّقاً على الصليب، أوصاك بأُمه. عليك إذاً حمل السّعفة؛ وأسندُ الجسد المقدَّس والمكرَّم حتى المدفن.» وقال بولس: «أنا الأصغر بينكم جميعاً، أحمله معك.» وإذ اتفقوا على هذه الصورة، أخذ بطرس، رافعاً النعش فوق رأسه، يرتّل ويقول: «عندما خرج إسرائيل من مصر»، وكان بولس يساعد بطرس في تثبيت الجسد المقدَّس، ويوحنا يحمل إلى الأمام سعفة النور، والرسل الآخرون يرتّلون بصوتٍ قوي ورخيم.

١٣. إكليل سحابة عظيم

وإذا بمعجزة جديدة تحصل: فقد ظهر على النعش إكليل سحابةٍ عظيم، شبيه بالدائرة العظيمة التي تظهر عادةً قرب سطوع القمر. وكان جيش الملائكة في السحابات، يرتّل أناشيد، والأرض تدوّي بأصواتِ لحنٍ ساحر. وخرج الشعب وعدده نحو خمسة عشر ألف إنسان من المدينة، وكان يقول: «ما هي هذه الأصوات الرخيمة جداً؟» وقال أحدهم للآخرين: «إن مريم، أُم يسوع، خرجت للتو من جسدها،

ورسل يسوع يرتّلون قربها مدائح الله.» عندها امتلأ أحدهم حنقاً، وكان أمير كهنة اليهود، وقال: «أُنظروا أي تكريمٍ يلقاه نعش أُم الذي بذر في أُمّتكم الكثير من الاضطراب!» وأراد، مقترباً من النعش، أن يقلبه. وعلى الفور يبست ذراعاه من المرفق وبقيتا ملتصقتَين بالنعش، وكان يعاني آلاماً رهيبة، فيما الرسل يتقدّمون وهم يرتّلون: «إن الملائكة الذين كانوا في السحابة ضربوا الشعب بالعمى.»

١٤. الإيمان من القلب

وكان يصرخ قائلاً: «أتوسّل إليك، يا بطرس، أنت الذي يحبّه الله، لا تتخلَّ عني في حاجةٍ بهذه الخطورة، لأنني أشعر بعذابات قصوى. تذكَّر أن الخادمة التي تعرّفت إليك في مقرّ القضاء وكان آخرون يتّهمونك، دافعت عنك وامتدحتك.» فأجاب بطرس: «ليس من حقي إنجادك، إنما إذا آمنتَ من كلّ قلبك بالربّ يسوع المسيح الذي حملته العذراء التي أردتَ تحقيرها في أحشائها المقدَّسة، لابثةً عذراء بعدما ولدته، يشفيك الله، هو الذي، في رحمته العظيمة، يخلِّص الذين لا يستحقون ذلك.» وأجاب الكاهن اليهودي: «إنه عدو الجنس البشري مَنْ أعمى قلوبنا لئلا نعترف بعظمة الله، ومَنْ حملنا على التجديف على المسيح ونحن نصرخ: ليكن دمه علينا وعلى أولادنا.» فقال بطرس: «هذا التجديف لا يؤذي الا الذين يصرّون على الكفر. إن رحمة الله ليست ممتنعة عن الذين يهتدون إليه.» فأجاب الكاهن: «اؤمن بكلّ ما تقول، إنما أَشفِقْ عليّ لئلا أموت.»

١٥. شفاء الكاهن

عندها أوقف بطرس النعش وقال للكاهن: «إذا كنت تؤمن من كلّ قلبك بالربّ يسوع المسيح، فلتعُدْ يداك حرّتَين.» وحين قال: «أُؤمن»،

تحرّرت يداه من النعش على الفور، لكن ذراعاه لبثتا مشلولتين ولم تتوقّف آلامه. فقال له بطرس: «إقترِبْ، وقبِّل النعش، وقُلْ: أُؤمن بالله وبابن الله يسوع المسيح الذي حملته مريم، وأُؤمن بكلّ ما قاله لي بطرس، رسول الله.» فاقترب الكاهن، وقبّل النعش، وعلى الفور ما عاد أحسّ بأي ألم، وشفيت ذراعاه. وأخذ يسبّح الله ويباركه بورع ويشهد بحسب كتب موسى، ليسوع المسيح، بحيث أُصيب الرسل بالدهشة لذلك وكانوا يبكون فرحاً، مسبّحين اسم الربّ.

١٦. إنقاذ عميان

وقال له بطرس: «تسلّم السّعفة من يدَي أخينا يوحنا، وعُدْ إلى المدينة، حيث ستجد جمعاً عظيماً مصاباً بالعمى، فبشِّرْ بكلمة يسوع المسيح، وضَعْ هذه السّعفة على عيون الذين يؤمنون، فيستعيدون النظر، ومَنْ لا يؤمنون يلبثون عمياناً.» وحين سمعوا كلمات الكاهن الذي شفي، آمنوا بالربّ يسوع المسيح، واستعادوا النظر، بعدما وُضِعت السّعفة على عيونهم. والذين أصرّوا على قساوة قلبهم ماتوا عمياناً. وعاد الكاهن إلى الرسل، مُرجِعاً السّعفة ومُخبِراً إياهم بما حدث.

١٧. يسوع يصل ببهاء

وبلغ الرسل، حاملين جسد مريم، وادي يوشافاط الذي حدّده الربّ لهم. ووضعوه في مدفن جديد وسدّوه، وجلسوا على باب الضريح، كما أمرهم الله. وإذا بالربّ يسوع يصل فجأةً مع جيشٍ لا يُحصى من الملائكة المتوهجّين ببهاء عظيم، وقال للرسل: «السلام عليكم.» فأجابوا: «يا ربّ، لتشملنا رحمتك نحن الذين آمنّا بك.» عندها كلّمهم الربّ قائلاً: «قبل أن أصعد إلى أبي، وعدتكم، أنتم الذين تبعتموني،

بأنكم عندما يملك ابن الإنسان كرسي جلاله، تكونون جالسين على اثني عشر عرشاً، محاكمين أسباط إسرائيل الاثني عشر. إن أمر أبي اختار مريم من بين أسباط إسرائيل لأسكن فيها؛ فماذا تريدونني أن أفعل إذاً حيالها؟» فقال بطرس والرسل الآخرون: «يا ربّ، لقد اخترتَ خادمتك البلا عيب لتجعل فيها مقامك، واخترتنا، نحن الذين هم عبيدك، لنكرز بكلمتك. قبل كلّ الدهور، ضبطت كلّ شيء مع الآب والروح القدس اللذين لك معهما أُلوهة واحدة متساوية كما قدرة لا متناهية. يبدو حقاً لخدّامك مثلما تملك في المجد، وقد انتصرت على الموت، أن تقيم جسد مريم من الموت وتقودها ملأى فرحاً إلى السماء.»

١٨. قيامة مريم

عندها قال المخلِّص: «لتكن بحسب كلمتكم.» وأمر رئيس الملائكة ميخائيل بأن يأتي بنفس مريم المقدَّسة. وعلى الفور رفع رئيس الملائكة جبرائيل الحجر الذي كان يسدّ الضريح، وقال الربّ: «قومي، يا محبوبتي؛ أنتِ التي لم تشعري بفساد بالاتصال بالإنسان، لن تعاني تلف الجسد في المدفن.» وعلى الفور نهضت مريم وباركت الربّ، وإذ سقطت عند قدمَيه، عبدته، قائلةً: «لا يمكنني، يا ربّ، أن اؤدي لك أفعال شكر تليق بالخيرات التي تكرّمتَ بمنحها خادمتك. ليكن اسمك، يا مخلِّص العالم وإله إسرائيل، مباركاً في كلّ الدهور.»

١٩. الربّ يقبِّل الرسل

وإذ قبّلها، عهد بها الربّ إلى الملائكة ليحملوها إلى الجنّة. وقال للرسل: «إقتربوا مني.» وعندما اقتربوا، قبّلهم وقال لهم: «ليكن

السلام معكم حتى انقضاء الدهر.» وإذ قال هذه الكلمات، خُطِف الربّ بسحابة وصعد ثانيةً إلى السماء، ورافقه الملائكة حاملين الطوباوية مريم، أُم الله، إلى جنّة الله. وأُعيد الرسل بواسطة سحابات، كلٌّ إلى الموضع الذي كان يكرز فيه، مُخبِرين بالعظمة الإلهية، ومسبّحين ربّنا يسوع المسيح الذي يحيا ويملك مع الآب والروح القدس في وحدة كاملة وفي جوهر الأُلوهية نفسه، إلى دهر الداهرين. آمين.

صعود أَشعيا

للنص قسمان. في الأول يضطهد ملك أُورشليم منسى، وهو عابد أوثان، النبي أَشعيا بتحريض من النبي الدجّال بِشيرا، ويقطعه بمنشار خشب. الشيطان يحرّك غاضباً يد منسى، لان أَشعيا عرف بالرؤيا مسبقاً نهاية سلطان الشر على هذا العالم.

هذه الرؤيا تحتل القسم الثاني، وفيها ينتقل النبي بالنشوى إلى السماء السابعة، مقام الله. هناك يستطيع تأمُّل المسيح ومجيئه المقبل إلى الأرض في مظهر الإنسان يسوع، حتى صعوده المجيد الذي يُخضِع فيه القوات الملائكية العاصية.

كُتِب العمل باليونانية، لكننا لا نملكه كاملاً إلا بالأَثيوبية الكلاسيكية، ففي أَثيوبيا اعتُبِر رسميّاً ردحاً طويلاً جزءاً من العهد القديم.

لم يبقَ منه في اللغة الأصلية سوى نبذة على بَرْدِيّة. وثمة نبذتان من ترجمة لاتينية قديمة، ونبذات من ترجمتَين قبطيتَين. بقيت من القسم الثاني ترجمتان بالسلافية القديمة وباللاتينية. الأخيرة استخدمها الكتار[1] في

١ ـ اسمٌ جامع لشيع هرطوقية عدة من القرنَين الثاني عشر والثالث عشر م.

القرنين الثالث عشر والرابع عشر م. والأولى اعتمدتها البوغوميلية[١] في الشرق. عُرِف العمل منذ القرن الرابع م. في أوساط مجموعات مسيحية هامشية عدة، وتُلي في الكنيسة «الرسمية»، إذ اختصره بيزنطي للمينولوج[٢] اليوناني في يوم عيد أَشعيا، الموافق ٩ أيار.

النص مسيحي من دون شك، يتمحور حول علم المسيح الإلهي لدى النبي. إلا أن أسلوب القسم الأول يشبه أسلوب اسفار الملوك والاخبار، ويظهر القسم الثاني نبوءة لأَشعيا مخصَّصة لحلقة ضيِّقة، خلافاً لكتاب النبي الرسمي.

ثمة قرائن تشير إلى أن تأليف النص يعود إلى القرن الثاني م. هذه الترجمة عن الأثيوبية.

---

١ ـ حركة دينية أسَّسها الكاهن بوغوميل في بلغاريا في القرن العاشر م. وانتشرت في بلاد البلقان والإمبراطورية البيزنطية، خصوصاً في الأوساط الفلاحية. تقول بثنائية النور والظلمة وتعارضهما. ترفض الكنيسةَ الرسمية وأسرار العماد والإفخارستيّا والزواج، والمعبد والصور. تعترف بالإنجيل لا بالعهد القديم. ترى الخلق من عمل إله ظلمة. صمدت خمسة قرون أمام الإضطهادات. يبدو أنها تركت بصماتها على الحركات الغنوصية في اوروبا القرون الوسطى.

٢ ـ سنكسار او روزنامة الكنيسة اليونانية.

صعود النبي أَشعيا

١. أَشعيا نبي موته

في العام السادس والعشرين من حكم حزقيا، ملك يهوذا، استدعى هذا الأخير ابنه منسى، لأنه كان ابنه الوحيد؛ واستدعاه في حضور أَشعيا، إبن عاموس، النبي، وفي حضور ياسوب، إبن أَشعيا، لينقل إليه كلمات الحق التي رآها الملك نفسه؛ احكام هذا العالم، عذابات نار جهنم، عذابات أمير هذا العالم، ملائكته، سياداته وقواته؛ وكلمات الإيمان بالمحبوب، التي رآها هو نفسه في العام الخامس عشر من حكمه، خلال مرضه. وسلّمه حزقيا الكلمات المكتوبة، تلك التي كتبها الكاتب شِبْنا، وكذلك الكتابات التي اعطاه إياها أَشعيا، إبن عاموس، كما الأنبياء، من أجل أن يكتبوا ويضعوا لدن حزقيا ما رآه أَشعيا في بيت الملك في شأن دينونة الملائكة، تدمير هذا العام، لباس القدِّيسين، خروجهم، تحوُّلهم، إضطهاد المحبوب وصعوده. في العام العشرين من حكم حزقيا، رأى أَشعيا كلمات هذه النبوءة وعهد بها إلى ابنه ياسوب.

وفيما كان الملك يعطي أوامره، وياسوب، إبن أَشعيا، واقف، قال أَشعيا للملك حزقيا (ولم يقل ذلك في حضور منسى وحده): «ليحي الربّ الذي لم يُرسَل اسمه إلى هذا العالم، ليحي محبوب ربّي، وليحي الروح الذي ينطق فيَّ! كلّ هذه الأوامر وهذه الكلمات سوف يُبطِلها ابنك منسى؛ وبصنيع يَديه، في عذاب الجسد، سوف أرحل، أنا.

وصمّائيل[١] مالكيرا سوف يُتِمّ واجبه في منسى؛ وهذا الأخير سيفعل كلّ مشيئته، ويصبح تلميذ بِلْيار[٢] بدلاً من تلميذي. وسوف يحوّل عن الإيمان الحق ناساً كثراً في أُورشليم واليهودية؛ وسيقيم بِلْيار في منسى، وبيدَي هذا الأخير سوف أُنشَر أنا.

عندما سمع هذا الكلام، بكى حزقيا بقوة شديدة، ومزّق ثيابه، وألقى تراباً على رأسه وسقط ووجهه إلى الأرض. لكن أَشعيا قال له: «ان غرض صمّائيل في منسى نهائي، ولن يفيدك ذلك في شيء.» في ذلك اليوم، فكّر حزقيا في قلبه بقتل ابنه منسى. لكن أَشعيا قال لحزقيا: «ان المحبوب جعل غرضك باطلاً، وفكرة قلبك لن تتحقّق، لانني أنا، تلقّيت هذا النداء، وسوف أرث ميراث[٣] المحبوب.»

٢. فساد منسى

بعد موت حزقيا، حكم منسى، ولم يتذكّر أوامر أبيه حزقيا، بل نسيها؛ وأقام صمّائيل في منسى والتصق به. وكفّ منسى عن خدمة ربّ أبيه، وخدم الشيطان، وملائكته وقواته. وحاد ببيت أبيه عما كان في عينَي حزقيا تعبير حكمة وخدمة للربّ. وحاد منسى بقلبه ليخدم بِلْيار: لأن ملاك الفساد، الذي هو قوة هذا العالم، هو بِلْيار، مَنْ اسمه مَتانْبِكوس[٤]. كان هذا الأخير يغتبط في شأن منسى، وكان يقوّيه في

١ ـ ملاك يعارض الله، تربطه التقاليد اليهودية بالوثنية وخطيئة آدم وحواء؛ يماثل أحياناً في الغنوصية الله الخالق، الذي يُعلِن نفسه الإله الأوحد، متجاهلاً الله السامي. يبدو متماثلاً هنا بمالكيرا، وهو شيطان حقيقته أقل رسوخاً. معروف في كتابات قمران باسم «ميلكي ـ رِشا»، أي ملك الشر.

٢ ـ تعبير كتابي لاسم بليعال المعروف في التوراة اليهودية، ومعناه «فساد».

٣ ـ موت أَشعيا بخشب المنشار يمثّل موت المسيح على خشبة الصليب. أَشعيا يتنبأ بالمسيح في حياته وموته، لذا هو أهل لرؤيا السماء السابعة.

٤ ـ هذا الاسم الشيطاني يرِد لاحقاً في صيغة «مِكِمْبِكوس»، ومعناها «خالق الاضطراب».

الجحود وفي الفساد، لأن هذا الأخير كان ينتشر في أُورشليم. ويتكاثر السحر، الرُّقى المؤذية، العرافات، الكهانة، البغاء، الزِّنى، إضطهاد الأبرار على يد منسى، على يد بِشيرا، على يد طوبيا الكنعاني، على يد يوحنا أناتوت وعلى يد صادوق الناظر[١]. وبقية الوقائع، ها هي مكتوبة في «سفر ملوك يهوذا وإسرائيل.»

٣. شهادة الأنبياء

والحال ان أَشعيا، إبن عاموس، حين رأى الفساد يُمارَس في أُورشليم، وخدمة الشيطان وبذخه، انكفأ إلى أُورشليم وأقام في بيت لحم يهوذا. إنما هناك أيضاً كان فساد كثير. عندها أقام على الجبل، وقد انكفأ من بيت لحم، في موضع قفر. والنبي ميخا، أناني[٢] الشيخ، يوئيل، حَبَقّوق وياسوب، إبن أَشعيا، كما مؤمنون كثر كانوا يؤمنون بالصعود إلى السماء، انكفأوا وأقاموا على الجبل. كانوا يرتدون كلّهم كيساً، وكانوا أنبياء؛ لم يكونوا يحملون شيئاً، لكنهم كانوا عراة، وكانوا كلّهم في حداد عظيم بسبب ضلال إسرائيل. ولم يكونوا يأكلون شيئاً، إلا أعشاباً من الصحراء يجنونها من فوق الجبال؛ وبعد أن يطبخوها، كانوا يتغذّون منها مع النبي أَشعيا. ولبثوا في الجبال وفي التلال خلال عامَين.

٤. أنبياء دجّالون وأنبياء حقيقيون

بعد ذلك، وفيما كانوا في الصحراء، كان رجل في السامرة اسمه بِشيرا، من عائلة صِدِقْيا ـ إبن كناني النبي الدجّال ـ، الذي كان

١ ـ في النص اليوناني «ناظر الأدوات المنزلية.»

٢ ـ النبي حناني على الأرجح، الذي سجنه الملك آسا لأنه لامه لتحالفه مع سوريا. وآسا ملك قبل قرنَين من حزقيا، مما يجعل السرد غير واقعي.

مسكنه في بيت لحم[١]. والحال ان صِدِقْيا ـ إبن كناني ـ، الذي كان أخاً لوالد بِشيرا، كان في أيام آحاب ملك إسرائيل سيِّد انبياء بعل الأربعمئة؛ وهو الذي صفع النبي ميخا، إبن يِمْلا. وميخا بنفسه أهانه آحاب، وهو، ميخا، طُرِح في السجن، مع صِدِقْيا النبي الدجّال. وكانا مع أَحَزْيا، إبن آحاب.

وكان النبي إيليا، من تِسْبَة في جلعاد، يلعن أَحَزْيا والسامرة، وقد تنبّأ في شأن أَحَزْيا بأنه سيموت على سرير المرض، وبأن السامرة ستُسلَّم ليدَي شلمنصَّر، لأنها قتلت أنبياء الربّ. وعندما سمعوا ذلك، أقنع الأنبياء الدجّالون، الذين كانوا مع أَحَزْيا بن آحاب، وسيِّدهم جَمَرْياس[٢]، من جبل إفراييم ـ هو نفسه كان أخا صِدِقْيا ـ، أَحَزْيا، ملك عامورة، وقتلوا ميخا.

٥. بِشيرا ضد أَشعيا

وعرف بِشيرا مقام أَشعيا والأنبياء الذين كانوا معه، لأنه هو نفسه، بِشيرا، كان يسكن في منطقة بيت لحم. وقد ارتبط بمنسى وكان يتنبّأ بالكذب في أُورشليم، وتعلّق به قوم كثر في أُورشليم، إنما هو كان من السامرة. وعندما جاء شلمنصَّر، عندما استولى على السامرة[٣] واقتاد إلى الأسر الأسباط التسعة والنصف[٤] التي نفاها نحو مناطق الميديين وانهار غوزان، كان بِشيرا فتيّاً، فهرب وجاء إلى أُورشليم في أيام حزقيا ملك يهوذا، ولم يسِرْ في طريق أبيه، طريق السامرة، لأنه كان يخشى حزقيا.

---

١ ـ إنتقال بِشيرا يمثِّل تحوّل الوثنية والفساد إلى مملكة الجنوب.

٢ ـ يبدو أنه حلّ محلّ صِدِقْيا على رأس الأنبياء الدجّالين.

٣ ـ استولى شلمنصَّر على السامرة نحو العامَين ٧٢٣ ـ ٧٢٢ ق. م.

٤ ـ في التقليد اليهودي، هي أسباط الجلاء الأول.

والحال أنه ضُبِط، في أيام حزقيا، يتلفَّظ بكلمات فساد في أُورشليم، وشكاه خدام حزقيا؛ فهرب إلى منطقة بيت لحم. وأقنع [....][1]. وشكا بِشيرا أَشعيا والأنبياء الذين كانوا معه قائلاً: «ان أَشعيا والذين معه يتنبّأون بأن أُورشليم ومدن يهوذا سوف تُكتسَح، وبأن أبناء يهوذا وبنيامين سيذهبون إلى الأسر؛ وبأنك أنت، أيها السيِّد الملك، سترحل في قفص وأغلال من حديد. والحال أنهم يتنبّأون بالكذب، ويكرهون إسرائيل ويهوذا وبنيامين، وكلامهم شر حيال يهوذا وإسرائيل. وأَشعيا بنفسه قال: "إنني أرى أكثر من النبي موسى." لأن موسى قال: "ما من إنسان يرى الربّ ويحيا." لكن أَشعيا قال: "أنا، رأيت الربّ، وها انني حيّ." يا أيها الملك، إعلَمْ إذاً أنه نبيّ دجّال، فقد دعا أُورشليم "سادوم"، ونعت أُمراء يهوذا وأُورشليم بـ"شعب عامورة". وشكا طويلا، أمام منسى، أَشعيا والأنبياء.»

وأقام بِلْيار في قلب منسى وفي قلب أُمراء يهوذا وبنيامين، الخصيان ومستشاري الملك، فقد أعجبت كلمات بِشيرا الملك كثيراً، وأرسل يقبض على أَشعيا.

٦. رؤيا أَشعيا

لأن بِلْيار كان في غضب عظيم على أَشعيا، بسبب الرؤيا والكشف الذي فضح به صمّائيل، ولأن أَشعيا كشف عن مجيء المحبوب من السماء السابعة، تحوُّله، نزوله، كما الشكل الذي يجب أن يتبدّل به - شكل إنسان؛ وكشف أيضاً عن الاضطهاد الذي يجب أن يعانيه المحبوب، والآلام التي يجب أن يكبِّده إياها أبناء إسرائيل، مجيء تلاميذه الإثني عشر وتعليمه؛ وكشف أيضاً أنه قبل السبت سيُصلَب

[1] - المقطع مُبهَم.

على الخشب، مع رجلَين مجرمَين؛ وأن المحبوب سيُدفَن في قبر؛ وأن الإثني عشر الذين كانوا معه سيحنقون منه؛ وأن حراساً سيكونون موجودين يحرسون القبر؛ وكشف أيضاً عن نزول ملاك الكنيسة[١] الموجود في السماوات ـ هو الذي سينادي في الأيام الأخيرة؛ وأن ملاك الروح القدس[٢] وميخائيل، رئيس الملائكة القدّيسين، سوف يفتحان القبر في اليوم الثالث؛ وأن المحبوب بنفسه، سيخرج، جالساً على أكتافهما، ويُرسِل تلاميذه الإثني عشر؛ وأنهم سيعلِّمون كلّ الأمم من كلّ لغة في شأن قيامة المحبوب، وأن كلّ الذين سيؤمنون بصليبه، كما بصعوده إلى السماء السابعة، من حيث أتى، سوف يخلصون؛ وأن كثيرين من الذين سيؤمنون به سوف ينطقون بالروح القدس، وأن علامات وآيات كثيرة ستحصل في تلك الأيام.

٧. نبوءة أَشعيا: فساد الكنيسة

يقول أَشعيا: «ومن ثمّ، عند دنوّه، يتخلّى تلاميذه عن نبوءة الرسل الإثني عشر، كما عن إيمانهم، حبّهم وطهارتهم، وستكون انقسامات[٣] كثيرة عند مجيئه وعند دنوِّه. وفي تلك الأيام، كثراً سيكونون الذين سيُحِبّون الأحمال، على رغم أنهم مجرّدون من الحكمة. وسيكون كثيرون من الكهنة[٤] الجائرين والرعاة الذين سيضطهدون رعاياهم،

---

١ ـ ممثِّل جماعة المختارين السماوية. وجوده هنا مرتهَن ربما بأهمية قيامة يسوع لتكوين "كنيسة" الأبرار السابقين المسيحية.

٢ ـ مشابه هنا للروح القدس.

٣ ـ تلميح إلى عبارة منسوبة إلى يسوع، غائبة من الأناجيل إنما أتى على ذكرها بولس ضمناً في رسالته الأولى إلى الكورنثيين (١١ ـ ١٩).

٤ ـ الكنائس الأولى اليهودية المتنصِّرة كان يديرها مجمع من اثني عشر كاهناً، لأحدهم حق التقدُّم على اقرانه. والكهنة والرعاة القدامى كانوا يحاربون ادّعاء الأنبياء لعب دور مركزي في الجماعة.

وستكون هذه جشعة، لأنها لن تحظى برعاة قدِّيسين. وناس كثيرون سيقايضون مجد ثيابهم الطاهرة[١] بثياب الذين يُحِبّون الذهب؛ وسيكون في تلك الأيام كثير من مراعاة أشخاص وأصدقاء مجدَ هذا العالم. وسيكون كثيرون من المغتابين، من النمّامين ومن مجد باطل عند دنوّ الربّ.

«والروح القدس سينكفىء عن عدد كبير، ولن يكون، في تلك الأيام، أنبياء كثر ولا أُناس يقولون أشياء صحيحة ـ إلا واحد أو آخر هنا وهناك ـ، وذلك بسبب روح الضلال، الفسق، المجد الباطل وحُبّ الذهب الذي سيكون في الذين سيُدعَون خدام المحبوب وفي الذين سيقتبلونه.

«وسيكون في وسطهم كره عظيم للرعاة والكهنة في ما بينهم؛ وبالفعل، سيكون حسد عظيم في الأيام الأخيرة، فكلٌّ سيقول ما هو مُستَحَبّ في عينَيه. وسوف يُهمِلون نبوءة الأنبياء الذين تقدّموني، ورؤاي أيضاً سيُبطِلونها لينطقوا بتجشؤات قلوبهم.

٨. نبوءة أَشعيا: المسيح الدجّال

« الآن، إذاً، يا حزقيا ويا ياسوب ابني، تلك هي أيام نهاية العالم. وبعد أن تتمّ، سينزل بِلْيار، هو، الأمير العظيم، ملك هذا العالم، الذي سيطر على هذا الأخير منذ وجوده، وسينزل من جَلَده في مظهر رجل، ملك جائر، قاتل أُمه[٢]، الذي هو أيضاً ملك هذا العالم؛ وسوف يضطهد النبتة التي سيغرسها رسل المحبوب الإثنا عشر، فأحد الإثني عشر سوف يُسَلَّم بين يدَيه[٣].

١ ـ رمز وضعية مؤمن هذا العالم، الذي لا يجب أن يكون مدنَّساً لتلقّي الثياب السماوية.
٢ ـ إحالة إلى نيرون. الخصم الأُخروي هو بِلْيار، «المتجسِّد» في نيرون الحي مجدداً.
٣ ـ إشارة إلى قتل بطرس.

«هذا الأمير سيأتي في مظهر هذا الملك، وكلّ قوات هذا العالم ستأتي معه وستطيعه في كلّ ما سيأمر به. ولكلمته ستُشرِق الشمس خلال الليل، وسوف يُظهِر أيضاً القمر في الساعة السادسة من النهار. وسوف يصنع في العالم كلّ ما يشاء: سوف يتصرّف ويتكلّم مثل المحبوب، وسيقول: "أنا الربّ، وقبلي لم يكن أحد." وكلّ الناس في العالم سوف يصدِّقونه، ويقدِّمون له قرابين ويخدمونه قائلين: "هذا هو الربّ، وخارجه ليس من آخر." ومعظم الذين سوف يكونون متضامنين لاستقبال المحبوب[١]، سوف يحوِّلهم في إثره. ستكون قوة معجزاته في كلّ مدينة وكلّ منطقة، وسوف يرفع صورته أمام وجهه الخاص في كلّ المدن. وسوف يسيطر ثلاثة أعوام، وسبعة أشهر وسبعة وعشرين يوماً[٢].

«وبين المؤمنين والقدِّيسين الكثر الذين يكونون قد رأَوا الذي يرجَونه، الذي صُلِب، يسوع الربّ المسيح (بعدما رأيت أنا، أَشعيا، الذي صُلِب وارتفع)، وبين الذين يكونون قد آمنوا به، قِلّة سيكونون، في تلك الأيام، الذي سيلبثون خدامه، هاربين من قفر إلى قفر ومنتظرين مجيء المحبوب.

«إنما بعد [ألف][٣] وثلاثمئة واثنين وثلاثين يوماً، سيأتي الربّ، مع ملائكته ومع جيوش القدِّيسين، من السماء السابعة، بمجد السماء السابعة، وسوف يقود بِلْيار إلى نار جهنم، كما جيوشه. وسيمنح السلام مَنْ يجدهم في الجسد سالكين بورع في هذا العالم فيما سوف تكتسي الشمس بالارتباك، كما مَنْ يكونون قد لعنوا بِلْيار

١ ـ إشارة قديمة جداً إلى الجماعة المسيحية.
٢ ـ التقليد الخاص برؤيا نهاية العالم ينسحب إلى الخصم الأُخروي سيطرة لنحو ثلاثة أعوام ونصف العام.
٣ ـ الكلمة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

وملوكه، لأجل الإيمان. أما القدِّيسون، فسوف يأتون مع الربّ، بثيابهم الموضوعة فوق[١]، في السماء السابعة؛ سوف يأتون مع الربّ مَنْ أرواحهم مكسوّة، سوف ينزلون ويكونون في العالم؛ ومَنْ سيوجدون في الجسد، سوف يثبِّتهم مع القدِّيسين، في ثياب القدِّيسين، وسوف يخدم الربّ مَنْ يكونون سهروا في هذا العالم. وبعد ذلك، سوف يتبدّلون، في ثيابهم العلوية، وسوف يُترَك جسدهم في العالم.

«عندها، سوف يوبِّخ صوت المحبوب بغضب هذه السماء وهذه الأرض، كما الجبال، التلال، المدن، الصحراء والأشجار، ملاك الشمس وملاك القمر، وكلّ مكان ظهر فيه بِلْيار وتصرّف جهاراً في هذا العالم؛ وستكون في وسطهم، في تلك الأيام، القيامة والدينونة، وسوف يُصعِد المحبوب منه ناراً ويُهلِك كلّ الكفرة، وسيكونون كأنهم لم يُخلَقوا.

«وبقية كلمات الرؤيا مكتوبة في رؤيا بابل[٢]. وبقية رؤيا الربّ، ها هي مكتوبة أمثالاً في كلامي، المكتوب في السفر الذي تنبّأت به علناً. ونزول المحبوب إلى الشِّيول[٣]، ها هو مكتوب في المقطع الذي يقول فيه الربّ: "ها إن ابني سيفهم." وكلّ هذه الأمور مكتوبة في **المزامير**، في أمثال داوود بن يسّى، وفي أمثال سليمان ابنه، وفي كلمات كوري وإِيتان الإسرائيلي، في كلمات آصاف، كما في بقية **المزامير** التي أوصى بها ملاك الروح، في تلك التي لا يوجد فيها إسم مكتوب، وفي كلمات عاموس أبي، النبي هُوْشَع، ميخا، يوئيل، ناحوم، عُوْبَدْيا،

---

١ ـ أي أجسادهم السماوية. هذا المقطع يفترض حكماً للمسيح على الأرض مع الأبرار قبل نهاية العالم. وهو خلاصة العقيدة «الألفية».

٢ ـ أَشعيا: ١٣ ـ ١٤.

٣ ـ الجحيم.

حَبَقّوق، حَجّاي، صَفَنْيا، زكريا، مَلاخي، في كلمات يوسف الصدِّيق وفي كلمات دانيال."

٩. إستشهاد النبي

بسبب هذه الرؤى، إذاً، غضب بِلْيار على أَشعيا وأقام في قلب منسى، ونشر هذا الأخير أَشعيا بمنشار من خشب. وفيما كان أَشعيا منشوراً، كان بِشيرا واقفاً يتهمه، وكلّ الأنبياء الدجّالين كانوا قائمين هناك، ضاحكين ومغتبطين في شأن أَشعيا، ومالكيرا في مِكِمْبِكوس كان قائماً أمام أَشعيا، ضاحكاً ومبتسماً؛ وقال بِلْيار لأشعيا: «قُلْ: "كذبت في كلّ ما قلت، وسُبُل منسى صالحة ومستقيمة، وطرق بِشيرا والذين هم معه، صالحة هي أيضاً[١]."» قال ذلك لأَشعيا عندما بدأ هذا الأخير يُنشَر. لكن أَشعيا كان في رؤيا للربّ، وكانت عيناه مفتوحتَين، وكان يراهما[٢]. وخاطب مالكيرا أَشعيا هكذا: «قُلْ ما أقوله لك، وسوف أُبدِّل قلبهم، وأتصرّف بحيث يعبدك منسى، أُمراء يهوذا، الشعب وأُورشليم بأسرها.» لكن أَشعيا أجاب: «إذا كان [ذلك يتوقّف][٣] عليّ، [فلتكن][٤] ملعوناً، أنت، كلّ قواتك وكلّ بيتك، لأنك لا تستطيع أن تأخذ شيئاً آخر سوى جلد جسدي.»

وأمسكوا إذاً بأَشعيا بن عاموس ونشروه بمنشار من خشب. وكان منسى، بِشيرا، الأنبياء الدجّالون، الأُمراء وكلّ الشعب قائمين هناك، ينظرون. والحال أن أَشعيا كان قد قال للأنبياء الذين كانوا معه، قبل أن يُنشَر: «أُمضوا إلى منطقة صور وصيدون، لأن لي أنا

---

١ ـ الشيطان يريد أن يجعل من أَشعيا نبياً دجّالاً، يدعم الملك الوثني.

٢ ـ مالكيرا والروح القدس.

٣ و٤ ـ الكلمات أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

وحدي مزج الربّ الكأس[١].» وفيما كان يُنشَر، لم يصرخ أَشعيا ولا بكى، لكن فمه كان يخاطب الروح القدس، إلى أن نُشِر شطرَين.

هذا ما صنعه بِلْيار بأَشعيا على أيدي بِشيرا ومنسى؛ لأن صمّائيل كان في غضب شديد على أَشعيا، منذ أيام حزقيا ملك يهوذا، بسبب الكلمات التي رآها والمتعلِّقة بالمحبوب، وبسبب ضلال صمّائيل الذي رآه في الربّ، فيما كان لا يزال يحكم حزقيا أبوه. ومنسى تصرّف بحسب مشيئة الشيطان.

النص القديم لرؤيا أَشعيا

١. ليتورجية نبويّة

الرؤيا التي رآها أَشعيا بن عاموس

في العام العشرين من حكم حزقيا ملك يهوذا، جاء أَشعيا، إبن عاموس، وياسوب، إبن أَشعيا، من غلغالا إلى عند حزقيا، في أُورشليم؛ وجلس أَشعيا على سرير الملك، فقد جيء له بمقعد، لكنه لم يشأ الجلوس عليه[٢]. وعندما بدأ أَشعيا يتبادل مع الملك حزقيا كلمات إيمان وحق[٣]، جلس كلّ أمراء إسرائيل، كما الخصيان ومستشارو الملك. كان هناك أربعون نبياً وأبناء أنبياء[٤]؛ جاؤوا من القرى، من الجبال ومن الأرياف، عندما تناهى إليهم أن أَشعيا جاء من غلغالا إلى

---

١ ـ رمز الاستشهاد.

٢ ـ لم تحدث الرؤيا إذاً في الهيكل، كما في أَشعيا: ٦.

٣ ـ يبدو أن حزقيا على علم كما أَشعيا بالحقائق السماوية التي تخفيها القوات العاصية عن البشر، إنما يزوِّد بها الروح القدس الأنبياء وبعض الآخرين.

٤ ـ أعضاء الجماعات النبويّة الإسرائيلية.

عند حزقيا. جاؤوا يحيّونه ويستمعوا إلى كلماته وليضع يدَيه عليهم، ويتنبّأوا ويُنصِتِ إلى نبوءتهم[١]. كانوا كلّهم أمام أَشعيا.

وفيما كان أَشعيا يقول لحزقيا كلمات إيمان وحق، سمعوا كلّهم باباً يفتح، وصوت الروح. واستدعى الملك كلّ الأنبياء وكلّ الشعب الذي كان هناك، فجاؤوا؛ وكان ميخا، أناني الشيخ، يوئيل وياسوب جالسين إلى يمين أَشعيا، وحدث أنهم عندما سمعوا كلّهم صوت الروح القدس، سجدوا على ركبهم ومجّدوا إله الحق، العليّ، الذي هو في العالم السامي جداً، الذي يسكن فوق، قدُّوساً، والذي يرتاح بين القدِّيسين؛ وسبّحوا الذي أعطى باباً[٢] كهذا في عالم غريب، الذي أعطاه لرجل.

والحال أنه فيما كان يتكلّم بالروح القدس والجميع يُنصِتون إليه، صمت وخُطِفت روحه إلى فوق؛ أما هو، فلم يكن يرى الرجال الذين كانوا قائمين أمامه. كانت عيناه مفتوحتَين، لكن فمه كان صامتاً؛ روح جسده خُطِفت إلى فوق، لكن نَفَسه كان فيه، لأنه كان في رؤيا[٣].

والملاك الذي أرسل لتزويده بالرؤيا لم يكن من هذه السماء، ولم يكن كذلك من ملائكة مجد هذا العالم؛ بل جاء من السماء السابعة. وكلّ الشعب الذي كان قائماً هناك، إلا حلقة الأنبياء، آمن بأن أَشعيا خُطِف[٤].

---

١ ـ لتلقّي الطاقة النبويّة والنطق بنبوءات يعود إلى أَشعيا تقديرها.

٢ ـ الباب يعني قيام اتصال بين العالم الإلهي وعالمنا، عالم الظلمات، مما يسمح لصوت الروح بأن يُسمَع عبر أَشعيا.

٣ ـ لتلقّي وحي أسمى من ذلك الذي تحتويه النبوءات الرسمية.

٤ ـ أي مات.

والحال أن الرؤيا التي عرضت له لم تكن من هذا العالم، بل من العالم المحجوب عن كلّ جسد. وبعد هذه الرؤيا، نقلها أَشعيا إلى حزقيا وياسوب، إبنه، كما إلى الأنبياء الآخرين الذين جاؤوا؛ لكن الأُمراء، والخصيان والشعب لم يسمعوا، إلا شِبْنا، الكاتب، ويواكيم وأصاف[١]، كاتب المذكرات، فهم أيضاً كانوا عاملي قضاء، ورائحة الروح الزكيّة كانت فيهم؛ لكن الشعب لم يسمع، لأن ميخا وياسوب، إبن أَشعيا، أخرجاهم عندما انتُزِعت حكمة هذا العالم من أَشعيا، كما لو كان ميتاً.

٢. الصعود إلى الجَلَد: الشياطين

والحال أن أَشعيا روى الرؤيا التي عرضت له لحزقيا، لابنه بالذات ياسوب، لميخا كما للأنبياء الآخرين. وها هي:

بعدما تنبّأت بحسب الكلمة التي سمعتموها، رأيت ملاكاً بهيّاً: لم يكن ذلك مثل بهاء الملائكة الذين كنت أراهم دوماً، بل كنت أرى فيه بهاءً عظيماً ووقاراً، بحيث انني أنا، لا أستطيع أن أنقل بهاء ذلك الملاك. ورأيت عندما أمسكني بيدي، وقلت له: «مَنْ أنت، ما اسمك، وإلى أين تُصعِدني؟» لأن القدرة[٢] أُعطيت لي لأتكلّم معه. فقال لي: «عندما أكون قد أصعدتك ارتقاءً وزوّدتك بالرؤيا التي من أجلها أُرسِلت، عندها سوف تُدرِك مَنْ أنا؛ لكن إسمي لن تعرفه[٣]، لأن عليك أن تعود إلى ذلك الجسد الذي هو جسدك. أما المكان الذي أُصعِدك

---

١ ـ يبدو كأحد مؤلفي المزامير ذات المحتوى المسيحاني.

٢ ـ ضرورية لان ألسنة الملائكة تختلف عن ألسنة البشر.

٣ ـ رفض إعطاء أسماء الملائكة مردُّه إلى اعتقاد بأن ذلك يعطي القدرة على استدعائهم، فيما لا يستطيع أَشعيا امتلاك وحي هو هبة إلهية.

إليه، فسوف تراه، لأنني من أجل ذلك أُرسِلت.» واغتبطت، لأنه كلّمني بلطافة. فقال لي: «لقد اغتبطت لأنني كلّمتك بلطافة؟» وقال: «سوف ترى أيضاً كيف أن الذي هو أعظم مني[١] سوف يتكلّم معك بلطف وهدوء. سوف ترى أيضاً أبا مَنْ هو أعظم[٢]؛ فلذلك أُرسِلت من السماء السابعة، لأشرح لك كلّ ذلك.»

وصعدنا، هو وأنا، في الجَلَد. وهناك رأيت صمّائيل وقواته؛ كان في ذلك المكان قتال عظيم وملائكة الشيطان، وكلٌّ يحسد الآخر[٣].

وكما هو الأمر فوق، كذلك الأمر على الأرض، فهنا، على الأرض، يوجد الشبه بما هو في الجَلَد[٤]. وقلت للملاك: «ما هو هذا الحسد؟» فقال لي: «هكذا الأمر منذ أن وُجِد هذا العالم حتى الآن، وهذا القتال سوف يدوم إلى أن يأتي مَنْ عليك أن تراه، ومَنْ سيفني الشيطان[٥].»

٣. السماوات الخمس الأولى

بعد ذلك أصعدني إلى فوق الجَلَد، أي إلى السماء. وهناك، رأيت عرشاً في الوسط، وإلى يمينه وإلى يساره ملائكة. و[ملائكة اليسار][٦] لم يكونوا مثل ملائكة اليمين، إنما كان لآل اليمين كثير من البهاء؛ كانوا يسبِّحون كلّهم بصوت واحد: العرش كان في الوسط، وهو الذي كانوا يسبِّحونه. وآل اليسار كانوا يسبِّحون بعدهم، لكن صوتهم لم يكن مثل صوت آل اليمين، وتسبيحهم لم يكن مثل تسبيح اولئك.

---

١ و٢ ـ المسيح والله.

٣ ـ الجَلَد في النص مسكن الملائكة العصاة، وبعده سماوات سبع، أعلاها مسكن الله.

٤ ـ في هذا العالم الذي يسيطر عليه الملائكة الساقطون، يتقاتل البشر والشعوب تدفعهم مشاعر الحسد التي لأسيادهم.

٥ ـ المسيح.

٦ ـ العبارة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

وسألت الملاك الذي كان يُرشِدني، وقلت له: «هذا التسبيح، إلى مَنْ هو مُرسَل؟» فقال لي: «إلى مجد السماء السابعة، إلى الذي يرتاح في العالم القدُّوس وإلى محبوبه، إلى حيث أُرسِلت إليك؛ إلى فوق هو مُرسَل.»

ومجدداً أصعدني إلى السماء الثانية؛ إرتفاع هذه السماء هو مثل ارتفاع السماء عن الأرض [وعن الجَلَد][١]، و[رأيت، هناك، كما رأيت][٢] في السماء الأولى، إلى اليمين وإلى اليسار ملائكة ـ وكان عرش في الوسط ـ، وتسبيح الملائكة الذين هم في السماء الثانية؛ الذي كان جالساً على العرش في السماء الثانية، رأيت فيه بهاءً أعظم من كلّ بهاء. وكان بهاء كثير في السماء الثانية، وتسبيحهم لم يكن مثل تسبيح أهل السماء الأولى. وسقطت وجهي إلى الأرض لأعبده؛ والملاك الذي كان يُرشِدني لم يسمح بذلك، بل قال لي: «لا تعبد عرشاً ولا ملاكاً من السماوات الست ـ لذا أُرسِلت لأُرشدك ـ، إنما الذي سأُعيِّنه أنا لك، في السماء السابعة. ففوق كلّ السماوات وملائكتها موضوعٌ عرشك، ثوبك، وإكليلك، التي عليك أن تراها[٣].» وسُرِرت سروراً عظيماً، لأن الذين يحبّون العليّ ومحبوبه يصعدون إلى هناك، عند موتهم، بواسطة ملاك الروح القدس[٤].

وأصعدني إلى السماء الثالثة، وكذلك رأيت ملائكة اليمين واليسار، وهناك أيضاً، عرش في الوسط والذي كان جالساً؛ لكن ذاكرة هذا العالم لم تكن مسجّلة هناك. وقلت للملاك الذي كان معي، لأن بهاء

---

١ ـ العبارةُ شرحٌ.

٢ ـ العبارة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

٣ ـ العرش والثوب والإكليل رموز الوضع النهائي للمغبوطين.

٤ ـ الروح القدس يرافق الأبرار إلى السماء عند موتهم.

وجهي كان يتبدّل عندما كنت أصعد من سماء إلى سماء[١]: «أَلا يوجد شيء من هذا العالم مسجّل هنا؟» فأجابني قائلاً: «لا يوجد شيء مسجَّل، بسبب ضعف هذا العالم؛ ولا يوجد شيء محجوب مما هو مصنوع هناك.» وأردت أن أعرف كيف معروف ذلك؛ فأجابني: «حين أكون قد أصعدتك إلى السماء السابعة، إلى حيث أُرسِلت، إلى التي هي فوق هذه، عندها ستعلم أن ما من شيء محجوب عن العروش، عن الذين يقيمون في السماوات وعن الملائكة.» والتسبيح الذي كان يُنشِده الملائكة وبهاء الذي كان جالساً على العرش كانا أعظم؛ وبهاء ملائكة اليمين واليسار كان أعظم في هذه السماء منه في السماء التي كانت تحتهم.

ومجدّداً أصعدني، إلى السماء الرابعة؛ الإرتفاع من السماء الثالثة إلى الرابعة كان أكبر منه من الأرض إلى الجلَد، وهناك، مجدداً، رأيت ملائكة اليمين وملائكة اليسار، والذي كان جالساً على العرش كان في الوسط؛ وهناك أيضاً، كان الملائكة يسبّحون.

تسبيح ملائكة اليمين وبهاؤهم كانا أعظم من اللذين لملائكة اليسار؛ وكذلك بهاء الذي كان جالساً على العرش كان أعظم من الذي لملائكة اليمين، لكن بهاءهم كان أعظم من بهاء الذين كانوا تحت.

وأصعدني إلى السماء الخامسة. ومجدداً رأيت ملائكة اليمين واليسار؛ والذي كان جالساً على العرش - رأيت فيه بهاءً أعظم من الذي لجالس السماء الرابعة. لكن بهاء ملائكة اليمين كان أعظم من بهاء ملائكة اليسار، وذلك أكثر بكثير منه في السماء الثالثة والرابعة؛ وبهاء الذي كان على العرش كان أعظم من بهاء ملائكة اليمين؛ وكان

---

١ - في الروحانية اليهودية، التبدُّل ضروري ليتكيّف صاحب الرؤيا مع المحيط السماوي.

لتسبيحهم بهاء عظيم، أعظم منه في السماء الرابعة. وسبّحت مَنْ ليس مُسمّى[١]، والوحيد الموجود في السماوات، الذي لم يُكشَف اسمه لأي جسد، هو الذي أعطى بهاءً كهذا من سماء إلى سماء، الذي جعل بهاء الملائكة عظيماً وجعل بهاء الذي هو جالس على العرش أعظم[٢].

٤. في السماء السادسة[٣]

ومجدداً أصعدني في فضاء السماء السادسة؛ ورأيت بهاءً لم أره في السماوات الخمس، فيما كنت أصعد، وملائكةً، كانوا في بهاء عظيم. هناك، كان التسبيح قدُّوساً ورائعاً. وقلت للملاك الذي كان يُرشِدني: «ماذا أرى، يا سيِّدي؟» فقال لي: «أنا لست سيِّدك، بل أنا رفيقك.» وسألته مجدداً وقلت له: «لِمَ لا تعرِّف بنفسك رفيق الملائكة؟»

وقال لي: «منذ السماء السادسة، وفوقها، لم يعد من ملائكة يسار، من الآن فصاعداً، ولا من عرش موضوع في الوسط؛ بل هؤلاء الملائكة توجِّههم قوة السماء السابعة، حيث يسكن مَنْ ليس مُسَمّى ومختاره، الذي لم يُكشَف اسمه، والذي لا تستطيع معرفة اسمه أيٌّ من السماوات. لأنه الوحيد الذي تستجيب صوته كلّ السماوات والعروش. أنا، إذاً، وُهِبت قدرةً وأُرسِلت لأُصعِدك إلى هنا، لترى هذا البهاء، ولترى ربّ كلّ هذه السماوات، وهذه العروش يتبدّل حتى يصبح وفق مظهركم ووفق شبهكم. أما أنا، فأقول ذلك لك، يا أَشعيا، إن أي إنسان معدٍّ للعودة إلى جسد هذا العالم لم يرَ، ولا صعد، ولا

---

١ ـ الله.

٢ ـ المسيح السماوي.

٣ ـ ميزة السماء بين السادسة والسابعة في الفضاء الذي يسبق كلاً منهما، وغياب التعارض يميناً ويساراً ومعرفتهما برسالة الربّ لا يتبدّل وهو يجتازهما.

فهم ما رأيته أنت وما عليك أن تراه: لأنك في حصة الربّ، في حصّة الخشب، عليك أن تأتي إلى هنا. ومن هنا تأتي قوّة السماء السابعة والفضاء.» وعظمت، في التسبيح، ربّي، ففي حصته عليّ أن آتي إلى هنا. وقال لي: «أَنصِتْ إذاً بَعْدُ إلى هذا من رفيقك: عندما ستصعد إلى هنا، من الجسد الغريب، بواسطة ملاك الروح، إذاك سوف تتلقّى الثوب الذي ستراه ـ وسترى كذلك ثياباً أخرى معدودة، موضوعة ـ، وإذاك ستكون مساوياً للملائكة الذين هم في السماء السابعة.»

وأصعدني إلى السماء السادسة، ولم يكن من ملائكة يسار ولا عرش في الوسط، بل مظهر الجميع كان فريداً، وتسبيحهم متماثلاً. وأُعطي لي، أنا أيضاً، كما لهذا الملاك، أن نسبِّح معهم؛ وكان تسبيحنا مثل تسبيحهم. وهناك، كلّهم كانوا يسمّون الأب الأول[1] والمحبوب، المسيح، والروح القدس، كلّهم بصوت واحد: وهذا الصوت لم يكن مثل صوت ملائكة السماوات الخمس، ولا مثل لغتهم، إنما كان هناك صوت مختلف، وكان هناك نور كثير. وحينئذ، عندما أصبحت في السماء السادسة، اعتبرت ظلماتٍ تلك الأنوار التي رأيتها في السماوات الخمس. واغتبطت، ومجّدت الذي أعطى أنواراً كهذه الذين ينتظرون وعده.

ورجوت الملاك الذي كان يُرشِدني، لئلا أعود بَعْدُ إلى عالم الجسد. وبالفعل، أقول لك ذلك، يا حزقيا ويا ياسوب، إبني، ويا ميخا، إن ظلمات كثيرة توجد هنا، نعم، ظلمات كثيرة. وفهم الملاك الذي كان يُرشِدني ما فكّرت به، وقال: «إذا كنت اغتبطت بهذه الأنوار، فكم سوف تغتبط أكثر في السماء السابعة، حيث أُرسِلت، عندما سترى

---

١ ـ لقب فريد، يؤكّده الأدب المسيحي القديم. يفيد منه الغنوصيون في القرن الثاني م. للإشارة إلى إله أسمى من إله السماء السابعة، وهو ما ليس غرض هذا النص.

الأنوار حيث الربّ ومحبوبه، الذي يجب أن يُدعى إبناً في العالم. لم يُظهَر، الذي يجب أن يكون في العالم عرضة للفساد، ولا أُظهِرت الثياب، العروش والأكاليل الموضوعة للأبرار، للذين سيؤمنون بهذا الربّ الذي سينزل في مظهركم. لأن النور الذي هناك عظيم ورائع. إنما في ما يخص عدم العودة في الجسد، لم تنتهي أيامك بَعْدُ لتأتي إلى هنا.» ولدى سماعه، حزنت، فقال لي: «لا تحزن.»

٥. في السماء السابعة

وقادني إلى فضاء السماء السابعة، ومجدداً سمعت صوتاً قائلاً: «حتى أي موضع يجب أن يصعد مَنْ يسكن بين الغرباء؟» فخفت وغدوت راجفاً. فقال لي، عندما غدوت راجفاً: «ها إن صوتاً آخر أتى، مُرسَلاً من هناك، يقول: "مسموح للقدّيس أشعيا بالصعود إلى هنا، فهذا ثوبه."» وسألت الملاك الذي كان معي، وقلت: «مَن الذي منعني من الصعود، ومَن الذي سمح لي بذلك؟» فقال لي: «الذي منعك من ذلك، هو المسؤول عن تسبيح السماء السادسة، والذي سمح لك بذلك، هو ربّك، الربّ، الربّ المسيح، الذي يجب أن يُدعى يسوع في العالم؛ لكن اسمه، لا تستطيع أن تسمعه، إلى أن تكون قد صعدت خارج جسدك.»

وأصعدني إلى السماء السابعة، ورأيت هناك نوراً رائعاً وملائكة لا يُحصَون. وهناك رأيت كلّ الأبرار الذين كانوا منذ آدم[١]، وهناك رأيت القدّيس هابيل[٢] وكلّ الأبرار؛ وهناك رأيت أَخنوخ[٣] وكلّ الذين معه،

١ ـ النص لا ينسب أي دور إلى خطيئته. وشر العالم نتيجة عصيان الملائكة.

٢ ـ لا تدعوه التوراة باراً، بل التقليدان اليهودي والمسيحي.

٣ ـ سفر التكوين لا يذكر موته، ويُروى انه خُطِف إلى السماء ليرى الأسرار، أو انه تحوّل ملاكاً، كما في الأدب اليهودي.

المجرّدين من ثوب الجسد، ورأيتهم في ثوبهم العلوي: في الحقيقة، كانوا مثل الملائكة القائمين هناك في مجد عظيم. لكنهم لم يكونوا جالسين على عروشهم، وأكاليل مجدهم لم تكن عليهم.

وسألت الملاك الذي كان معي، وقلت: «لماذا تلقّوا هذه الثياب، إنما ليسوا على العروش، مع الأكاليل؟» فقال لي: «لم يتلقّوا الآن أكاليل المجد وعروشه، لكنهم يرَون ويعرفون ما هي عروشهم وما هي أكاليلهم، إلى أن ينزل المحبوب في المظهر الذي ستراه نازلاً فيه. سوف ينزل إذاً في الأيام الأخيرة، الربّ الذي يجب أن يُدعى المسيح بعد أن يكون قد نزل، وأصبح شبيهاً بمظهركم، وبعد أن يؤمنوا بأنه جسد وإنسان. وإله هذا العالم سوف ينقضّ بيد ابنه[1]، وسيضربانه ويعلّقانه على الخشب، من دون أن يعلما مَنْ هو. وهكذا نزوله، كما سنرى، سيكون محجوباً حتى في السماوات، لئلا يُعرَف مَنْ هو. وعندما يكون قد عرّى ملاك الموت، سوف يصعد في اليوم الثالث ويلبث في هذا العالم خمسمئة وخمساً وأربعين يوماً. عندها سيصعد معه أبرار كثر لم تكن أرواحهم قد تلقّت ثيابها، إلى أن يكون الربّ المسيح قد صعد وصعدوا معه. عندها، يتلقّون ثيابهم، عروشهم وأكاليلهم، عندما يكون هو قد صعد إلى السماء السابعة.»

وردّدت له ما سألته إياه في السماء الثالثة؛ فقال لي: «كلّ ما هو مصنوع في هذا العالم معروف هنا.» وفيما كنت لا أزال أتكلّم معه، إذا بأحد الملائكة الذين كانوا قائمين هناك ـ ذي بهاء أسمى بكثير من الذي لذلك الملاك الذي أصعدني من العالم ـ يُريني كتباً، لم تكن مثل كتبٍ من هذا العالم، ويفتحها. كانت الكتب مكتوبة، إنما ليس مثل كتبٍ من هذا العالم. وسُمح لي بقراءتها، فإذا بأعمال بني إسرائيل كانت

١ ـ الشيطان ونيرون إبنه.

مكتوبة فيها، وبالتحديد أعمال الذين تعرفهم، يا ولدي ياسوب. وقلت: «حقاً، ليس من شيء مما هو مصنوع في العالم محجوباً في السماء السابعة.»

ورأيت هناك ثياباً كثيرة موضوعة، عروشاً كثيرة وأكاليل كثيرة. فقلت للملاك الذي كان يُرشِدني: «ممَّنْ هي هذه الثياب، هذه العروش وهذه الأكاليل؟» فقال لي: «هذه الثياب، هناك أشخاص كثر من هذا العالم سوف يتلقّونها مؤمنين بصوت الذي سيُدعى كما قلت ذلك لك، وسوف يحتفظون بهذه الثياب، ويضعون ثقتهم فيه، في صليبه؛ ولهم موضوعة هذه الأشياء.»

٦. رؤيا الربّ والروح القدس

ورأيت أحدهم واقفاً، بهاؤه كان يتخطّى كلّ شيء، وكان بهاؤه عظيماً ورائعاً. وبعدما رأوه، أتَوا إلى قربه كلّ الأبرار الذين رأيتهم والملائكة؛ وآدم، وهابيل وشيت[١] وكلّ الأبرار اقتربوا أولاً وسجدوا له؛ ومجّدوه كلّهم بصوت واحد، وأنا أيضاً، بدأت أُنشِد معهم، وتسبيحي كان مثل تسبيحهم. عندها اقترب كلّ الملائكة، وسجدوا له وسبّحوا. وتبدّل وغدا مثل ملاك[٢]. عندها قال لي الملاك الذي كان يُرشِدني: «أُسجُدْ لهذا.» فسجدت وسبّحت. وقال لي الملاك: «هذا هو ربّ كلّ المجد الذي رأيت.»

وفيما كنت لا أزال أتكلّم، رأيت كائناً بهيّاً آخر شبيهاً به[٣]؛ واقترب

---

١ ـ الإبن الثالث لآدم. حلّ هنا محل أخنوخ.

٢ ـ هذا التبدُّل يشير إلى أن الربّ ليس في ذاته ملاكاً.

٣ ـ الروح القدس مُعتبَر هنا مثل ملاك، وليس عليه أن يتبدّل. إنه شبيه بالربّ، لكن منزلته ادنى.

الأبرار منه، وسجدوا وسبّحوا، وأنا أيضاً، سبّحت معهم؛ وبهاؤه لم يتبدّل وفق مظهرهم. عندها اقترب الملائكة وسبّحوا.

ورأيت الربّ والملاك الثاني، وكانا واقفين؛ لكن هذا الملاك الثاني الذي رأيت كان إلى يسار ربّي. فسألت: «مَنْ هو هذا؟» فقال لي: «أُسجُدْ له، لأن هذا هو ملاك الروح القدس، الذي تكلّم فيك، كما في الأبرار الآخرين.»

٧. الله

وإذ كانت عينا روحي مفتوحتَين، رأيت بهاءً عظيماً، وأنا، إذاك، لم أستطع النظر إلى الملاك الذي كان معي، ولا إلى كلّ الملائكة الذين رأيتهم يسجدون لربّي؛ رأيت فقط الأبرار ينظرون بقوة عظيمة إلى مجده.

وربّي اقترب مني، كما ملاك الروح، وقال: «أُنظُرْ، طالما أُعطي لك أن ترى الرب؛ ولأجلك، أُعطيت هذه القدرة للملاك الذي معك.» ورأيت أن ربّي كان يسجد، كما ملاك الروح، والإثنان كانا يمجّدان معاً الربّ. عندها اقترب كلّ الأبرار والملائكة وسجدوا، وكلّ الملائكة سبّحوا.

٨. رسالة الربّ

وسمعت إذاك الأصوات والتسابيح التي سمعتها في كلٍّ من السماوات الست، التي سمعتها حين كنت أصعد إلى هناك؛ وكلّها كانت موجّهة إلى هذا البهيّ الذي لم اكن استطيع ان أرى بهاءه. وأنا بنفسي، كنت أسمع وأرى تسبيحه؛ وكان الربّ وملاك الروح

يسمعان كلّ شيء ويريان كلّ شيء. وكلّ التسبيح الذي كان مُرسَلاً من السماوات الست لم يكن يُسمَع فقط، بل كان يُرى أيضاً. وسمعت الملاك الذي كان يُرشِدني، وقال لي: «هذا هو الذي هو سامٍ جداً فوق الذين هم فوق، الذي يسكن في العالم القدُّوس ويرتاح بين القدِّيسين، الذي سيُدعى بالروح القدس، في فم الأبرار، أبا الربّ.

وسمعت صوت العليّ، أبي ربّي، قائلاً لربّي المسيح الذي سيُدعى يسوع: «أُخرُجْ وانزِلْ إلى كلّ السماوات، ثم تنزل إلى الجَلَد وإلى هذا العالم؛ سوف تنزل حتى الملاك الموجود في الشِّيول، لكنك لن تذهب حتى الهلاك الأبدي[1]. وسوف تجعل من نفسك شبيهاً بمظهر كلّ الذين هم في السماوات الخمس. وسوف تماثل، محاذراً، مظهر ملائكة الجَلَد، كما الملائكة الموجودين في الشِّيول[2].

وحذارِ أن يعلم أيٌّ من ملائكة هذا العالم أنك معي ربّ السماوات السبع وملَائكتها، وحذارِ أن يعلموا أنك معي، عندما أُناديك، بصوت السماوات، ملائكتها وأنوارَها، عندما سأرفعك إلى السماء السادسة لتدين الأُمراء، والملائكة، وآلهة هذا العالم، والعالم الذي يحكمونه وتدمِّرهم[3]؛ لأنهم نكروني وقالوا: "نحن فقط، وما من أحد خارجنا." ومن بَعْدُ، سوف تصعد من آلهة الموت إلى مكانك من دون أن تتبدّل في كلّ سماء، إنما سوف تصعد إلى المجد، وتجلس إلى يميني. إذاك سوف يسجد لك أُمراء هذا العالم وقواته.»

---

١ ـ منطقة من الجحيم تختلف عن الشِّيول. يتصوّر فيها النص الذين لا خلاص لهم بالمسيح.

٢ ـ لا نرى سبباً لتماثل الربّ بملائكة الشِّيول.

٣ ـ خلال قيامة الربّ وصعوده، لا في نهاية العالم، تُدان القوى العاصية التي أرادت الحلول محلّ الله.

٩. نزول الربّ

سمعت البهاء العظيم يُعطي هذه الأوامر لربّي. وهكذا رأيت متى خرج ربّي من السماء السابعة إلى السماء السادسة. والملاك الذي قادني منذ هذا العالم كان معي، وقال لي: «إفهَمْ، يا أَشعيا، وانظُرْ، لترى تبدُّل الربّ ونزوله.» ورأيت، وإذاك، عندما رأَوا الربّ، مجّده ملائكة السماء السادسة وسبّحوه، لأنه لم يتبدّل وفق مظهر الملائكة الذين كانوا هناك؛ ومجّدوه، وأنا أيضا، مجّدته معهم.

ورأيت، عندما نزل إلى السماء الخامسة وتماثل بالذين كانوا في السماء الخامسة، وفق مظهر الملائكة الذين كانوا هناك؛ ولم يمجِّدوه، لأن مظهره كان مثل مظهرهم. وعندها نزل إلى السماء الرابعة وتماثل بمظهر الملائكة الذين كانوا هناك؛ وعندما رأَوه، لم يمجِّدوه ولم يسبِّحوه، لأن مظهره كان مثل مظهرهم. ومجدداً رأيت حين نزل إلى السماء الثالثة وتماثل بمظهر الملائكة الذين كانوا في السماء الثالثة؛ والذين كانوا يحرسون باب السماوات طلبوا كلمة السر[1]، فأعطاهم الرب إياها لئلا يُعرَف؛ وعندما رأَوه، لم يمجِّدوه ولم يسبِّحوه، لأن مظهره كان مثل مظهرهم. ومجدداً رأيت حين نزل إلى السماء الثانية، وهناك، مرةً أخرى، أعطى كلمة السر، لأن الذين كانوا يحرسون الأبواب كانوا يطلبونها، فأعطاهم إياها. ورأيت حين تماثل بمظهر الملائكة الذين كانوا في السماء الثانية، وقد رأَوه ولم يمجِّدوه، لأن مظهره كان مثل مظهرهم. ومجدداً رأيته عندما نزل إلى السماء الأولى، وهناك أيضاً أعطى كلمة السر الذين كانوا يحرسون الأبواب، وتماثل بمظهر الملائكة الذين كانوا إلى يسار ذلك العرش؛ ولم يمجِّدوه

١ ـ التي تسمح بنزول المسيح متنكّراً بمظهر ملاك.

ولم يسبِّحوه، لأن مظهره كان مثل مظهرهم. أما أنا، فلم يكن ثمة أحد يستجوبني، لأجل الملاك الذي كان يُرشِدني.

ومجدداً نزل إلى الجَلَد، حيث يسكن أمير هذا العالم، وأعطى كلمة السر الذين كانوا إلى اليسار؛ وكان مظهره مثل مظهرهم، وهناك أيضاً، لم يمجِّدوه، فهناك كانت قوة الشر، والحسد لتفاهات. ورأيت حين نزل وتماثل بملائكة الهواء، وكان بنفسه مثل واحد منهم؛ ولم يُعطِ كلمة سر، لأنهم كانوا يتناهبون ويجورون الواحد على الآخر[١].

١٠. الربّ في العالم

وبعد ذلك رأيت، والملاك الذي كان يتكلّم معي، الذي كان يُرشِدني، قال لي: «إفهَمْ، يا أَشعيا، إبن عاموس، لأن من أجل ذلك أرسلني الربّ. وأنا، رأيت امرأة، من عائلة النبي داوود، إسمها مريم؛ كانت عذراء وكانت مخطوبة لرجل اسمه يوسف ـ حِرَفي، هو أيضاً من ذريّة داوود البارّ ومن عائلته ـ، كان من بيت لحم يهوذا، وتسلّم نصيبه[٢]. وعندما خُطِبت، وُجِدت حبلى، ويوسف، الحِرَفي، أراد أن يردّها. لكن ملاك الروح[٣] ظهر في هذا العالم، وبعد ذلك لم يردّ يوسف مريم وأبقاها؛ إنما هو لم يكن يكشف لأحد هذه القضية. ولم يدنُ من مريم، وأبقاها عذراء قدِّيسة، على رغم أنها كانت حبلى.

ولم يسكن معها خلال شهرَين. وبعد شهرَين، كان يوسف في المنزل، كما مريم امرأته، إنما الإثنان وحيدان؛ وحدث، فيما كانا وحيدَين، ان مريم نظرت فجأةً ورأت طفلاً صغيراً، فخافت. وبعدما

---

١ ـ الملائكة الساقطون يتصارعون كما ملائكة الجَلَد، لكن البلبلة اعظم في ما بينهم.

٢ ـ مريم زوجةً، من دون إتمام الزواج.

٣ ـ الروح يعرِّف البشر بأسرار الله.

خافت، غدا بطنها كما أنفاً، قبل أن تحبل. وعندما قال لها زوجها يوسف: «ما الذي أخافك؟»، انفتحت عيناه ورأى الطفل، ومجّد الربّ، لأن الربّ جاء في نصيبه. وسمعا صوتاً: «لا تُفصِحا لأحد عن هذه الرؤية.»

لكن شائعة انتشرت في بيت لحم في شأن الطفل؛ كان هناك مَنْ يقولون: «العذراء مريم وَلَدت، فيما لم يمضِ شهران على زواجها»؛ وكثيرون كانوا يقولون: «انها لم تَلِدْ، لم تصعَدْ قابلة، ولم نسمَعْ صيحات الأوجاع.» وكانوا كلّهم عمياناً في شأن الطفل، وكلّهم لم يكونوا يؤمنون به؛ ولم يكونوا يعلمون من أين كان[1]. وأخذاه وتوجّها إلى ناصرة الجليل. ورأيت، يا حزقيا ويا ياسوب، إبني - واتحدّث أيضاً إلى الأنبياء الآخرين الذين هم هنا -، أنه لبث محجوباً عن كلّ السماوات، وعن كلّ الأُمراء، وعن كلّ آلهة هذا العالم. ورأيت: في الناصرة كان يرضع مثل طفل، وكان يرضع وفق العادة، لئلا يُعرَف. وعندما كَبِر، حقّق علامات ومعجزات عظيمة في أرض إسرائيل وفي أُورشليم.

وبعد ذلك، حسده الغريب[2] وأثار بني إسرائيل ضده، لأنهم لم يكونوا يعلمون مَنْ كان؛ وأسلموه للملك، وصلبوه، وأنزلوه إلى الملاك الذي في الشيّول. في أُورشليم، إذاً، رايته فيما كانوا يصلبونه على الخشبة، ورأيت كذلك أنه قام بعد اليوم الثالث ومكث أياماً عدة. والملاك الذي كان يُرشِدني قال لي: «إفهَمْ، يا أَشعيا.» ورأيت عندما أرسل التلاميذ الإثني عشر وصعد.»

١ ـ مقاطع بيبليّة مُختارَة ومُركّبة.

٢ ـ الشيطان.

١١. الصعود المجيد

وأنا، رأيته، وكان في الجَلَد، ولم يتبدّل وفق مظهرهم؛ وكلّ ملائكة الجَلَد والشيطان رأوه، وسجدوا له. وكان هناك حزن عظيم، وكانوا يقولون: «كيف، ربّنا هبط علينا، ولم نفهم المجد الذي كان عليه؟ اننا نرى أنه كان عليه منذ السماء السادسة.» وصعد إلى السماء الثانية ولم يتبدّل، إنما كلّ الملائكة الموجودين إلى اليمين وإلى اليسار، والعرش بنفسه في الوسط، كانوا يسجدون له ويمجّدونه، ويقولون: «كيف، الربّ كان محجوباً وهو نازل، ولم نفهم؟» وكذلك صعد إلى السماء الثالثة ـ ومجّدوه وتكلّموا كذلك ـ، وإلى السماء الرابعة وإلى الخامسة ـ وتكلّموا بالطريقة نفسها. لكن المجد كان فريداً، ومن بَعْدُ لم يتبدّل. ورأيت حين صعد إلى السماء السادسة، وسجدوا له ومجّدوه؛ إنما كان التسبيح يرتفع، من سماء إلى سماء.

ورأيته عندما صعد إلى السماء السابعة، وكلّ الأبرار وكلّ الملائكة مجّدوه. وإذاك رأيته يجلس إلى يمين ذلك البهاء العظيم، الذي قلت لكم انني لم أكن أستطيع النظر إلى مجده. ورأيت أيضاً ملاك الروح القدس يجلس إلى اليسار، الروح الذي قال لي: «يا أَشعيا بن عاموس، انني أُحرِّرك، لأنها أمور عظيمة، لأنك تأمّلت ما لم يتأمّلْه أي إبن جسد. سوف تعود إلى ثوبك إلى أن تنتهي أيامك، وعندها سوف تأتي إلى هنا.» هذه الأمور، رأيتها.

١٢. الخاتمة: تأثير الرؤيا

قال أَشعيا ذلك لكلّ الذين كانوا قائمين أمامه، فسبّحوا. وكلّم الملك حزقيا، وقال: «هذه الأمور، كما قلتها، وانقضاء هذا العالم، وكلّ هذه

الرؤيا سوف تتم في الجيل الأخير[١].» وجعله أَشعيا يُقسِم بعدم الحديث إلى شعب إسرائيل، وبعدم إعطاء هذه الكلمات لأي كائن بشري لينسخها. «وإذاك، سوف يقرأونها. وأنتم من جهتكم، كونوا في الروح القدس، لتتلقَّوا ثيابكم، عروش المجد وأكاليله الموضوعة في السماء السابعة[٢].»

بسبب هذه الرؤى وهذه النبوءات نشر صمّائيل الشيطان، بيد منسى، أَشعيا النبي، إبن عاموس. وكلّ هذه الأمور، نقلها حزقيا إلى إبنه منسى في العام السادس والعشرين من حكمه؛ لكن منسى لم يتذكّرْها ولم يحفَظْ هذه الأمور في قلبه، وإنما مضى إلى الهلاك الأبدي، بخدمته الشيطان.

هنا تنتهي رؤيا النبي أَشعيا، إبن عاموس، مع صعوده.

---

١ ـ المعاصر على الأرجح لنزول المحبوب.

٢ ـ النص مشوَّه هنا، والكلام لأَشعيا.

رؤيا عزرا لنهاية العالم

يعرض النص سَفَر عزرا إلى السماء والجحيم، ليتكلّم مع الله ويتلقّى وحي الأيام الأخيرة، ويعاين عذاب الملعونين. وينتهي بالموت الذي يرتضيه النبي القدِّيس.

يبدو غامضاً، متارجحاً بين اليهودية والمسيحية، محتوياً تقاليد يهودية ومسيحية منحولة، ومعتقدات شعبية تؤكِّدها كتابات بعض آباء الكنيسة. السياق مضطرب، مشوَّش، غير منطقي ويفتقر إلى التواصل بين وقائعه.

تاريخه صعب التحديد. لا يبدو أنه ترك أثراً في الأدب القديم. بعض تعابيره لم ترِدْ قبل القرن الرابع م. إنما يبدو من نتاج النصف الثاني من هذا القرن نفسه، وصاحبه مسيحي، سوري/ فلسطيني على الأرجح. ويمكن أن يكون قراءة مسيحية ثانية لكتاب عزرا الخامس.

الترجمة من أحد مخطوطَين يونانيَّين من مجموعة كولبير التي أهداها الأخير للملك لويس الرابع عشر عام ١٧٣٢، وهما مجهولا المصدر. لكن فحص ورق المخطوط يدلّ إلى نهاية القرن الخامس عشر أو بداية القرن السادس عشر.

١. ترافع ضد الله

كتاب النبي القديس عزرا ورؤياه لنهاية العام. الأب، المبارك. في العام الثلاثين، اليوم الثاني والعشرين من الشهر، كنت في منزلي وأصرخ نحو العليّ قائلاً:

«يا ربّ، أَعطِني مجد رؤية أسرارك.»

خلال الليل، أتى ملاك. كان رئيس الملائكة ميخائيل. قال لي: «أيها النبي عزرا، أُصمُت[1] الآن، خلال سبعين أسبوعاً.»

وصُمْت، كما قال لي. ثم أتى روفائيل، كبير قضاة الحرب، وأعطاني غصن مَيْعَة[2]. وصمت مرتَين ستين أسبوعاً. عندها، رأيت الأسرار وملائكة الله. وقلت لهم:

«أريد أن أترافع ضد الله، لصالح جنس المسيحيين. كان من الأفضل لو ان الإنسان لم يولَدْ، لو انه لم يأتِ إلى العالم.»

ورُفِعت إذاً إلى السماء، ورأيت، في السماء الأولى، جيشاً عظيماً من الملائكة الذين قادوني نحو أمكنة القضاء. هناك، سمعت صوتاً كان يقول لي:

«أشفِقْ علينا، يا عزرا، يا مختار الله.»

عندها، أخذت أقول:

---

١ ـ ستون (Stone) يقترح إستبدال الكلمة بعبارة: «إمتنِعْ عن الخبز.» وهو اقتراح أقرب إلى الصواب.

٢ ـ شجرة صمغية تعطي مادة عطرية للتقدمة في الهيكل. تظهر في وصفات سحرية قبطية مساعدة على الترقّي الروحي والاتحاد بالله. يذكر الفولكلور الفلسطيني ان عصا موسى صُنِعت منها.

«الويل للخطأة حين يرَون البارّ فوق الملائكة، فيما هم أنفسهم في جهنم النار.»

قال عزرا: «أَشفِقْ على صنائع يدَيك، أنت الرحوم والغني بالرأفة. حاكِمْني، بدلاً من محاكمة نفوس الخطأة. من الأفضل في الواقع أن تُعاقَب نفسٌ واحدة من إخضاع العالم بأسره للهلاك الأبدي.»

قال الله: «أنا، سوف أمُدُّ الأبرار بالراحة، في الجنّة، لأنني أظلّ مملوءاً رأفةً.»

قال عزرا: «يا ربّ، لِمَ تُظهِر للأبرار نعمتك؟ ففي الواقع، كما أن الأجير يمكنه بعد أن يُتِمّ وقت خدمته أن يرحل أو، على العكس، أن يصبح عبداً ويسعى إلى سعادته بخدمة أسياده، كذلك في السماوات، تلقّى البارّ أجره. أَشفِقْ بالأحرى على الخطأة. إننا نعلم بالفعل أنك مملوء رأفةً.»

قال الله: «ليس لديّ سبب لأُشفِق عليهم.»

قال عزرا: «إنهم لن يحتملوا غضبك.»

قال الله: «هذا ما يحدث لقوم كهؤلاء.»

وقال الله: «أريد الفوز بك، أنت، مثل بولس ويوحنا. فمن دون أن تُفسِده، تعيد إليّ الكنز غير مُنتهَك، ثروة العذرية[1]، معقل البشر.»

قال عزرا: «كان من الأفضل لو ان الإنسان لم يولَد، كان من الأفضل الا يكون حيّاً. إن للحيوانات، المحرومة من العقل، مصيراً أفضل من الإنسان، لأنها لا تخضع لعقاب. إنما نحن، صنعتنا

---

١ ـ العذرية كانت موضع تكريم لدى الإسينيين، كما في التيارات التقشُّفية في الكنيسة الأولى.

لتسلّمنا للدينونة. الويل للخطأة في العالم الآتي، لأن دينونتهم ستكون بلا نهاية والشعلة بلا انطفاء.»

بعدما تلفّظت بهذه الكلمات، أتى ميخائيل، روفائيل وكلّ الأنبياء وقالوا لي: «نحيّيك، أيها الرجل الوفيّ لله.»

قال النبي: «إنهَضْ وتعال معي، يا ربّ، للتقاضي.»

قال الله: «هوذا، أعطيك عهدي، العهد الذي بينك وبيني، ليزوِّدك بالمعرفة.»

قال عزرا: «كنا نودّ الترافع على مسمعك.»

قال الله: «إسألْ إبراهيم أباك ما هو إبن يترافع ضد أبيه، وترافع هنا معنا.»

قال عزرا: «بحياة الربّ، لن أتوقّف عن الترافع ضدك، لصالح جنس المسيحيين. أين هي نِعَمك القديمة، يا ربّ؟ أين حلمك؟»

قال الله: «كما صنعت الليل والنهار، صنعت البارّ والخاطىء، ورضي بالتصرُّف مثل البارّ[١].»

قال النبي: «من صنع الإنسان الأول، آدم، الجبلة الأولى؟»

قال الله: «يدَيّ غير المدنَّستَين. ثم وضعته في الجنّة، ليحرس مكان شجرة الحياة. لكنه اكتسب العصيان وتصرّف بالمخالفة.»

قال النبي: «أَلَمْ يكن يراقبه ملاك؟ والحياة، أَلَمْ تكن، أبدياً، محروسة بالكاروبيم؟ كيف خُدِع إذاً من كان يحرسه الملائكة؟ لقد أمرت، على أي حال، بأن يطرأ ذلك. كُنْ إذاً منتبهاً إلى كلماتي. لو

---

١ ـ خلق البشر منسوب هنا بوضوح إلى الله.

انك أنت لم تَهِبْ حواء شخصياً، لما كانت الحيّة خدعتها بالتأكيد. إنما إذا خلّصت مَنْ تشاء، تخسر أيضاً مَنْ تشاء.»

وقال النبي: «لنتقاضَ مرة ثانية، يا ربّ.»

قال الله: «انني أقذف بالنار سادوم وعامورة.»

قال النبي: «يا ربّ، أتتصرّف بعدل حيالنا؟»

قال النبي: «تذكّر الكتاب المقدّس، يا أبتاه، أنت الذي حدّدت أُورشليم وأنهضتها. أَشفِقْ، يا معلّم، على الخطأة. أشفِق على خليقتك، إرحَمْ صنائعك.»

إذاك تذكّر الله خلائقه، وقال للنبي: «كيف يمكنني أن ارأف بهم؟ لقد أشربوني خلاً ومرّاً وحتى لم يهتدوا!»

٢. يوم الدينونة

قال النبي: أُكشُفْ عن كاروبيمك ولنتقاضَ معاً. أَرِني ما هو يوم الدينونة.»

قال الله: «لقد خُدِعت، يا عزرا. في الواقع، لا مطر على الأرض، في يوم الدينونة[١]. ففي ذلك المساء، هناك محكمة ترأف.»

قال النبي: «لن اتوقّف عن الترافع ضدك، إنْ لم أرَ يوم التّمام.»

قال الله: «عُدَّ النجوم ورمل البحر. إذا كنت تستطيع عدّها، تستطيع أيضاً الترافع معي.»

قال النبي: «يا ربّ، تعلم أنني أرتدي جسداً بشريّاً، فكيف أستطيع عدّ نجوم السماء ورمل البحر؟»

١ ـ غياب المطر يعني نفي الطوفان الذي هو علامة الدينونة والعقاب.

قال الله: «يا نبيّي المختار، ما من إنسان سيعرف هذا اليوم، العظيم والمجيد، الذي يضمّ دينونة العالم. حبّاً بك، يا نبيّي، كلّمتك عن اليوم، أما عن الساعة، فلم أُكلِّمْك قط.»

قال النبي: «يا ربّ، كلِّمْني أيضاً عن العام.»

[قال الله][1]: إذا رأيت أن عدالة العالم عظمت، فسأكون حليماً بالنسبة إليهم. وإلا، سوف أبسط يدي، وأُمسِك بالأرض المسكونة من أطرافها الأربعة، وأجمعها كلّها في وادي يوشافاط، وأمحو جنس البشر، وإذاك، لن يعود هناك من عالم[2]!»

وقال النبي: «ويمينك، كيف يمكنها أن تُمجَّد؟»

قال الله: «أنا، ملائكتي هم مَنْ يمجِّدونني.»

قال النبي: «يا ربّ، إذا كنت تفكِّر هكذا، فلماذا صنعت الإنسان؟ أنت الذي قلت لإبراهيم أبينا: "حقاً سأُضاعف نسلك مثل كواكب السماء ومثل الرمل الذي على شاطىء البحر." أين هو إذاً وعدك؟»

قال الله: «أولاً، سأُحدِث زلازل، سقوط ذوات الأربع والبشر. وحين سترَون الأخ يُسلِم الأخ للموت، الأولاد يقاومون الأهل، المرأة تترك زوجها، حين ستقوم للحرب أُمة على أُمة، إذاك ستعرفون أن النهاية قريبة. عندها، إذاً، لا يُشفِق الأخ على أخيه، ولا الرجل على امرأته، ولا الأولاد على أهلهم، ولا الأصدقاء على أصدقائهم، ولا العبد على سيِّده. فالذي يهدّد البشر سيصعد بنفسه من قعر الجحيم ويشهِّر كثيراً بالبشر. ماذا أستطيع من أجلك، يا عزرا، ولِمَ تترافع معي؟»

---

١ ـ العبارة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

٢ ـ تلميح ممكن إلى الطوفان.

قال النبي: «يا ربّ، لن أتوقّف عن الترافع ضدك.» قال الله: «عُدَّ زهور الأرض. إذا كنت تستطيع عدّها، تستطيع أيضاً الترافع معي.»

٣. النزول إلى الجحيم

قال النبي: «يا ربّ، لا أستطيع عدّها، إنني أرتدي جسداً بشرياً. لكنني لن أتوقّف عن الترافع ضدك. أريد أن أرى أيضاً، يا معلِّم، الأجزاء السفلى من قعر الجحيم.»

قال الله: «إنزِلْ وانظُرْ.»

وأعطاني ميخائيل، جبرائيل وأربعة وثلاثين ملاكاً آخرين. ونزلت ثمانين درجة وأنزلوني خمسمئة درجة. ورأيت عرشاً من نار وكان عجوز يجلس عليه، وحكمه يدعو إلى الرثاء.

قلت للملائكة: «مَنْ هو وما هي خطيئته؟»

قالوا لي: «إنه هيرودس، الذي أصبح ملكاً، زمناً. لقد أمر بإهلاك الأطفال الصغار بدءاً من عمر عامَين وما دون.»

فقلت: «الويل لنفسه!»

وأنزلوني بَعْدُ ثلاثين درجة، ورأيت هناك غليانات نار، وفي وسطها، جمع خطأة. كنت أسمع أصواتهم، لكنني لم أكن أرى أشكالهم. وأنزلوني إلى أسفل درجات عدة، لم أستطعْ تحديدها. ورأيت هناك رجالاً مسنِّين: كانت تدور محاور ملتهبة في آذانهم.

فقلت: «مَنْ هم وما هي خطيئهم؟»

قالوا لي: «إنهم الذين يُنصِتون على الأبواب.»

وأنزلوني بَعْدُ خمسمئة درجة أخرى، ورأيت هناك الدودة التي لا تغفو وناراً كانت تُحرِق الخطأة. ثم أنزلوني حتى قعر الهلاك الأبدي،

ورأيت هناك جروح الهاوية الإثني عشر. وقادوني نحو الجنوب، ورأيت هناك رجلاً مشنوقاً بجفونه والملائكة يجلدونه.

فسألت: «مَنْ هو وما هي خطيئته؟»

قال لي ميخائيل، كبير قضاة الحرب: «هذا ضاجع أُمه. لقد حقّق شهوة جنسية حقيرة، لذا أُمِر بأن يُشنَق[١].»

٤. المسيح الدجّال

وقادوني نحو الشمال، ورأيت هناك رجلاً ممسوكاً بقضبان حديدية.

فسألت: «مَنْ هو؟»

قال لي: «انه الذي قال: "أنا ابن الله"[٢]، صانعاً أرغفة للجمهور وخمراً بماء[٣].»

قال النبي: «يا ربّ، عرِّفْني إلى مظهره، لأنقله، أنا، إلى جنس البشر، حتى لا يؤمنوا به.»

قال لي: «مظهر وجهه: مثل مظهر حيوان متوحِّش. عينه اليمنى: مثل نجمة تبدو عند الفجر. الأخرى: ثابتة. فمه: عريض ذراعاً. أسنانه: طويلة شبراً. أصابعه: مثل مناجل كبيرة. باطن قدمَيه: من شبرَين. وعلى جبهته، كتابة: المسيح الدجّال. لقد ارتفع حتى السماء، وسيهبط حتى الجحيم. سوف يبدو أحياناً مثل طفل، وأحياناً مثل شيخ.»

---

١ ـ للزِّنى في التقليد اليهودي بُعْد ديني في ما يبدو، أكثر منه جنسي. إنه عصيان وتحدٍّ لله.

٢ ـ عبارة المسحاء الكذبة.

٣ ـ لدى اليهود، يمكن أن يقوم بذلك بِلْعال أو الشيطان أو المسيح الدجّال.

وقال النبي: «يا ربّ، كيف يمكنك أنت، أن تتسامح بأن يُخدَع جنس البشر؟»

قال الله: «إسمَعْ، يا نبيّي. إنه يبدو تارةً مثل طفل، وتارةً مثل شيخ، إنما لا يصدِّق أحد أنه إبني الحبيب. بعد ذلك، سوف يدوّي بوق، والقبور ستُفتَح، والموتى سيقومون، غير قابلين الفساد. عندها، يختبىء الخصم بعد أن يسمع التهديد الرهيب، في الظلمات البرّانيّة. عندها، ستُباد السماء والأرض والبحر. عندها، سأُحرِق السماء لثمانين ذراعاً والأرض لثمانمئة ذراع.»

قال النبي: «والسماء، بِمَ أخطأت؟»

قال الله: «في حضورها يحصل الشر.»

قال النبي: «والأرض، بِمَ أخطأت؟»

قال الله: «بعد أن يسمع التهديد الرهيب، سيختبىء الخصم. لذا سأُذيب الأرض، ومعها، العاصي من جنس البشر.»

وقال النبي: «أَشفِقْ، يا معلِّم، على جنس المسيحيين.»

ورأيت امرأة مشنوقة، وأربعة حيوانات متوحِّشة ترضع ثديَيها[1].

وقال لي الملائكة: «هذه رفضت أن تُرضِع، وحتى أنها رمت الرُّضعاء في الأنهار[2].»

ورأيت ظلمة مخيفة وليلاً من دون كوكب ولا قمر. ليس هناك فتى، ولا عجوز، ولا أخ مع أخيه، ولا أُم مع طفلها، ولا امرأة مع زوجها.

فبكيت وقلت: «يا أيها الربّ الإله، أَشفِقْ على الخطأة.»

---

١ ـ فكرة مصرية الأصل.

٢ ـ قتل الطفل، ورفض الإرضاع خصوصاً، تدينهما الأخلاق المصرية.

٥. العودة إلى السماء

وفيما كنت أتكلّم هكذا، أتت سحابة، وخطفتني وحملتني مجدداً إلى السماوات. ورأيت هناك محاكمات كثيرة، فبكيت بمرارة وقلت:

«كان من الأفضل لو ان الإنسان لم يخرج من بطن أُمه.»

والذين في العقاب أخذوا يصرخون قائلين: «منذ أتيتَ إلى هنا، يا قدِّيس الله، وجدنا قليلاً من الراحة.»

قال النبي: «طوبى للذين يبكون خطاياهم.»

قال الله: «إسمَعْ، يا عزرا الحبيب. كما يودع الحارث حبّة القمح الأرض، يودع الإنسان بذاره أرض المزرعة. في الشهر الأول يبقى كلّ شيء متماسكاً، في الثاني ينفتح، في الثالث ينبت الشعر، في الرابع تتكوّن الأظافر، في الخامس يتحوّل [الجنين][١] حليباً، في الشهر السادس هو جاهز ويتلقّى النَّفْس، في السابع هو قابل للحياة، في التاسع تفتح أقفال باب المرأة ويولد [الطفل][٢] على الأرض، في صحة جيّدة.»[٣]

قال النبي: «يا ربّ، كان من الأفضل لو ان الإنسان لم يولَدْ. الويل للـ[جنس][٤] البشري إذاً، حين تأتي للدينونة.»

قلت للمعلِّم: «يا ربّ لِمَ صنعت الإنسان وأسلمته للدينونة؟»

قال الله، بتصريح قوي: «لن أُشفِق بالتأكيد على الذين ينتهكون عهدي.»

---

١ و٢ ـ الكلمة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

٣ ـ وصف الحبل مطابق للأدب التنجيمي، إنما لا يطابق أي نظرية علمية في الزمن القديم. إنه خليط وسوسات ومعتقدات شعبية.

٤ ـ راجع ١ و٢.

قال النبي: «يا ربّ، أين جودك؟»

قال الله: «أنا، خلقت كلّ شيء، لأجل الإنسان. لكن الإنسان لا يحفظ وصاياي.»

قال النبي: «يا ربّ، أكشُف لي أمكنة القضاء والجنّة. عندها، قادني الملائكة نحو الشرق، ورأيت شجرة الحياة. رأيت هناك أَخنوخ، إيليا، موسى[1]، بطرس، بولس، لوقا، متى، كلّ الأبرار والآباء. ورأيت هناك عقاب الهواء، عصف الرياح، مكان إيداع الجليد والأحكام الأبدية. ورأيت هناك رجلاً مشنوقاً من رأسه.

قلت: «من هو؟»

قالوا لي: هذا بدّل موضع الحدود[2].»

ورأيت هناك محاكم عظيمة، فقلت للمعلّم: «ربّي وإلهي، أي إنسان إذاً، وقد وُلِد، لم يُخطىء؟»

وقادوني إلى أسفل إلى قعر الجحيم، ورأيت كلّ الخطأة الذين كانوا ينوحون ويبكون. وكنت أبكي، أنا أيضاً، وأنا أرى الجنس البشري معاقَباً هكذا.

عندها قال لي الله: «أتعرِف، يا عزرا، إسم الملائكة المكلّفين بالتّمام؟ ميخائيل، جبرائيل، أُوريل، روفائيل، غابوتلون، أَكِر، أَرفوجيتونوس، بيبوروس، زبوليون[3].»

---

١ ـ الشخصيات الثلاث المنتظرة عودتها بحسب العهد القديم لتدشّن العصر المسيحي.

٢ ـ إنتهاك محرَّم شائع في المجتمعات الريفيّة. يؤكّد ذلك العهد القديم والأدب اليهودي.

٣ ـ الأسماء الأربعة الأولى لرؤساء الملائكة. الخمسة الآخرون غير معروفين في قائمة الملائكة والشياطين. في النصوص المصرية أَكِر هو الأسد المزدوج الذي يحرس أبواب الآخرة.

٦. موت النبي

عندها أتى صوت إليّ: «مُت الآن، يا عزرا، يا حبيبي. أَعطِ المستودع الذي عُهِد به إليك.»

لكن النبي قال: «من أين يمكنكم أخذ نفسي؟»

قال الملائكة: «يمكننا سحبها من الفم.»

قال النبي: «تكلّمت وجهاً لوجه[١] مع الله، ليس من هناك ستخرج!»

قال الملائكة: «يمكننا أخذها من منخرَيك.»

قال النبي: «منخراي تنشّقا مجد الله.»

قال الملائكة: «يمكننا أخذها من عينَيك.»

قال النبي: «عيناي رأتا ظهر الله.»

قال الملائكة: «يمكننا أخذها من قمة الرأس.»

قال النبي: «بعد موسى، سرت على الجبل، ليس من هناك ستخرج!»

قال الملائكة: «يمكننا سحبها من طرف أظافرك.»

قال النبي: «قدماي سارتا قرب المذبح.»

وابتعد الملائكة، الذين لم يكونوا يتوصّلون إلى شيء، وهم يقولون: «يا ربّ، لا يمكننا أخذ نَفْسه.»

عندها، قال الله لابنه الوحيد: «إنزِلْ، يا إبني الوحيد، مع جيش وافر من الملائكة، لأخذ نَفْس حبيبي عزرا.»

١ ـ حرفيّاً: «من فم إلى فم»، وهو امتياز موسى.

وأخذ الربّ بالفعل جيشاً وافراً من الملائكة وقال للنبي: «أَعطِني المستودع الذي عُهِد به إليك، الذي وضعته فيك. من أجلك الإكليل جاهز[١].»

وقال النبي: «يا ربّ، إذا انتزعت مني نَفْسي، فمَنْ سيبقى لك للترافع لمصلحة جنس البشر؟»

قال الله: «طالما أنت فانٍ ومُستمَدّ من التراب، لا تترافع معي.»

قال النبي: «لن أتوقّف عن الترافع ضدك.»

قال الله: «هاتِ مع ذلك المستودع. من أجلك، الإكليل جاهز. مُت الآن، لتناله.»

عندها، أخذ النبي يقول، باكياً: «يا معلّمي، إذا سقطت الآن أرضاً، فمن أجل ماذا أفادت مرافعتي ضدك؟ وا أسفي، وا أسفي، لأنني سأهلك بالدود. أُبكوني كلّكم، أيها القدّيسون والأبرار، أنا الذي رافعت كثيراً إنما الذي أُسلِمت للموت. أُبكوني كلّكم، أيها القدّيسون والأبرار، لأنني دنوت من كأس الجحيم.»

قال له الله: «إسمَعْ، يا عزرا، يا حبيبي. أنا الخالد، احتملت الصليب، ذقت الخلّ والمرّ، وُضِعت في قبر[٢]. لكنني أقمت مختاريّ، ناديت آدم من الجحيم، لأُخلّص جنس البشر. لا تخَفْ إذاً من الموت. فما يأتي مني، أي النَّفْس، يعود بالفعل إلى السماء. لكن ما يأتي من التراب، أي الجسد، يعود إلى التراب، من حيث أُخِذ.»

---

١ ـ صورة كلاسيكية لخلاص المختارين.

٢ ـ عقيدة احتمال الله الآلام برزت على ما يبدو في آسيا الصغرى في القرن الثاني م. قبل انتشارها في حوض المتوسط. قال بها مسيحيون لم يريدوا أن يتهمهم اليهود برفع المسيح إلى مصاف إبن الله وبشّروا بوحدانية صارمة. دانها أُسقف روما كاليست في القرن الثالث م. والبابا ليون الكبير عام ٤٤٧م.

قال النبي: «وا أسفي، وا أسفي! ما العمل؟ كيف التصرُّف؟ لا أدري.»

عندها أخذ عزرا المغبوط يقول: أيها الإله الأبدي، يا خالق الكون كلّه، أنت الذي قست السماء بالشبر، وضبطت الأرض في ثلث مكيال، أنت الذي تدير الكاروبيم، أنت الذي خطفت النبي إيليا نحو السماوات على عربة من نار، أنت الذي تعطي الغذاء كلّ جسد، أنت الذي تُرعِشْ كلّ شيء وتُرجِفه أمام قدرتك، أَنصِتْ إليّ، أنا الذي رافعت كثيراً، واعطِ كلّ الذين سينسخون هذا الكتاب ويحتفظون به، الذين سيتذكّرون إسمي ويُحيون ذكري، أَعطِهِمْ بركة من السماء. وباركْ حياته كلّها كما [باركت][1] وضع أيوب الجديد، ويوم دينونته، لا تذكُرْ خطاياه القديمة. إنما الذين لن يؤمنوا بهذا الكتاب، ليُحرَقوا تماماً، مثل سادوم وعامورة[2]!»

وأتى صوت قال له: «يا عزرا، يا حبيبي، كلّ ما طلبته، سوف أُعطيه لكلّ واحد.»

وعلى الفور، أسلم نَفْسه الموقّرة، بإجلال كبير، في اليوم الثامن عشر من شهر تشرين الأول[3]. ودفنوه مع عطور وأناشيد. ويوزّع جسده القدّيس والموقّر، على الذين يتحسّرون عليه ويهرعون إليه قوة نفسية وجسدية، لا تنضب[4].

له يليق المجد، القدرة، الإكرام والعبادة، الآن وإلى الأبد. آمين.

---

١ ـ الكلمة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

٢ ـ نجد هذا النموذج لدى سحرة الإمبراطورية المصرية الجديدة.

٣ ـ إرتضاء عزرا موته هو نتيجة استجابة صلاته الأخيرة، لا حصوله على نعمة إلهية أخيرة. هكذا، يعني موته البشرية جمعاء، ويغدو أعظم من موسى!

٤ ـ تاكيد الحج إلى قبر القدّيس، إنما من دون ذكر مكانه. يقول پيار دياكر (القرن الثاني عشر م.) أن عزرا مدفون في أَسوا، على الطريق بين إيلوتيروپوليس وحبرون.

رؤيا سدراك[1] لنهاية العالم

النص جـدل لاهوتي بـين الله وسـدراك، على رغم احتوائه بعض صفات رؤيا نهاية العالم. وينتـهي بتشفُّع سدراك للخطأة. محوره ثلاثة أسئلة: إذا كان العالم قد خُلِق ليعيش الإنسان فيه، فلِمَ الأخير محكوم عليه بالموت؟ إذا جهد الله لصنع الإنسان، فلِمَ التدمير والعقاب يتغلّبان على الرحمة؟ إذا كانت معصية آدم ناتجة من خدعة شيطانية، فلِمَ يُبقي الله الذي يهدِّد صنيعه، بإدامة الشر؟

بين الجدل اللاهوتي والصلاة الأخيرة، نجد ثلاثة فصول في رفض القدِّيس الموت.

يؤكد النص أن الخلاص بالأعمال، ويحصر الغفران الإلهي في المهتدين. ويشير إلى أن محبة الله هي أساساً حرية الإختيار التي تركها للإنسان. قد يكون أصل الرؤيا فلسطيني (مقاطعة العربية) قبل الفتح العربي.

مخطوط الرؤيا واحد، موجود في أُوكسفورد؛ نصّه مشوَّه، ويحتوي بعض كلمات مجهولة المعنى.

---

١ ـ الاسم صيغة مشوُهة لاسم عزرا، على الأرجح.

١. أولوية المحبة

خطاب القدِّيس والمغبوط سدراك في شأن المحبة وحتى اهتداء مسيحيين مستقيمي الرأي، وفي شأن المجيء الثاني لربّنا يسوع المسيح. المعلِّم، المبارك.

أيها الأحباء، دعونا لا نُكرِم شيئاً آخر سوى المحبة الصادقة. غالباً ما نتعثَّر، بالفعل، كلّ يوم، كلّ ليلة وكلّ ساعة. لذا لنمتلك المحبة. هي تكفِّر، بالفعل، عن خطايا كثيرة. وفي الواقع، يا أولادي، ما فائدة امتلاك كلّ شيء، إنْ كنا لا نملك المحبة التي تخلِّص؟

أيها الأولاد الصغار، ما فائدة تقديم طعام فخم، دعوة ملكٍ ووالٍ، تحضير كلّ أنواع الأشياء الغالية لئلا يسبِّب شيء إزعاجاً، إنْ لم نكن نملك ملحاً؟ هذا الطعام، لا يمكن بالتأكيد، أن يُتناوَل. إننا لم نقُمْ فقط بإنفاق غير مجدٍ، لكننا خسرنا جهدنا وفقدنا أهليتنا لدى ضيوفنا أيضاً. والأمر سواء هنا، يا إخوتي: بالنسبة إلينا، ما الفائدة؟ أي نعمة نملك في الواقع من دون محبة؟

كلّ عملٍ واهٍ. حتى لو حفظ أحدهم عذريته، حتى لو صام، حتى لو سهر وصلّى وقدّم وليمة للفقراء، حتى لو حمل إلى الله قرابين أو قدّم بواكير كلّ خيوره، حتى لو بنى كنائس، أو فعل أي شيء آخر، من دون محبة لا يُحسَب شيء عند الله. لم يُقَرّ ذلك في الواقع لأن النبي أيضاً يقول: «ان ذبيحة الكافرين رجس عند الربّ.» لا تقرِّرْ أن تفعل يوماً شيئاً ما من دون محبة. إذا قلت: «أكره أخي، لكنني أُحِبّ المسيح، فأنت كاذب.» إنّ يوحنا اللاهوتي يُفحِمك بالضلال في الواقع: «مَنْ لا يُحِبّ أخاه الذي يراه، الله الذي لا يراه، كيف يستطيع أن يُحِبّه؟» من الواضح أن الذي يملك كراهية لأخيه ويعتقد بأنه يُحِبّ

المسيح كاذب ويخدع نفسه بنفسه. ان يوحنا اللاهوتي يقول بالفعل: «هذه الوصية، حصلنا عليها من الله، حتى الذي يُحِبّ الله يُحِبّ أيضاً أخاه.» وبدوره، قال الربّ: «على هاتين [الوصيتين][1] تتوقّف الشريعة كلّها والأنبياء.»

يا للروعة الخارقة والفائقة التصوُّر! إن الذي يملك المحبّة ينفِّذ الشريعة كلّها. المحبة، هي بالفعل تمام الشريعة. يا لقدرة المحبة التي لا نظير لها! يا لقدرة المحبة التي لا تُحَدّ! ما من شيء يملك قيمة سوى المحبة، ما من شيء أعظم لا في السماء ولا على الأرض. إن هذه المحبة، ذات الطبيعة الإلهية، هي تتويج كلّ الفضائل.

المحبة هي تمام العالم. هي التي كانت مهمازاً في قلب هابيل، هي التي ساعدت الآباء، هي التي حفظت موسى، هي التي جعلت من داوود مسكن الروح القدس، هي التي عضدت يوسف؛ لِمَ الكلام عن ذلك؟ الأهم هو أنها أنزلت إبن الله من السماوات إلينا. بسبب المحبة، أُظهِر كلّ ما هو صالح، فصُرِع الموت، وأُسِر إله الجحيم، وبُعِث آدم... إلخ. بسبب المحبة، أصبح الملائكة والبشر قطيعاً واحداً. بسبب المحبة، الجنّة مفتوحة، ملكوت السماوات موعود. هي التي حوّلت الصحاري دُوراً، هي التي حوّلت الجبال والكهوف إنشاداً، هي التي علّمت الرجال والنساء السير في الطريق الضيِّقة والمُنحصِرة. إنما حتى متى تقديم الصفات الفريدة للمحبة؟ وفوق ذلك، حتى الملائكة لن يستطيعوا ذلك في شكل مقبول.

يا أيتها المحبة المغبوطة، رأس كلّ ما هو صالح! طوبى للإنسان الذي اكتسب الإيمان الحقيقي والمحبة الصادقة! كما قال المعلّم: «ليس من حبّ أعظم من أن يبذل المرء حياته لأصدقائه.»

١ ـ الكلمة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

٢. صوت من السماء

ومن دون أن يراه، سمع سدراك الصوت:

«أَتريد، أَترغب في الاتصال بالله وسؤاله أن يكشف لك الأمور التي تريد أن تطرح في شأنها أسئلة؟»

قال سدراك: «ماذا، يا ربّي؟»

فقال له الصوت: «أُرسِلت، أنا، إليك لأُصعِدك هكذا إلى السماء.»

قال هو: «أودّ التكلُّم وجهاً لوجه مع الله، لكنني لست قادراً، يا ربّ، على الذهاب إلى فوق إلى السماوات.»

وبسط الملاك جناحَيه لحمله ومضى إلى فوق إلى السموات، حتى السماء الثالثة حيث أقامه. وقامت شعلة الأُلوهة أيضاً هناك.

٣. الترافع

وقال له الربّ:

«حسن أنك أتيت، يا حبيبي سدراك. لِمَ لديك دعوى مع الله الذي صنعك؟ لأنك قلت: "أريد التكلُّم وجهاً لوجه مع الله."»

قال له سدراك: «نعم، للإبن دعوى مع الأب. يا ربّي، لِمَ صنعت الأرض؟»

قال له الربّ: «لأجل الإنسان.»

قال سدراك: «ولِمَ صنعت البحر؟ لِمَ بذرت كلّ ما هو صالح على الأرض؟»

قال الربّ: «لأجل الإنسان.»

قال له سدراك: «إذا كنت قد فعلت ذلك، فلِمَ أهلكته؟»

قال الربّ: «الإنسان صنيعتي وتشكيل يدَيّ. أُربّيه كما أتصوّر ذلك.»

قال له سدراك: «تربيتك، هي العقاب والنار. إنهما مرّان، يا ربّي. كان من الأفضل لو ان الإنسان لم يولد. ماذا فعلت، بهذه السرعة، يا ربّي؟ لِمَ أتعبت يدَيك غير المدنَّستَين، لِمَ صنعت الإنسان، طالما أنك لم تكن تريد أن تُشفِق عليه؟»

٤. آدم والشيطان

قال له الله: «أنا، صنعت الجبلة الأولى آدم، ووضعته في الجنّة، في وسط شجرة الحياة، وقلت له: "من كلّ الثمار، كُلْ، حاذِر فقط شجرة الحياة. فإذا أكلت منها، فستموت بالفعل موتاً." لكنه لم يسمَعْ وصيتي، وأكل من الشجرة، وقد خدعه الشيطان.»

قال له سدراك: «لأنك تريد ذلك، يا معلّمي، خُدِع آدم. أنت، أمرت ملائكتك بالسجود أمام آدم، لكن الذي كان أول الملائكة لم يسمَعْ امرك ولم يسجُدْ أمامه؛ وأنت، طردته لأنه خالف أمرك ولم يتقدّمْ نحو العمل الذي صنعته يداك. إذا كنت تُحِبّ الانسان، فلِمَ لم تقتل صانع الظلم، الشيطان؟ مَنْ يستطيع مقاتلة روح غير مرئية؟ فهو، مثل دخان، يدخل قلب البشر[1]. ويعلِّمهم كلّ خطيئة. هو، يحاربك، أنت، الله الخالد؛ إذاً، ماذا يستطيع أن يفعل ضده والحال هذه، الانسان الجدير بالشفقة؟ أشفِقْ، يا معلِّم، والغِ العقابات. وإلا اقبَلْني أنا

١ ـ في المعتقدات الشعبية، كانت الشياطين سيِّدة العناصر، موجودة فيها ـ وخصوصاً الهواء ـ وهي غير مرئية.

أيضاً، مع الخطأة. إذا كنت لا تُشفِق على الخطأة، فأين هي مراحمك، أين هي رأفتك، يا ربّ؟»

قال له الله: «ليكن معلوماً منك أن كلّ ما أمرته به كان حامل مصالحة، فقد جعلته عاقلاً، وارث السماء والأرض، اتبعت به كلّ شيء، وكلّ حيوان يهرب أمامه وأمام وجهه. إنما هو، الذي تلقّى ما هو لي، أصبح غريباً، زانياً وخاطئاً. قُلْ لي، من أيّ نوع هو الأب الذي قدّم هبةً لابنه؟ وهذا الأخير، بعدما تلقّى ماله، رحل متخلّياً عن أبيه، وأصبح غريباً وعبد غريب. إن الأب رأى أن ابنه تخلّى عنه، فأظلم قلبه. إن الأب مضى يستعيد ماله وطرد ابنه من مجده لأنه تخلّى عن أبيه. كيف أنا، الله الرائع الغيور، أعطيته كلّ شيء وهو الذي تلقّى ذلك، أصبح زانياً وخاطئاً؟»

قال له سدراك: «أنت، يا معلِّم، صنعت الإنسان. تعرف من أين مصدر إرادته، من أين مصدر معرفتنا، وتبحث عن ذرائع لعقاب الإنسان. والحال هذه، أُطرُدْه. ألا أملأ بالفعل، أنا وحدي تماماً، المساكن السماوية؟ وإلا، خلِّص الإنسان أيضاً، يا ربّ. لأنك كنت تريد ذلك، يا ربّ اخطأ الإنسان الجدير بالشفقة.»

٥. مراقبة الانسان

قال الله: «لِمَ تهاجمني بكلمات، يا سدراك؟ أنا، صنعت آدم، وامرأته، والشمس، وقلت: "أُنظروا، في ما بينكم، من هو منير." كانت الشمس وآدم من ميزة واحدة لكن امرأة آدم أسطع جمالاً من القمر[١]، وشاركها حياتها.»

---

١ ـ يقول ابن المعتزّ إن أول ما يخطر في البال حين نريد وصف شيء فائق الجمال وإظهار كماله البالغ، هو القول: «وجه شبيه بالقمر.»

قال سدراك: «ما فائدة الأشياء الجميلة، إذا كانت تُتلَف تراباً؟ كيف تقول، يا ربّ: "لا تبادل الشر بالشر"؟ كيف والحال هذه، يا معلّم؟ إن كلمتك الإلهية لا تكذب أبداً، لكن، إذاً، لِمَ تعامل الانسان بالمثل؟ أَلا تريد الشر مقابل الشر؟ أنا أعلم أن البغلة حيوان ماكر، أكثر من ذوات الأربع الأخرى. لكننا نضربها برسن حين نحن نريد ذلك. أنت لديك ملائكة. أَرسِلْهم يراقبون، وفي كلّ المرات التي يتحرك فيها الانسان نحو الخطيئة، احتجِزْ قدمه، واحدةً، ولن يتقدّم بالتأكيد إلى حيث يريد.»

قال له الله: «إذا احتجزت قدمه، يقول: "لم تُنعِمْ عليّ في العالم." لكنني تركته يذهب كما يشاء لأنني كنت أُحِبّه. لذا أرسلت ملائكة عدلي يراقبونه ليل نهار.»

قال سدراك: «اعلم، يا معلّم، ان الانسان مَنْ أحببت أولاً بين مقتنياتك؛ بين ذوات الأربع، النعجة؛ بين الأشجار، الزيتونة؛ بين الثمار، قضيب الكرمة؛ بين الكائنات المجنَّحة، النحلة؛ بين الأنهار، الأُردن؛ بين المدن، أُورشليم. وكلّ ذلك يُحِبّه الإنسان أيضاً، يا معلّمي.»

قال الله لسدراك: «أطرح عليك سؤالاً واحداً، يا سدراك. إذا أحسنت إجابتي، فقاتِلْ معي[1]، حتى لو جرّبت، بطريقة ما، مَنْ صنعك.»

قال سدراك: «تكلَّمْ.»

الربّ الإله: «منذ صنعت كلّ الأشياء، كم من البشر وُلِدوا وكم ماتوا؟ كم كانوا يريدون الموت وكم شعرة لديهم؟ قُلْ لي، يا سدراك،

١ ـ عبارة مُبهَمة.

منذ نشأت السماء والأرض، كم كان من أشجار في العالم وكم سقطت؟ كم كانت تريد السقوط، كم كانت تريد العيش وكم ورقة لديها؟ قُلْ لي، يا سدراك، منذ صنعت البحر، كم من الأمواج ارتفعت وكم هبطت؟ كم كان يجب أن ترتفع وكم من الرياح هبّت على طول شاطىء البحر؟ قُلْ لي، يا سدراك، منذ إنشاء عالم الأزمنة، حين يكون الهواء مليئاً بالمطر، كم من القطرات سقطت في العالم وكم كان يجب أن تسقط؟»

وقال سدراك: «أنت وحدك، تعرف كلّ ذلك، يا ربّ. أنت وحدك، تحفظ كلّ ذلك. أرجوك فقط، نجِّ الإنسان من العقاب. وإلا لأذهب، أنا أيضاً، إلى العقاب ولا أكون منفصلاً عن جنسي.

٦. إستعادة الوديعة

وقال الله لابنه، المولود الوحيد: «هيّا، خُذْ نَفْس حبيبي سدراك، وأَرِحْها في الجنّة.»

فقال الابن، المولود الوحيد، لسدراك: «[أَعطِني][١] تلك التي اودعها أبي بطن أُمك، مسكنك المقدَّس، منذ نعومة أظافرك.»

قال سدراك: «لا أُعطيك نَفْسي[٢].»

فقال له الله: «ولِمَ أنا أُرسِلت وأتيت إلى هنا، إنْ أنت بحثت لي عن أعذار؟ أنا تلقّيت الأمر من أبي بأخذ نَفْسك من دون تردُّد. لذا أَعطِني نَفْسك المُرامَة جداً.»

---

١ ـ الكلمة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

٢ ـ رفضُ سدراك يذكِّر برفض إبراهيم.

وقال سدراك لله: «ومن أين ستأخذ نَفْسي، إنطلاقاً من أي عضو؟»

فقال له الله: «ألا تعلم ان النَّفْس موضوعة في وسط رئتَيك وقلبك، وأنها نُشِرت في كلّ أعضائك؟ انها تُقاد عبر البلعوم، الحنجرة والفم. وفي الساعة التي هي على وشك الخروج، تنحصر وتتجمّع من أطراف الأظافر ومن كلّ الأعضاء. ولا مفرّ إطلاقاً من أن تُفصَل عن الجسد وتُنتزع من القلب.

٧. نواح النبي

وثار سدراك، بعدما سمع كلّ ذلك وتصوّر ذكرى الموت، وقال سدراك لله: «إمنَحْني، يا ربّ، مغفرة صغيرة لأبكي، فقد تناهى إليّ أن للدموع قدرة كبيرة وهي علاج عظيم للجسد المسكين، صنيعك.»

وأخذ يبكي وينتحب قائلاً[١]: «يا أيها الرأس الرائع المُزدان مثل السماء، يا نور الشمس على السماء والأرض! شعرك أشهر من تيمان[٢]، عيناك من بوصور[٣]، أُذناك من الرعد، لسانك من البوق ودماغك إبداع صغير، الرأس ما يحرّك كلّ الجسد. أنت الجدير بالحُبّ وأجمل من كلّ ما هو محبوب [...] والآن، وقد سقط في الأرض، أصبح مجهولاً.

«يا أيتها اليدان الناعمتان، المتعلِّمتان جيداً، المجتهدتان، اللتان تغذِّيان الغطاء الجسدي! يا أيتها اليدان الماهرتان، اللتان تكدِّسان كلّ

١ ـ تعداد أجزاء الجسد ووصفها يذكّران بنشيد الأنشاد. وأناشيد الحُبّ عرفتها أيضاً مصر القديمة وتعرفها حفلات الزفاف الفولكلورية في لبنان وسوريا وفلسطين.

٢ ـ بلاد آدوم القديمة.

٣ ـ بُصرى، عاصمة بلاد ادوم، ثم مملكة النبط، فالمقاطعة العربية الرومانية. عرفت أوجها أيام يوستينيانوس في القرن السادس م. وكانت تتبع بطريركية أنطاكية.

شيء، لقد زيَّنتِ البيوت. يا أيتها الأصابع المُزدانة والمزيَّنة ذهباً وفضّةً، التي تُنجِز إبداعات عظيمة! المفاصل الثلاثة تبسط راحتَي الكفّ فتكدِّسان الأشياء الجميلة. والآن تصبحين ضيفات هذا العالم.

«يا أيتها القدمان الجميلتا المشي، اللتان تركضان من تلقائكما، سريعتَين جداً، لا تُقهَران إطلاقاً! يا أيتها الرُكبتان المستويتان جيداً لأن من دونكما لا يُحرَّك الغطاء الجسدي. القدمان تركضان مع الشمس والقمر، ليل نهار، مكدِّستَين كلّ الأشياء، الحلويات والمشروبات، ومغذِّيتَين الغطاء الجسدي. يا أيتها القدمان الصلبتان جداً والجميلتا الجري، اللتان تتحرّكان على سطح الأرض، اللتان تحضِّران كلّ خير للبيوت! أيتها القدمان اللتان ترفعان الجسد كلّه، اللتان تركضان نحو الهيكل، مؤديتان توبات ومُبتهِلتان إلى القدِّيسين! الآن تلبثان جامدتين.

«يا أيها الرأس، اليدان والقدمان، حتى الآن أُخلِّصك. يا أيتها النَّفْس، لِمَ ألقوك في الجسد الحقير والمسكين؟ والآن أنت منفصلة عنه وتصعدين إلى حيث يأمرك الربّ، والجسد المسكين يمضي إلى الدينونة. يا أيها الجسد المزيَّن، الشعر المتطاير مثل الكواكب، الرأس المُزدان مثل السماء، المزيَّن! يا أيها الوجه الزكيّ العطر، العينان اللتان تأتيان بالنور، الصوت الذي هو صدى البوق، اللسان الحامل المصالحة، الذقن المُزدانة جيداً، الشعر الشبيه بالكواكب، الرأس العالي كما السماء، الجسد المزيَّن جيداً، أنت الذي تأتي بالنور، الذي تحمل العذوبة، الذي تستطيع معرفة كلّ شيء! والآن وقد سقطت في الأرض، هيّا، أيها الجسد، جمالك أصبح غير مرئي.»

٨. الفرصة الأخيرة

قال له المسيح: «توقَّفْ، يا سدراك. حتى متى ستذرف دموعاً وتنوح؟ ان الجنّة مفتوحة لك، وميتاً، سوف تحيا.»

قال له سدراك: «سوف أُكلِّمك مرة أخرى، يا ربّ، طالما أحيا، قبل أن أموت. لا ترفض سماع طلبي.»

قال له الربّ: «تكلَّمْ، يا سدراك.»

[قال سدراك][١]: «إذا عاش إنسان ثمانين، تسعين أو مئة عام وعاشها في الخطايا، إنما تاب وعاش في الاهتداء، فخلال كم من الأيام عليه أن يكون قد اهتدى لتغفر له خطاياه؟»

قال له الله: «إذا تاب، وقد عاش مئة [أو][٢] ثمانين عاماً، واهتدى خلال ثلاثة أعوام، إذا أثمر ثمر عدل وحلّ الموت، فلن أذكر بالتأكيد كلّ خطاياه.»

فقال له سدراك: «ثلاثة أعوام شيء كثير، يا ربّي. علّ موته لا يحلّ قبل أن يكون قد أتمّ اهتداءه! أَشفِقْ، يا ربّ، على صورتك، وكُنْ رحوماً، لأن ثلاثة أعوام، شيء كثير!»

قال له الله: «إذا عاش إنسان خلال مئة عام، وتذكّر موته، ومارس اعترافاً أمام الناس ووجدته، بعد فترة، فسوف أغفر كلّ آثامه.»

فقال سدراك مجدداً: «يا ربّ، ابتهل مرةً أخرى إلى رحمتك [من أجل][٣] صنيعك. الوقت طويل: علّ موته لا يحلّ ويخطفه بعنف!»

قال له المخلِّص: «أطرح عليك سؤالاً واحداً، يا سدراك، يا حبيبي.

---

١ و٢ و٣ - العبارات أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

ثم تسألني. إذا اهتدى الخاطىء خلال أربعين يوماً، فلن أتذكّر بالتأكيد كلّ الخطايا التي ارتكبها.»

وقال سدراك لرئيس الملائكة ميخائيل: «أَنصِتْ إليّ، أيها الحامي القادر، أَنجِدْني وكُنْ سفيري، ليُشفِق الله على العالم.»

وسجدا وابتهلا إلى الله قائلَين: «يا ربّ، علِّمْنا بأي طريقة، بأي اهتداء وبأي جهد سوف يخلص الإنسان.»

[قال له الله][1]: «باهتداءات، بابتهالات، بطقوس، بسيل من الدموع، بتأوّهات حارة. أَلا تعلم أن نبيّي داوود خلص بدموع؟ الآخرون، تعلم أنهم خلصوا بلحظة واحدة. تعلم، يا سدراك، أن هناك وثنيين لا يملكون الشريعة إنما يفعلون [أمور][2] الشريعة؛ ليسوا معتمِدين، لكن روحي الإلهي مضى إليهم؛ يتحوّلون نحو معموديتي واستقبلهم مع أبراري في حضن إبراهيم. بعضهم اعتمدوا بمعموديتي ودُهِنوا بزيتي الإلهي؛ لكنهم يغدون يائسين، يأساً شديداً، ولن يتغيّروا. إلا أنني أنتظرهم بكثيرٍ من الرحمة، بكثيرٍ من الشفقة والجود ليهتدوا. ومع ذلك، يفعلون ما تُبغِضه أُلوهتي، ولم يستمعوا إلى الحكيم الذي كان يطرح سؤالاً قائلاً: "لا نبرِّر أبداً الخاطىء. "أَلا تعلم تماماً أنه مكتوب: 'إن الذين اهتدَوا، لن يرَوا بالتأكيد العقاب.'؟» إنما [لم يستمعوا][3] إلى الرسل ولا إلى كلماتي في الأناجيل؛ إنهم يكدِّرون ملائكتي، وفي المحافل الدينية وفي طقوسي، ليسوا منتبهين حقاً إلى ملاكي؛ إنهم لا يمكثون في كنائسي المقدَّسة، بل يمكثون من دون أن يكونوا منتبهين، من دون وجل ولا ارتجاف، ويُلقون خطباً عظيمة لا أرضى بها أنا ولا ملائكتي.»

---

١ و٢ و٣ ـ العبارات أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

قال سدراك لله: «يا ربّ، أنت وحدك من دون خطيئة ومملوء رحمة، أنت الذي تُشفِق على الخطأة وترأف بهم، لكن أُلوهتك قالت: "لم آتي لأدعو الأبرار بل الخطأة إلى الاهتداء."»

قال الربّ لسدراك: «ألا تعلم يا سدراك أن اللص، بلحظة واحدة، تغيّر وخلص؟ ألا تعلم أن رسولي وإنجيليّ[١] خلص، هو أيضاً، بلحظة واحدة؟ [إنما][٢] لأن قلبهم مثل حجر فاسد، هؤلاء يتقدّمون على طرق كافرة وهم هالكون مع المسيح الدجّال.»

قال سدراك: «يا ربّي، قلتَ أيضاً: "إن روحي الإلهي مضى إلى الوثنيين الذين يفعلون ما تأمر به الشريعة، من دون أن يملكوا شريعة." إنما بما أن اللص والرسول والإنجيلي والآخرين الذين تعثّروا، دخلوا ملكوتك، يا ربّي، كذلك كُنْ حليماً، يا ربّ، بالنسبة إلى الذين خطئوا في الأزمنة الأخيرة. لأن الحياة تجلب كثيراً من العذابات وقليلاً من الندامة.»

قال الربّ لسدراك: «لقد صنعت الإنسان في أطوار ثلاثة. حين كان فتياً، لفكرة أنه كان فتياً، كنت أُغمِض عينَيّ عن كبواته. حين غدا رجلاً، كنت أسهر على ضميره. حين شاخ، أسهر أيضاً عليه ليهتدي.»

قال سدراك: «يا ربّ، أنت تعلم كلّ ذلك وتحفظه. أُشعُرْ فقط بالرأفة بالنسبة إلى الخطأة.»

فقال له الربّ: «يا سدراك، يا حبيبي، أَعِدك بالشعور بالرأفة حتى تحت أربعين يوماً، إلى عشرين. والذي يتذكّر اسمك، لن يرى بالتأكيد

---

١ ـ القدّيس بولس.

٢ ـ الكلمة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

مكان العقاب، لكنه سيكون مع الأبرار في مكان عزاء وراحة. وإذا كتب أحدهم هذا الكتاب الرائع، فلن تُعَدّ خطيئته بالتأكيد إلى أبد الآبدين.»

وقال سدراك: «يا ربّ، إذا نوّر[١] أحدهم من أجل خادمك، نجِّه، يا ربّ، من كلّ شر.»

وقال سدراك، خادم الله: «الآن خُذْ نَفْسي، يا معلِّم.»

وأخذها الله ووضعها في الجنّة، مع كلّ القدِّيسين.

له المجد والقوة إلى أبد الآبدين، آمين.

---

١ ـ التنوير أو «تطواف الأنوار»، كان يجري في الكنائس الشرقية خلال احتفالات العماد ليلة الفصح. نجده مذكوراً في القرن السادس م. في فلسطين، بالنسبة إلى مآتم الشهداء، يرافقه إيداع الذخائر.

رؤيا عزرا

نص لاتيني من نوع رؤيا نهاية العالم، محفوظ اليوم في تنقيحات أربعة، نترجم هنا أطولها.

في القسم الأول، يقود سبعة ملائكة عزرا في زيارة إلى الجحيم تسمح له باكتشاف عذابات الخطأة. يلتمس النبي لهؤلاء مراراً وعبثاً الرحمة الإلهية.

في القسم الثاني، يقود رؤساء الملائكة عزرا إلى حضرة الله الذي يكشف له وحياً يتناول نهاية الأزمنة والمسيح الدجّال. ثم ينال فترة راحة لمصلحة الملعونين.

القسم الأخير مخصَّص لموت عزرا الذي يسبقه نقاش بينه وبين ميخائيل، فالربّ، ويُختَتم بذكر عيد القدّيس.

يُشبه في أُسلوبه وموضوعه ونهاية التماس عزرا رؤيا بطرس ورؤيا بولس لنهاية العالم. لكنه يعكس تصوُّراً أقل مسيحية في شكل عام.

تعود كتابته إلى القرن الثاني م. في الأصل غير اللاتيني. وتاريخ التنقيحات يتوزّع بين القرنين الرابع والخامس م. والقرن التاسع م.

قراءة في شأن المغبوط عزرا، النبي.

بعدما وجّه عزرا صلاته إلى الربّ يسوع المسيح، قال: «يا ربّ، قوِّني لئلا أشعر بخوف لحظة رؤية العقابات تُنزَل بالخطأة.»

عزرا يزور الجحيم

١. عند أبواب الجحيم أبرار وخطأة

إذاك خُصِّص لي سبعة ملائكة مولَّجين بالجحيم حملوني إلى أسفل على مسافة ستة آلاف وسبعمئة درجة، إلى جهنّم.

رأيت هناك باباً من حديد، وكانت تتعالى منه شعلة قوية جداً من سبعمئة وقدمَين؛ وترقد خارج الأبواب المختلفة تنانين، أُسود وكلاب سوداء؛ وتتعالى أيضاً من شدقها، من أُذنَيها ومن عينَيها شعلة قوية جداً.

كان رجال أبرار يأتون ويمرّون عبره في فرح. إذاك سألت الملاك الذي كان يقوم مقام مُرشِدٍ لي: «يا سيِّد، مَنْ هم اولئك الذين يتقدّمون في فرح عظيم جداً؟» فأجابني: «أنهم الرجال القدِّيسون والخائفو الله، الذين رُفِعت صَدَقَتهم حتى السماوات. انهم الذين أدَّوا صَدَقات كثيرة، ألبسوا الذين كانوا عراة، أشبعوا الجائعين، أعطَوا العطاش ليشربوا.»

كان يأتي من بَعْدُ خطأة، يريدون الدخول عبر ذلك الباب نفسه. وكانت التنانين والكلاب تعضُّهم والنار تُحرِقهم. وكانوا يقولون: «يا ربّ، أشفِقْ!» إنما لم يكن يُشفَق عليهم.

سألت إذاك الملاك الذي كان يقوم مقام مُرشِدٍ لي: «يا سيِّد، مَنْ هم اولئك الذين وُضِعوا في عقاب عظيم جداً؟» فأجابني: «إنهم

جحدوا الربّ والذين أضجعوا مع نسائهم يوم الرب[١]؛ لذا أُخضِعوا لتعذيبات عظيمة جداً.»

قلت: «يا ربّ، أُعْفُ عن الخطأة.»

٢. عقاب الزُّناة

ونقلوني من بَعْدُ إلى أسفل وأدخلوني سبعمئة درجة في جهنّم ورأيت هناك بشراً موثوقي الأيدي، رأسهم إلى أسفل. وكانت بعض الشياطين توجِّه إليهم ناراً، وأخرى توسعهم ضرباً، بعصا من نار. أما الأرض فكانت تحتجّ قائلةً: «أُضربي، لا توفِّريهم. فعليّ أتمّوا آثاماً كثيرة.»

سألت إذاك الملاك: «يا سيِّد، مَنْ هم اولئك الذين وُضِعوا في عقاب عظيم جداً؟» فأجابني: «هؤلاء الرجال زنَوا مع نساء متزوِّجات. اولئك النساء هن زوجات تبرّجن لا من أجل ازواجهن، وإنما فقط ليرُقن لآخرين. لقد اشتهَوا كلّهم اشتهاءً شريرا[٢].»

قلت: «يا ربّ، أُعْفُ عن الخطأة.»

٣. عقاب زُناة المحارم

ونقلوني من بَعْدُ إلى أسفل ووضعوني إلى الجنوب. ورأيت هناك بشراً كانوا معلَّقين برموشهم فوق النار، نساءً ورجالاً، وأربعة ملائكة مولَّجين بالجحيم يوسعونهم ضرباً بعصا من نار.

---

١ ـ صيام الأحد يبدو موجوداً في بداية القرن الثالث م. وموضوع معارضة في الحقبة نفسها، وكان يرتبط بتعفُّف الزوجَين.

٢ ـ الكلام بالحرف الصغير تصحيحات أُدخِلت على النص.

قلت إذاك للملاك: «مَنْ هم اولئك الموضوعون في معاملات سيئة جداً؟» فأجابني: «انهم الذين فرضوا معاملات سيئة على أبيهم وأُمهم، والذين اشتهَوا دوماً اشتهاءً شريراً.»

قلت: «يا ربّ، أُعْفُ عن الخطأة.»

٤. الأبرار وعقاب الجشعين

وأنزلوني في جهنّم، ألفين وخمسمئة درجة إلى أسفل. ورأيت هناك قِدْراً: عرضها كان مئتَي ذراع؛ يحترق فيها كبريتُ زفتٍ وصمغ، وكان الكلّ يُحدِث أمواجاً ترتفع اثني عشر ذراعاً[1]، بمقدار ارتفاع أمواج البحر.

إذاك قَدِمِ أبرار: كانوا يتقدّمون في الوسط، ويسيرون على أمواج النار ويهتفون للربّ، كأنهم كانوا يتنزّهون على النّدى والماء البليل.

سألت إذاك الملاك وقلت: «يا سيِّد، مَنْ هم اولئك الذين يتقدّمون في فرح عظيم جداً؟» فأجابني: «إنهم الذين أدَّوا صَدَقات كثيرة ، الذين ألبسوا الذين كانوا عراة وأنعلوهم.»

وأتى من بَعْدُ خطأة، لكن ملائكة الشيطان أوقعوهم في النار وغرزوا مذاري من نار في عنقهم. وكانوا يصرخون: «يا ربّ، أَشفِقْ عليّ!» إنما لم يُشفَقْ عليهم. كان يُسمَع بالتأكيد صوتهم، إنما لم يكن يُلمَح جسدهم عبر النار والتعذيبات.

قلت إذاك للملاك: «مَنْ هم اولئك؟» فأجابني: «الذين كانوا جشعين، سارقين، بخلاء كلّ أيام حياتهم، والذين لم يؤوا في بيتهم الفقراء والضيوف: لقد هلكوا هم وكلّ ثرواتهم.»

قلت: «يا ربّ، أُعْفُ عن الخطأة.»

---

١ ـ العدد رمزي يطابق عدد الكافرين الذين انفصلوا عن موسى والأسباط الاثني عشر.

٥. الديدان والنفوس الخاطئة

مشيت من بَعْدُ في مكان مُعتِم، ورأيت هناك ديداناً **لا تتوقّف أبداً**: طولها وارتفاعها لا يمكن تقديرهما؛ ويُروى أن طولها سبعمئة ذراع. أمام أشداقها تقوم نفوس خطأة كثيرة: عندما كانت الديدان تستعيد نَفَسها، كانت تلجها اثنتا عشرة نفس مثل ذباب؛ وعندما كانت تزفر، كانت تخرج كلّها، لكن حرارة كلّ واحدة كانت مختلفة.

قلت إذاك للملاك: «يا سيِّد، مَنْ هم اولئك؟» فأجابني: «أنهم الذين مُلِئوا بكلّ أنواع الشر.»

٦. أبرار وخطأة، عند الجسر العابر نهر النار

مشيت من بَعْدُ إلى أبعد، ورأيت هناك نهراً من نار وجسراً عظيماً فوقه. كان عرض الجسر بحيث أن أربعين فداناً كان ليمكنها تقريباً اجتيازه جنباً إلى جنب.

وعندما كان يأتي أبرار، كانوا يجتازونها في فرح وحبور. وبدورهم كان خطأة يأتون أيضاً، ويجتازونها حتى الوسط؛ لكن الجسر كان يتقلّص إلى ضيق بحيث لا يعود سوى خيط عنكبوت. عندها كان الخطأة يغطسون في النهر، والحيّات والعقارب الكثيرة التي كانت قائمة هناك بلا حراك، تستولي على نفوس النساء الأرامل والرجال. وكانت هذه الأخيرة تطلب الشفقة، إنما لم يكن يُشفِق عليها أحد.

٧. عقاب هيرودس

مشيت من بَعْدُ إلى أبعد، ورأيت رجلاً **به سلطان** جالساً على عرش من حديد، وكان ملائكة الشيطان يوجِّهون إليه ناراً من كلّ الجهات. ومستشاروه كانوا أيضاً واقفين حوله.

قلت إذاك للملاك: «يا سيِّد، من هو ذاك؟» فأجابني: «هذا هو الملك هيرودس، الذي قتل أطفالاً كثيرين بسبب الربّ.»

وأنا قلت إذاك: «يا ربّ، كم حكمت حكماً عادلاً!»

٨. عقاب المُرشدين الأشرار

مشيت من بَعْدُ إلى أبعد، ورأيت هناك رجالاً موثوقين، والملائكة المولَّجون بالجحيم يفقأون عيونهم بأشواك.[١]

وسألت إذاك الملاك لمعرفة مَنْ هم اولئك القوم. فأجاب: إنهم الذين دلُّوا إلى طرق خطرة مَنْ كانوا في سفر.»

قلت: «يا ربّ، أُعْفُ عن الخطاة.»

٩. عقاب الصبايا اللواتي لم يعدن عذارى

ثم رأيت هناك صبايا، بعقود من حديد ثقلها خمسمئة ليبرة[٢]، آتيات في اتجاه محيط الأمواج الصارخة.

قلت إذاك للملاك: «يا سيِّد، مَنْ هن اولئك؟» فأجابني: «إنهن اللواتي مزّقن، قبل أعراسهن، عذريّتهن.»

١٠. عقاب محرِّفي الشريعة

مشيت من بَعْدُ إلى أبعد، ورأيت هناك رجالاً مسنّين كثيرين، وعليهم آلاف وآلاف من قطع الحديد والرصاص المتأجِّجة.

---

١ ـ فقء العين كان للخصم الذي أخلّ بعهد. والعقاب موجّه إلى العضو الذي يؤمِّن المعرفة والحكم، ويُعتبَر مكمن النزوات، وخصوصاً الكبرياء. وهنا العقاب لمخالفة الشريعة.

٢ ـ الليبرة تعادل ٥٠٠ غرام.

سألت إذاك الملاك لمعرفة ما كان ذلك.

فأجابني: «إنهم الذين يهزأون بالشريعة ويشوِّهونها؛ لذا تُنزَل بهم هذه العقابات.»

قلت: «يا ربّ، أُعْفُ عن الخطأة.»

١١. عقاب الأقوياء الذين نهبوا الفقراء

مشيت من بَعْدُ في اتجاه مغيب الشمس. ورأيت هناك رجالاً يسقطون في أتون مُستَعِرٍ، خارق الحجم. كان يُلقى هناك الملوك والأمراء.

ورأيت الفقراء قائمين هناك ويحتجّون قائلين: «يا ربّ، هؤلاء القوم الذين حرمونا كلّ حقوقنا.»

١٢. عقاب الذين انتهكوا النظام العائلي والاجتماعي

ثم رأيت هناك أتوناً آخر، يحترق فيه كبريتُ زفتٍ وحطب آخر جُمِع في يوم الربّ: كان يُلقى فيه الأبناء الذين ضربوا أبوَيهم والذين، من فمهم بالذات، وجّهوا إليهما شتائم.

الذين رفضوا سيِّدهم، والذين حجبوا الأجر العادل عن مُستخدَمهم، كانوا يُلقَون فيه أيضاً.

١٣. عقاب النساء قاتلات أطفالهن واللواتي رفضن الإرضاع

رأيت من بَعْدُ في مكان مُعتِمٍ أَتوناً آخر: كانت تُلقى فيه النساء الموجودات هناك.

قلت إذاك للملاك: «يا سيِّد، مَنْ هن **اولئك**؟» **فأجابني**: «إنهن اللواتي حبلن بأطفال في الزِّنى وطرحنهم.»

وإذا باولئك الرُّضَّع بأنفسهم يحتجّون قائلين: «يا ربّ، النَّفْس التي منحتنا إياها، خطفْنها منا هؤلاء!»

وفي الموضوع نفسه، رأيت أيضاً نساءً أُخريات مشنوقات بشعر رأسهن؛ وكانت حيّات ملتفَّة حول عنقهن ترضع ثديَيهن.

قلت: «يا سيِّد، من هن **اولئك**؟» **فأجابني**: «إنهن اللواتي لم يمنحن ثديَيهن للرُّضَّع ولا لليتامى.»

قلت: «يا ربّ، أُعْفُ عن الخطأة.»

١٤. إلهاء: الإحتفال بالفصح

في ذلك الوقت وصل ميخائيل وجبرائيل[١] بغتةً، وقالا لي: «يا عزرا، تعال إلى السماء لنحتفل بالفصح.»

لكنني أجبت: «بحياة الربّ! طالما لم أرَ كلّ العقابات التي تُنزَل بالخطأة، لن آتي.»

١٥ . عقاب الغشّاشين

مشيت إذاً إلى أبعد، ورأيت رجالاً **تمزِّقهم حيوانات متوحّشة**.

قلت إذاك: «مَنْ هم اولئك؟» فأجابني الملاك: «إنهم الذين بدّلوا موضعَ حَدٍّ ونطقوا بشهادة زور.»

وقلت: «يا ربّ، أُعْفُ عن الخطأة.»

---

١ ـ في بعض التقليد اليهودي، الإثنان حضرا زواج آدم وحواء ودفن موسى.

١٦ . مسكن الأبرار

ونقلوني إلى أسفل، أربعة آلاف وتسعمئة درجة، في جهنّم. ورأيت هناك أسوداً وجمالاً راقدة حول شعلة من نار. وكان الأبرار يأتون ويدخلون الجنّة، مارّين في وسطها.

ورأيت هناك حشداً من الناس: كان مسكنهم مُشِعّاً؛ كان النور يسوده، بالفعل، في كلّ وقت. ونصيبهم كان الفرح والحبور، لأنهم عملوا صالحات كثيرة على الأرض، ولم يكن فيهم حزن. كانوا يتمتّعون بالمنّ السماوي لأنهم وزّعوا وجبات رحمة وصَدَقات بوفرة.

هناك أيضاً ناس لم يعملوا مبرّات، لأنهم لم يملكوا وسائل القيام بها. أمامهم أيضاً كان ماثلاً قوم في ضيق، فقالوا لهم كلمة تعزية. كانوا مغطّين بالنور، كما الذين عملوا صالحات وأحبّوا العدل[١].

١٧. عقاب المرابين

مشيت من بَعْدُ إلى أبعد ورأيت حفرة عميقة من ألف وخمسمئة قدم: هناك كانت تحترق مثل الشمس كمية عظيمة من أنصاف أمداد[٢] الطعام، وكان الخطأة مشتعلين فيها.

قلت إذاك: «يا سيِّد، مَنْ هم اولئك؟» فأجابني الملاك: «إنهم الذين استوفَوا الرِّبى ولم تكن بهم رأفة بالأشخاص أنفسهم.»

---

١ ـ راحتهم السماوية بسبب حسن نيّتهم.

٢ ـ نصف المِدّ مكيال شرقي يعادل أربعة أرطال.

عزرا في السماوات

١. الصعود

عندما رأيت كلّ عقابات جهنّم التي كانت توزَّع من كلّ الجهات، وصل بغتةً الملائكة ميخائيل، جبرائيل، روفائيل وأوريل؛ ووضعوني على غيمة لهب ونقلوني حتى السماء الأولى، لا حتى السابعة فوراً. وجاءت إذاك أجناد ملائكة كانت تسألني لمعرفة ما كانت العقابات المُنزَلة بالخطأة. فقلت لها: «إنحني واسجُدي من أجل الخطأة.»

وحملوني من بَعْدُ حتى سماء أخرى، وجاء أنبياء الكنائس وسألوني الشيء نفسه. فقلت لهم: «إنحنوا وصلّوا من أجل الخطأة.»

وحملوني من بَعْدُ حتى السماء السابعة، حتى ظَهْرِ الربّ، ففي الواقع، لم استحق رؤية شيء آخر.

٢. عزرا يجادل الله

قلت إذاك: «يا ربّ، أُعْفُ عن الخطاة!»

فقال لي: «يا عزرا، أنا سوف أجازيك بحسب أعمالك. لكن الخطأة يتلقّون في المقابل بحسب أعمالهم.»

قلت له: «يا ربّ، الحيوانات التي ترعى العشب، صنعتها أفضل من البشر إذ انها، على رغم انها لا تقدِّم لك تسابيح، تموت وليس لها من خطيئة تُلصَق بها؛ نحن على العكس بائسون، معذَّبون في حياتنا كما عند موتنا.»

فأجابني الربّ: «يا عزرا، على صورتي صنعت الرجل والمرأة، وأعطيتهما الأمر بألا يُخطئا؛ ومع ذلك أخطأا: لذلك يجدان نفسهما

مُخضعَين لتعذيبات كهذه. ثمة آخرون بَعْدُ توسّلوا إليّ، لكنهم لم يطبِّقوا تعاليمي: هم كذلك لم يُختاروا في ملكوتي. **انما ثمة آخرون اختيروا للراحة.»**

قلت إذاك: «يا ربّ، ماذا فعل الأبرار لعدم تلقّيهم حكماً بالإدانة؟»

فاجابني الربّ: «الخادم الذي يُحسِن خدمة سيِّده سوف ينال الحرية، هكذا حال الأبرار في ملكوتي.»

قلت إذاك: «كيف أنت عادل، كيف أنت كلِّي القدرة، كيف أنت رحوم، وكيف أنت كذلك باستحقاق؟»

فأجابني الربّ: «يا عزرا، هناك مَنْ بأعمالهم الشريرة [...]

«عاقَبَهم حتى اليوم الأخير.»

٣. وحي يتعلّق باليوم الأخير

قال عزرا إذاك: «يا ربّ، أرِني ما هو اليوم الأخير.»

فاجابه الربّ:

«القمر سيصبح دماً في اليوم الأخير،

«والشمس تنهار في دم هذا الأخير،

«سوف تفسد وتظل غائبة،

«والظلمات ستحلّ.

«النجوم ستسقط على الأرض،

«وهذه الأخيرة ستحترق إذاك في عمق سبعين ذراعاً.»

قال عزرا إذاك: «السماء، بماذا أخطأت؟»

فأجابه الربّ: «هذه السماء تنظر إلى مكر البشر.»

قال عزرا أيضاً: «والأرض، بماذا أخطأت؟»

فأجابه الربّ: «بعد أن يسمع تهديدي الرهيب، الخصم سيختبىء. لذا سأُذيب الأرض ومعها شيطان جنس البشر.»

٤. وحي يتعلّق بالمسيح الدجّال

« عما قريب بالفعل، سوف يُطلَق، لبلوى الشعب وإخضاعه للاختبار، فسوف يُعلِن إرادته التبشير باسمي.

إذاك سيظهر مسيحيٌّ[١] بغتةً، ويُعلِن إرادة الجهاد من أجل جنس البشر. وسيقول له:

«"إذا كنت المسيح، إبن الله، فانقُلْ هذا الجبل من موضعه!"

«انه يملك بالتأكيد القدرة على القيام بذلك، إنما في تلك اللحظة لن يستطيع الإنفكاك.

«سيقول له المسيحي أيضاً:

«"إصنَع العاصفة، ليحلّ المطر."

«لكنها هذه المرة لن تأتي.

«من حيّة، يستطيع أن يصنع سمكة؛

«من الحجر، رغيفاً؛

«من الرمل، ماءً:

---

١ ـ غير معروف الهوية.

انما مَنْ يضع فيه ثقته

«يجوع دائماً،

«ويعطش دائماً،

«ولن يشبع أبداً.»

قال عزرا إذاك: «أي مظهر للمسيح الدجّال نفسه، لأُعلِن عنه لأبناء البشر؟»

فأجاب الربّ:

«جبهته فائقة الارتفاع،

«رأسه ذاهب طولاً،

«حاجباه سيكونان مُشعِران إلى حد وحدتهما،

«عيناه ستكونان مثل لوسيفورس،

أنفه سيكون مثل الهاوية.

«شفته العليا ستكون أدقّ،

«لن تكون له ركبتان[1].

«وسيقول له مسيحيٌّ بالفعل:

«"إذا كنت المسيح، إبن الله، فاثنِ ركبتَيك وصلِّ."

«إنما هو عاجز عن السجود!

«وعندما سيبلغ أخيراً يوم الدينونة، إذا بمسيحيٍّ، يكون قد وضع ثقته فيه، يمضي إلى جبل سيناء ويقول لهذا الأخير: "أيها الجبل والصخر، أستحلفك باسم الربّ الكريم، أُسقُطْ عليّ وغطِّني." والحال

١ ـ هذه العِلّة تُجبِره على إظهار نفسه.

هذه، حين يسمع الجبل اسم الربّ، يسيل وينصبّ فوقه، فيبقى هكذا ممسوكاً في أرض عادت صلبة.

«إذاك سيقول:

«"يا ربّ، إلى أين أهرب؟

«"إذا ذهبت حتى جهنّم، فأين سأجد الراحة؟

«"إذا نزلت حتى جوف محيط البحر، فأنت هناك.

«"لا أستطيع الإفلات منك، لأن خطاياي سوف تُسلِمني أمام وجهك.

«"[...]."»

٥. عزرا يترافع لصالح البشر

قال عزرا: «إنما أتوسّل إليك، أيها الربّ السامي، إنهَضْ عن كرسيك ولنتقاضَ.»

إذاك قال له الربّ: «من سيسمع قضيتنا؟»

فأجاب عزرا: «ليسمع ابنك قضيتنا!»

قال له الربّ: «إبني هو الذي وُلِد من صوتي، فكيف يمكنه أن يسمع قضيتنا[١]؟»

فأجاب عزرا:« ليسمَعْ ملاكك قضيتنا!»

قال له الربّ: «**ملاكي هو رسول وجهي، فكيف يمكنه أن يسمع قضيتنا؟**»

---

١ ـ موقع الإبن في منتصف الطريق بين القاضي والشاهد. وتدخُّله مرفوض نظراً إلى أصله.

فأجاب عزرا: «ليسمَعْ كاهنك قضيتنا!»

وقال له الربّ: «هيّا واستدعِ كاهني، فهو مؤهَّل قانوناً بالفعل للتقاضي، إلى جانبي!»

إذاك قال عزرا: «بحياة الربّ! سوف أترافع جدياً ضدك لأجل كلّ البشر الذين ليس لهم مكان بين المختارين!»

فأجاب الربّ: «إنما أنت ستكون مختاراً مع أنبيائي!»

قال له عزرا: «الخطأة، مَنْ صنعهم؟»

فأجاب الربّ: «أنا.»

قال له عزرا: «إذا كنت أنا أيضاً مع الخطأة، خُلِقت على يدك، فإذاً من الأفضل خسارتي، بدلاً من العالم بأسره!»

إذاك أعلن الربّ: «ليكن في استطاعة الخطأة أن يرتاحوا من عقاباتهم من الساعة التاسعة من عشية السبت حتى اليوم الثاني من الأسبوع؛ إنما ليخضعوا، خلال الأيام الأخرى، لعقاباتهم مقابل خطاياهم.»

فأجاب عزرا: «ليكن بحسب قرارك.»

وقال له الربّ: «يا عزرا، إمضِ في سلام من الآن فصاعداً واسلُكْ مع أنبيائي. حيث هم الأبرار، أنت أيضاً ستكون.»

مفاوضات عزرا وموته

قال الربّ لميخائيل: «إمضِ واستعِدْ نَفْس عزرا حبيبي.»

إذاك قال ميخائيل: «يا عزرا، أَعطِني نَفْسك.»

فأجاب عزرا: «أطلب منك ذلك بإلحاح: إمنَحْ أياً كان يحصل على كتابي، أو استنسخه، ليرة ذهبية بمثابة فائدة، لقاء كلّ فلس مصروف لشراء كتابي، كما التعزية والحياة الأبدية.»

إذاك جاء الروح الذي قال: «يا عزرا، صلاتك استُجيبت بحسب كلمات التماسك نفسها، فقد مُنِحت كلّ شيء بالفعل.»

ثم جاء الملاك مجدداً وقال لعزرا: «أَعطِني نَفْسك.» واستأنف عزرا: «من أين يمكن لنَفْسي أن تخرج؟»

فقال له الملاك: «عبر فمك.»

وأجاب عزرا: «فمي أعلن تسبيح الربّ؛ لن أُعيد نَفْسي عبر فمي!»

واستأنف الملاك: «عبر عينك.»

- عيناي رأتا ظهر الربّ؛ لن أُعيد نَفْسي عبر عَينَيّ!

- عبر منخرَيك.

- منخراي صعّدا أطايب الربّ؛ لن أُعيد نَفْسي عبر منخرَي!

- عبر قمّة رأسك.

- قمة رأسي دهنها هارون، قدّوس الربّ، بالزيت المقدّس؛ نَفْسي لن تخرج عبر قمة رأسي!

- عبر يدَيك.

- يداي أمسكتا سنطور الربّ؛ نَفْسي لن تخرج عبر يدَيّ!

- عبر قدمَيك.

- قدماي وقفتا بصلابة أمام الربّ؛ لن أُعيد نَفْسي عبر قدمَيّ.»

وعاد ميخائيل إلى أمام الربّ ونقل إليه كلّ ما رآه.

إذاك قال الربّ: «سوف أنزل بنفسي، يصحبني ملائكتي، وسوف أُرجِع نَفْسه.»

وهكذا، نزل الربّ وقال: «يا عزرا، أَعطِني نَفْسك.»

فقال عزرا: «يا ربّ، إستمِعْ إلى صلاتي، «وليصِلْ صراخي إليك.

«يا ربّ، أيها الإله الكلّي القدرة، أطلب منك ذلك بإلحاح:

«مَنْ يحتفظ بكتابي

«ويذكر آلامي،

«لا تسبِّبْ هلاكه أي خطيئة،

«بل لتُغفَرْ له كلّ خطاياه.»

وأجاب الربّ: «أنا أمنحك كلّ شيء بحسب كلمات التماسك نفسها، إنما بشرط: أَعطِني نَفْسك!»

إذاك قال عزرا: «يا ربّ، أخاف الموت.»

فأجاب الربّ: «أنا، متّ،

«ومتّ مصلوباً!

«لكنني قمت،

«والآن أجلس إلى اليمين:

«الموت لا أخاف منه.»

وردّ عزرا: «إن لم تخَفْ أنت الموت، فلِمَ قلت: "نَفْسي حزينة حتى الموت"؟»

فأجاب الربّ:

«لقد تكلّمتَ كثيراً؛

«أَعطِني نَفْسك،

«لأنك لن تموت.

«الجسد يذهب إلى المكان الذي أتى منه،

«النَّفْس تعود إلى الآب
«الذي أعطاها.»
إذاك قال عزرا أيضاً متوجِّها إلى الملائكة:
«إبدأوا إنشاد مراثي لي،
«أيها الملائكة ورؤساء الملائكة،
«الأنبياء، الرسل والشهداء،
«المُرشِدون والعذارى الصالحون
«ومن بَعْدُ ادفنوني.»
وقال عزرا أيضاً:
«أيها الربّ يسوع المسيح،
«لا تتخلّ عني
«في اللحظة التي ستخرج فيها نَفْسي من جسدي؛
«لا تدع ملائكة الشيطان يأتون للقائي،
«ويسبِّبون لي أي أذى.»
لكن الملاك ميخائيل قال لي:
«أَعطِني ما عهد به إليك أبي!»
إذاك ارتجف الجبل بقوة، وأسلم عزرا روحه، في اليوم التاسع من شهر تموز.

فليتقاسَمْ أيٌّ كان يحتفل بعيد النبي المغبوط عزرا وذكراه، مصيرَه مع ربّنا يسوع المسيح، مع الطوباوية مريم، أُم الله، ومع الطوباوي ميخائيل، رئيس ملائكته. آمين.

هنا تنتهي القراءة في شأن المغبوط عزرا النبي.

كتاب عزرا الخامس

نص قصير جداً لا يحتوي سوى فصلَين وليس رؤيا حقيقية لنهاية العالم. انه من الأدب النبوي البيبلي، ينقل إلى الشعب رسالة إلهية، عبر النبي وباسم الأُلوهة.

صاحبه عزرا المنفي إلى بلاد الميديين في حكم أَرتحبشستا، يذكِّر بخيانات إسرائيل وعصيانه، وينتهي إلى إعلان القرار الإلهي بتخلّي الله نهائياً عن شعبه الذي تخلّى بنفسه عنه، وبتخصيص شعب آخر بإرث إسرائيل.

ثم يُدعى الشعب المختار للمستقبل إلى أن يعيش في الفرح ويمارس التضامن الأخوي من دون أن يخاف الموت طالما أن القيامة مؤكَّدة.

وتكشف رؤيا أخيرة مكافأة المؤمنين، المتجمِّعين في اليوم الأخير على جبل صهيون.

هكذا يُعلِن عزرا مجيء الشعب المسيحي.

أصل النص غامض. وقد وصل إلينا في اللاتينية، عبر تنقيحَين متميِّزَين تماماً. ويمكن القول إنه وُضِع في النصف الثاني من القرن الثاني م. أو بداية القرن الثالث م.

الكتاب الثاني لعزرا النبي - إبن ساروس، إبن عزروس، إبن سلام، إبن صادوق، إبن أسيتوب، إبن أَخياس، إبن فينيس، إبن هيلي، إبن أَمرياس، إبن أَزيوس، إبن ماميروث، إبن أرنا، إبن عوزيا، إبن بوريث، إبن أَبيسوس، إبن فينيس، إبن إليعازر، إبن هارون من سبط لاوي - الذي كان أسيراً في بلاد الميديين في حكم أَرتحششتا، ملك الفرس.

١. رسالة الربّ إلى شعبه

كلمة الربّ وُجِّهت إليّ تقول: «إمْضِ واعلِن لشعبي جرائمه ولأبنائه الآثام التي ارتكبوها حيالي، ليرووها لأبناء أبنائهم. فخطايا أهلهم زادت بينهم: لقد نسَوني وضحّوا لآلهة غريبة. أَلست أنا من أخرجتهم من أرض مصر، من بيت العبودية؟ لكنهم احتقروني واستهانوا بنواياي. أما أنت، فانفُضْ شعر رأسك وارمِهم بكلّ المصائب لأنهم لم يطيعوا شريعتي: انه شعب عاص. حتى متى احتملهم، هم الذين منحتهم خيرات كثيرة؟ من أجلهم، قلبت ملوكاً كثيرين، ضربت فرعون مع خدامه وكلّ جيشه. أمامهم أبدت كلّ الأمم، في الشرق[١] شتّت إقليمَين[٢]، صور وصيدون، وقتلت كلّ خصومهم.

«أنت إذاً، كلِّمْهم هكذا: "ها هو ما يقوله الربّ: 'أنا، نعم، أنا من جعلكم تعبرون البحر وأراكم طرقاً مَحميّة حيث لم يكن من درب. أعطيتكم موسى قائداً وهارون كاهناً. زوّدتكم بالنور عبر عمود نار وصنعت بينكم روائع عظيمة. إنما أنتم نسَيتموني'، يقول الربّ. ها هو ما يقوله الربّ الكلّي القدرة: 'السُّماني كانت لكم علامة، أعطيتكم مخيّماً لحمايتكم، وهناك تذمّرتم. أين هي الخيرات التي منحتكم

---

١ - يُظهِر المؤلف هنا رأيه باعتباره غريباً.

٢ - التعبير يكشف عن جهل في حقيقة صور وصيدون.

إياها؟ في الصحراء، عندما كنتم عطاشاً وجائعين، أَلَمْ تصرخوا إليّ، قائلين: لِمَ قدتنا إلى هذه الصحراء لإهلاكنا؟ كان من الأفضل لنا خدمة المصريين بدلاً من الموت في هذه الصحراء. لقد أشفقت على تأوّهاتكم وأعطيتكم المنّ غذاءً؛ أكلتم خبز الملائكة حين كنتم عطاشاً، أَلَمْ أُحطِّم الصخر، أَوَلَمْ تجري المياه بما يكفي؟ بسبب الحر، كسوتكم بأوراق شجر. أعطيتكم أراضي خصبة مشاركةً؛ طرحت الكنعانيين، الفرزيين والفلسطينيين أمامكم. ماذا عليّ أن أفعل بَعْدُ من أجلكم؟' يقول الربّ. ها هو ما يقول الربّ الكلّي القدرة: 'في الصحراء، عندما كنتم على ضفّة النهر المر، عطاشاً ومجدِّفين على اسمي، لم أُرسِل النار مقابل تجديفاتكم، بل صنعت منه نهر ماء عذب، مُلقِياً حطباً في الماء.

٢. الربّ سيتخلّى عن شعبه

«"ماذا أفعل من أجلك يا يعقوب؟ لم تُرِدْ إطاعتي يا يهوذا! سوف أنتقل نحو أُمم أخرى وسوف أُعطيها إسمي لتحفظ وصاياي. بما أنكم تخلّيتم عني، أنا أيضاً سأتخلّى عنكم. عندما ستسألونني رحمةً، لن أكون رحوماً حيالكم. عندما ستبتهلون إليّ، أنا، لن استجيبكم لأنكم لطّختم أيديكم بدم وأقدامكم لا تتأخّر عن ارتكاب جرائم قتل. لست أنا، تقريباً، مَن تخلّيتم عنه إنما أنفسكم'، يقول الربّ. هكذا يتكلّم الربّ الكلّي القدرة: 'أَلَمْ أرجوكم كما يرجو أب أبناءه، أُم بناتها، مُرضِعة صغارها، لتكونوا شعباً لي وأنا إلهاً لكم، أنتم لي أبناء وأنا لكم أباً؟ لقد جمعتكم كما تجمع دجاجة صيصانها تحت جناحَيها. ماذا سأفعل إذاً الآن لكم؟ سوف أطرحكم من أمام وجهي. حين ستقدِّمون لي قرابين، سوف أُحوِّل عنكم وجهي، لأن أيام عيدكم، أعياد

قمركم الجديد وختاناتكم الجسدية طرحتها. أنا أرسلت إليكم خدامي الأنبياء، فاستقبلتموهم قاتلينهم وممزِّقين أجسادهم! سوف أطلب حساباً عن دمهم'، يقول الربّ.

٣. شعب يأتي[١]

«"هكذا يتكلّم الربّ الكلّي القدرة: 'بيتكم قفر؛ سوف أطرحكم مثل قشة في الريح. أبناؤكم لن يكون لهم نسل، لأنهم معكم احتقروا وصيتي وصنعتم ما هو شرّ أمامي. سوف أُسلِّم بيوتكم لشعب يأتي، للذين يؤمنون من دون أن يسمعوني؛ الذين لم أُظهِرْ لهم علامات سوف يفعلون ما أوصيت به. إنهم لم يرَوا الأنبياء لكنهم سيتذكّرون أفعالهم القديمة. انني أُثبِّت نعمة الشعب الذي يأتي، مَنْ ابناؤه الصغار يهلّلون فرحاً؛ من دون أن يرَوني بعيونهم الجسدية، سوف يؤمنون مع ذلك بالروح، بما قلت.'"

«والآن، أيها الأب[٢]، أُنظُرْ ممجِّداً وابصِر الشعب الذي يأتي من الشرق. سوف أُعطيهم قادةً[٣] إبراهيم، إسحق ويعقوب، هُوْشَع وعاموس، وميخا، ويوئيل، وعُوْبَدْيا، ويونان، وناحوم، وحَبَقّوق، صَفَنْيا، حجّاي، زكريا ومَلاخي[٤]، المدعو أيضاً ملاك الربّ.»

٤. الأرملة المتروكة

ها هو ما يقوله الربّ: «أنا مَنْ أخرجت هذا الشعب من العبودية؛ أعطيتهم وصايا عبر خدامي الأنبياء. لم يريدوا الاستماع إليهم، بل

---

١ ـ النقد اللاذع هنا يوازي اتهام اليهود بقتل الله، وإنْ لم يُذكَر بالإسم.

٢ ـ الله يعتبر عزرا أبا الشعب، لأنه كاهن ونبي.

٣ ـ المسيحيون يتخذونهم كذلك بحسب مفهوم النص.

٤ ـ الأنبياء الصغار الإثنا عشر. مَلاخي معناه «رسولي».

جعلوا نواياي باطلة. الأُم[1] التي ولدتهم تقول لهم: "هيّا، يا أبنائي، فأنا أرملة ومتروكة. لقد ربّيتكم بفرح وفقدتكم بحداد وحزن، لأنكم خطئتم أمام الربّ الإله وصنعتم الشرّ أمامي. إنما، الآن، ماذا سأفعل من أجلكم؟ فأنا أرملة ومتروكة. هيّا، يا أبنائي، واسألوا الربّ رحمةً." من أجلي، أيها الأبُ، أدعوك شاهداً لأُم الأبناء الذين لم يريدوا الحفاظ على عهدي، لتُسلِمهم للبلبلة وأُمهم للنهب، ولا يكون لهم نسل. ليتشتّتوا بين الأُمم ولتُمْحَ أسماؤهم من الأرض لأنهم احتقروا عهدي[2]. الويل لك، يا أَشور[3]، التي تُخفين الظالمين عندك! أيتها الأُمة الشريرة، تذكّري ما فعلته بسادوم وعامورة اللتين أرضهما راقدة تحت كتل زفت وأكوام رماد: هكذا سأُعامل الذين لم يستمعوا إليّ»، يقول الربّ الكلّي القدرة.

٥. أم جديدة، أبناء جدد

ها هو ما قاله الربّ لعزرا: «أَعلِنْ لشعبي انني سأُعطيهم مملكة أُورشليم التي كان عليّ إعطاؤها لإسرائيل. سوف أستعيد مجد اولئك وأُعطي شعبي المِظالّ الأبدية التي حضّرتها للآخرين. ستكون لشجرة الحياة رائحة عطر بالنسبة إليهم؛ لن يعملوا ولن يتعبوا. إسألوا تتلقّوا، إسألوا أن يُختصَر عدد أيامكم الصغير. الملكوت مُحضَّر لكم: إسهروا! خُذْ شاهداً، خُذْ شاهداً السماء والأرض: لقد أسقطت الشر وخلقت الخير لأنني حي، يقول الربّ. أيتها الأُم، عانقي أبناءك، ربّيهم بفرح مثل الحمامة، ثبّتي أقدامهم، لأنني اخترتك، يقول الربّ. سوف

١ ـ هي صهيون ـ أُورشليم.

٢ ـ النص ينتزع من إسرائيل اختياره ويمنحه للمسيحيين بصوت نبي يهودي.

٣ ـ المقصود إسرائيل.

أُقيم الموتى من قبورهم، سوف أُخرجهم من قبورهم لأنني تعرّفت إلى اسمي فيهم.

«لا تخافي، أيتها الأُم هؤلاء الأبناء، لأنني اخترتك، يقول الربّ. لأُساعدك، سوف أُرسِل إليك خادميَّ أَشعيا وإرميا؛ تبعاً لنصيحتهما، قدَّست وحضّرت لك اثنتي عشرة شجرة[١] مُحَمَّلة ثماراً متنوِّعة، ومثلها ينابيع يجري منها اللبن والعسل، وسبعة جبال هائلة حاملةً الوردة والزنبقة: ما سأملأ به فرحاً أبناءك. أُحكمي بعدل على الأرملة، أُحكُمي لمصلحة اليتيم القاصر، إعطي المُعوَز، إحمي اليتيم، أَلبِسي مَنْ هو عارٍ. عالجي مَنْ هو مُحَطَّم وضعيف، لا تهزأي بالأعرج، إحمي الكسيح وقودي الأعمى إلى رؤية نوري؛ صوني خلف جدرانك الشيخ والشاب. حين تعثرين على أموات، إستودِعيهم القبر مؤشِّرةً إياهم، وسوف أُعطيكِ المكان الأول في قيامتي[٢].

«قِفْ وارتَحْ، يا شعبي لأن راحتك ستأتي، مُرضِعةً جيِّدة، أرضِعي أبناءك، ثبِّتي أقدامهم. ما من أحد من الخدام الذين أعطيتك إياهم سيهلك، لأنني سأُفتِّش عنهم بين خاصتك. لا تضطربي عندما سيأتي يوم الحزن والقلق: الآخرون سيبكون ويكونون حزانى، إنما أنت ستكونين فَرِحةً وفي الرخاء. الأُمم ستغار منك، لكنها لن تستطيع شيئاً ضدك، يقول الربّ. يداي ستغطِّيانك لئلا يرى أبناؤك نار جهنّم.

«إغتبطي أيتها الأُم مع أبنائك، لأنني سأُخلِّصك، يقول الربّ. تذكّري أبناءك الموتى، فأنا سأُخرِجهم من مخابىء الأرض وسوف أرحمهم، لأنني رحوم، يقول الربّ الكلِّي القدرة. عانقي أولادك إلى أن آتي واعلني لهم الرحمة، لأن ينابيعي تفيض ونعمتي لن تغيب.»

---

١ ـ ربما الإثنا عشر رسولاً الذين يحلّون محلّ أسباط إسرائيل.

٢ ـ دفن الأموات أحد أفعال الورع اليهودي التقليدية.

٦. رسالة عزرا

أنا، عزرا، تلقّيت على جبل حوريب[١]، أمر الربّ بالذهاب إلى إسرائيل؛ حين أتيت إليهم، طردوني ورفضوا وصيّة الربّ. لذا أقول لك أيتها الأُم التي تسمع وتفهم: «إنتظري راعيك، سوف يُعطيك الراحة الأبدية؛ فهو قريب جداً من سيصل لنهاية العالم. كوني حاضرة لمكافآت الملكوت، لأن نوراً مستمراً سيسطع من أجلكم خلال أبدية الزمن. إبتعدوا عن كلمة هذا العالم، تلقّوا غبطة مجدكم. أنا أشهد علانيةً لمخلِّصي. تلقَّوا مستودع الربّ واغتبطوا مسبِّحين من دعاكم إلى الملكوت السماوي. إنهضوا، إنتصبوا وانظروا إلى عدد المختارين لوليمة الربّ. الذين انفصلوا عن ظلمة هذا العالم تلقَّوا من الربّ أردية رائعة. تلقّي حصتك، يا صهيون، واجمعي خاصتك المرتدين بياضاً، الذين نفّذوا شريعة الربّ. عدد أبنائك الذين كنتِ تبتغينهم كامل؛ إسألي الربّ السامي أن يقدِّس شعبه الذي دُعي منذ البداية.

٧. رؤية عزرا

أنا، عزرا، رأيت على جبل صهيون جمعاً عظيماً لم أستطِعْ عدّه وكلّهم كانوا يسبّحون معاً الربّ بأناشيد. كان في وسطهم شاب طويل القامة، أما أنا، فكنت منذهلاً. إذاك سألت ملاكاً: «مَنْ هم هؤلاء، يا سيِّد؟» فأجابني الملاك: «إنهم الذين خلعوا الرداء الفاني ولبسوا الرداء الخالد، هم الذين شَهَروا إسم الله؛ الآن هم مكلَّلون ويتلقَّون سُعَفاً.»

---

١ ـ جبل سيناء. وعزرا موسى جديد، نقيض موسى القديم.

قلت للملاك: «مَنْ هو هذا الشاب الذي يضع لهم أكاليل ويسلّمهم سُعَفاً؟» فأجابني: «إنه ابن الله الذي شَهَروه في العالم.» أما أنا، فأخذت أُمجِّد الذين انتصبوا بشجاعة من أجل اسم الربّ. إذاك قال لي الربّ: «هيّا، أَعلِنْ لشعبي أي آيات عظيمة من الربّ الإله رأيت.»

كتاب عزرا السادس

يبدو النص، في قراءة أولى، كأنه مُقَطَّع، تكراري، غامض في بعض مقاطعه، بحيث نتساءل عما إذا كان تقليداً للنصوص النبوية، أم ينبغي اعتباره رؤيا لنهاية العالم. لكننا سرعان ما نتبيّن أنه أفضل بناءً بكثير مما يبدو.

ينتمي مؤلِّفه إلى وسط منشغل ببقائه في محيط عدائي، وورث هذه القناعة من الحركة الرؤيوية اليهودية لنهاية العالم. وهي تقول بأن الشر في الذروة، وأن تدخُّلاً إلهياً يمكنه وحده وضع حد لما لا يُطاق، لانتصار الظلم، لاضطهاد الأبرياء. والمؤلِّف مقتنع، كما أجيال يهودية ومسيحية كثيرة، بأنه ينتمي إلى الجيل الأخير الذي سيشهد نهاية العالم والدينونة. وقد أعلن أن الله لم يعُدْ يحتمل ما لا يستطيع المؤمنون به معاناته، وسوف ينتقم للدم البريء ويبادل الشر بالشر. واستند إلى مراجع عدة في النصوص البيبليّة.

يحقّ لنا أن نتساءل عما إذا كان «عزرا السادس» يهوديا أم مسيحياً، علماً بأنه لا

يذكر المسيح أو أي عنصر له دلالة من الإيمان المسيحي، وبعض خطوطه لا تُفهَم إلا في إطار يهودي. ما هو مؤكَّد أن نُسّاخاً مسيحيين نقلوه إلينا. ونملك ما يجعلنا نعتقد بأنه كان مقروءاً في مصر في القرن الرابع م.

الترجمة من مخطوطات لاتينية.

«أَعلِنْ على مسامع شعبي الكلمات النبويّة التي وضعتها في فمك، يقول الربّ، وتصرَّفْ بحيث تكون مكتوبة، لأنها صادقة وصحيحة. لا ترهب الخطط الموجَّهة ضدك ولا يكدِّرْك جحود معارضيك، لأن كلّ جاحد سيموت في جحوده.

١. ضد الكفرة

«ها انني، يقول الربّ، استقدم مصائب على الأرض كلّها، السيف، الجوع، الموت والدمار، لأن الظلم انتشر فوق الأرض كلّها وأعمال البشر المُضرَّة في ذروتها. لذلك، يقول الربّ، لن أسكت بعد الآن عن الكفر الذي يرتكبونه بلا وَجَل، ولن أحتَمل بَعْدُ أفعالهم الظالمة. ها ان الدم البريء والبارّ يصرخ نحوي، ونفوس الأبرار تصرخ بإصرار. سوف أنتقم لها حقاً، يقول الربّ، وسوف أتلقّى كلّ دمهم البريء الآتي إليّ.

٢. ضد مصر

«ها ان شعبي، مثل قطيع، مُقاد إلى الموت. من الآن فصاعداً، لن أتألّم بَعْدُ لسُكناه في أرض مصر، لكنني سأُخرِجه منها بقوة والذراع

مبسوطة؛ سوف اضرب مصر بمصيبة، كما في الماضي؛ وسأُدمِّر البلاد كلّها.»

«لتنتحِبْ مصر حتى أُسسها من المصيبة التي يستقدمها الربّ تأديباً وعقاباً. لينتحب الفلاحون الذين يعملون في الأرض، لأنهم سيفتقرون إلى بذار وغاباتهم سيجتاحها اليرقان، البَرَد وعاصفة رهيبة. الويل للعالم وللذين يعيشون فيه! لأن السيف الذي سيبيدهم قريب. أُمة ستقوم على أُخرى لقتالها، والسيف في أيديهم. البشر سيكونون بالفعل متردِّدين: متواجهين، لن يُبالوا بمُلكهم ولا بسلطة قائد أُمرائهم. فستكون مدنهم مضطربة، بيوتهم مسحوقة، البشر في الخوف. لن يُشفَق على القريب. سوف تُقتحَم البيوت بالسيف لنهب الغذاء، فسيكون جوع إلى الخبز وسيكون ضيق عظيم.

٣. ضد الملوك، مضطهدي المختارين

«ها انني استدعي، يقول الله، كلّ ملوك الأرض، ليتحرّكوا، ملوك الشرق والجنوب، ملوك الشمال الشرقي والجنوب الشرقي، وينقلبون على أنفسهم: سوف أردّ إليهم ما أعطَوه. ما فعلوه حتى هذا اليوم بمختاريّ سوف أفعله بهم، وسوف أردّه إليهم حتى عمق أنفسهم.»

هكذا يتكلّم الربّ الإله: «يميني لن تعفو عن الخطأة، وسيفي لن يتوانى ضدهم هم الذين يريقون الدم البريء على الأرض. من غضبه تعالت نار التهمت أُسس الأرض والخطأة، مثل قشٍّ مُحترق. الويل للذين يُخطئون ولا يتقيّدون بوصاياي، يقول الربّ. لن أعفو عنهم. إبتعدوا، يا أبناء الإرتداد! لا تأتوا لتدنِّسوا قُدس أقداسي!»

الله يعرف كلّ الذين يخطئون في حقّه؛ لذا سيُسلِمهم للموت وللمذبحة. الآن وصلت بالفعل مصائب إلى مجمل الأرض وسوف تهلكون بها، لأن الله لن يخلِّصكم، بما أنكم خطئتم في حقّه.

٤. رؤيا رهيبة

ها هي رؤيا رهيبة: تظهر آتيةً من الشرق. قبائل التنانين العربية ستخرج على عربات كثيرة، وصغيرها سينتشر على الأرض لمسافة يوم سفر، ليكونوا أيضاً في الخوف والارتعاد كلّ الذين سيسمعونها. سيخرج الكرمونيون[1]، وقد جُنّوا غضباً، مثل خنازير برية من الغابة ويصلون بقوّة عظيمة؛ سوف يصمدون في القتال ضد التنانين ويجتاحون بأسنانهم جزءاً من أرض الأشوريين[2]. بعد ذلك تستعيد التنانين نشاطها، لذكرى مولدها. وسوف تستدير، مصمِّمةً، بقوة عظيمة لتلاحق خصومها. الآخرون سيضطربون، ويلبثون بكماً أمام قوتها ويديرون أعقابهم ليهربوا. من أرض السوريين، سيحاصرهم عدو كامن ويقتل واحداً منهم. وسيحدث إذاك خوف وارتعاد في جيشهم وتقلُّب بين ملوكهم.

٥. خراب بابل

ها ان سحباً تصل من الشرق ومن الشمال؛ تنتشر حتى الجنوب، مُرعِبة تماماً، ضخمة غضباً وأعاصير. تصطدم الواحدة بالأخرى وتصب على الأرض عاصفة هائلة مضافة إلى عاصفة كلٍّ منها. سوف يُهرِق السيف الدم: سيكون منه حتى بطن الحصان، حتى فخذ الرجل وحتى عُرقوب الجمل. الخوف والارتعاد سيتضاعفان على الأرض. مَنْ سيرَون هذا الغضب سيهلعون وتستولي عليهم الارتعادات. بعد ذلك ستتحرك سحب أعاصير هائلة من الجنوب ومن

---

١ ـ ربما الفرس أيام الساسانيين (من القرن الثالث إلى السابع م.).

٢ ـ المقصود «السوريين».

الشمال، وستأتي أخرى من الغرب. لكن رياح الشرق ستتدعّم؛ ستبدِّد السحاب والذي أثاره في غضبه؛ والعاصفة، المرصودة لحمل الخراب، سيُرغمها الشرق على الذهاب نحو الجنوب والغرب. ثم سترتفع سحب عظيمة وقوية، ضخمة غضباً، ومعها العاصفة، لسحق الأرض بأسرها وسكانها؛ سوف تصبّ على كلّ مرتفع وكلّ مكانٍ عالٍ عاصفة رهيبة: نار، بَرَد، سيوف طائرة وكميات من المطر بحيث أن كلّ الحقول وكلّ السواقي ستفيض من غزارة تلك المياه.

سوف تقلب المدن والأسوار، الجبال والتلال، أشجار الغابات، العشب وقمح المروج. سوف تبلغ من دون توقّف بابل، التي ستستحقها. ستتجمّع قرب بابل، تحيط بها وتصبّ عليها العاصفة وكلّ غضبها: الغبار والدخان سيرتفعان نحو السماء والجميع حولها سوف ينوحون عليها. ومَنْ سينجون سيكونون عبيد مَنْ سحقوهم.

٦. خراب آسيا[١]

«وأنت، يا آسيا، التي كنت تتقاسمين روعة بابل وعظمتها، الويل لك، أيتها الحقيرة، لأنك كنت شبيهة بها، برّجت بناتك للفجور لتُرضي عشاقك وتتباهي قربهم هم الذين لم يتوقّفوا عن اشتهائك! لقد قلّدت البغيّ الكريهة في كلّ أعمالها وكلّ اختلاقاتها. لذلك، يقول الله، سوف أُرسِل إليك مصائب - ترمُّلاً، فقراً، جوعاً، سيفاً وطاعوناً - لاجتياح مساكنك وحمل العار والموت إليك. ان قوتك الفخورة ستيبس مثل الزهرة حين تظهر النار الموجّهة ضدك. سوف تكونين ضعيفة، فقيرة بالضربات ومطعونة بالجروح إلى حد أنك لن تستطيعي بَعْدُ استقبال أسيادك ولا عشاقك.

١ - المقصود آسيا الصغرى.

«أَكنتُ عاقبتك بقسوة هكذا، يقول الربّ، لو انك لم تقتلي مختاريَّ في كلّ آن، مهلِّلةً مصفِّقةً وهازئةً بموتهم، في نشوتك؟ أَبرزِي نضارة وجهك! ان اجر فجورك في ثنايا ثوبك؛ لذلك ستتلقّين إيراده. كما ستعاملين مختاريَّ، يقول الربّ، هكذا سيعاملك الله: سوف يُسلِمك للمصائب. أبناؤك سيموتون جوعاً، ستسقطين بالسيف، مدنك ستُدمَّر وكلّ الذين من أهلك في الجبال سيهلكون جوعاً. جائعون إلى الخبز وعطاش إلى الماء، سوف يأكلون لحمهم الخاص ويشربون دمهم. بائسة، ستجدين نفسك في الخط الأول والمصائب ستصيبك.

«لدى عبورهم، الذين سيعودون بعد قلب بابل سوف يحطِّمون المدينة الكريهة، يجتاحون قسماً من بلادك ويزيلون جزئياً مجدك. مدمَّرةً، ستكونين قشاً بالنسبة إليهم، وسيكونون ناراً بالنسبة إليك. سوف يلتهمونك، أنت ومدنك، أرضك وجبالك، وسوف يُتلِفون بالنار كلّ غاباتك وأشجارك المثمرة. سوف يقودون بناتك إلى الأسر، جزيتك ستكون غنيمتهم وسيُزيلون صورتك المجيدة.»

٧. ضد الأُمم التي نهايتها مُحَتَّمة

الويل لكما، يا بابل وآسيا! الويل لكما، يا مصر وسوريا! إرتدي أكياساً ومسحاً، إبكي ابناءك وارثي لهم، لأن خرابك قريب. أُرسِل السيف إليك. فَمَنْ سيحوِّله؟ أُرسِلت النار إليك، فمَنْ سيُطفِئها؟ أُرسِلت المصائب إليكم، فمَنْ يُبعِدها؟ هل سيصدّ أحدهم الأسد الجائع في الغابة؟ أو سيُطفىء النار في القش حالما يبدأ بالاحتراق؟ هل سيُبعِد أحدهم السهم الذي أرسله نبّال قوي؟ الربّ الإله يُرسِل مصائب، فمَنْ سيُبعِدها؟ من غضبه ستخرج نار، فمَنْ سيُطفِئها؟ سوف يرمي بروقاً، فمَنْ لن يخاف؟ سوف يُرعِد، فمَنْ لن يخاف؟

الربّ سيهدِّد، فمَنْ لن يتحطّم كلِّيّاً بحضرته؟ الأرض زلزلت حتى أُسسها، البحر هائج في أعماقه، أمواجه وأسماكه ستتشتّت بحضرة الربّ وبقوته المجيدة. فقوية هي يمينه التي تشد القوس، مسنونة السهام التي يُرسِلها؛ انها لن تخطىء هدفها عندما سيبدأ بإرسالها حتى أقاصي الأرض. ها ان مصائب أُرسِلت: لن تعود إلى الوراء حتى تبلغ الأرض. نار مشتعلة: لن تنطفىء حتى تُتلِف أُسس الأرض. كما لا يعود سهم أرسله نبّال قوي، هكذا لن تعود إلى الوراء المصائب المُرسَلة إلى الأرض.

٨. بداية المصائب

الويل لي، الويل لي! مَنْ سيخلِّصني في تلك الأيام؟ بداية الأوجاع وتأوّهات كثيرة؛ بداية المجاعة وموتى كثيرون؛ بداية الحروب، والقوى ستكون في ذعر؛ بداية المصائب، وكلّهم سيكونون مضطربين خوفاً. ماذا سيفعلون عندما تكون المصائب قد حلّت؟ هي ذي المجاعة، المصيبة، الضيِّق والقلق آفاتٌ أُرسِلت لتأديبهم.

على رغم كلّ ذلك، لن يتحوّلوا عن أعمال ظلمهم ولن يحفظوا دوماً ذكرى تلك الآفات. هوذا حصاد العام سيكون بخس الثمن بحيث سيفكِّرون بأن السلام آتٍ مباشرةً إليهم. إذاك تبرز المصائب على الأرض: السيف، الجوع وبلبلة عظيمة. فمن الجوع سيموت بالفعل معظم سكان الأرض، فيما يبيد السيف كلّ الذين يكونون قد نجَوا من المجاعة. الموتى سيُطرَحون مثل نفايات، ولن يكون أحد هناك للاعتناء بهم، لأن الأرض ستكون قفراً ومدنها مدمَّرة. لن يبقى أحد لحراثة الأرض وبذرها.

الأشجار ستُنتج ثمارها، إنما مَنْ سيقطفها؟ العنب سينضج، إنما مَنْ سيعصره؟ ففي كلّ مكان، لن يكون سوى حزن. سيكون الانسان في حال تمني رؤية انسان آخر أو سماع صوته. فمن مدينة، سيبقى عشرة، ومن صقع، اثنان اضطُروا إلى الاختباء في عمق الغابات أو جوف الصخور. كما في بستان زيتون لا يبقى سوى ثلاث زيتونات أو أربعة على كلّ شجرة، أو كما في كرم مقطوف لا يبقى سوى العناقيد الناجية من الذين يفتِّشون الكرم بعناية، هكذا لن يبقى في تلك الأيام سوى اثنين أو أربعة من البشر، ناجين من الذين فتّشوا بيوتهم، والسيف في يدهم.

الأرض ستبقى قفراً، حقولها ستُكسى بالدَّغل، طرقها ودروبها الضيِّقة ستُنتج أشواكاً إذ ان الخراف لن تسلكها بَعْدُ. الصبايا سينتحبن لعدم فوزهن بطالبي زواج، النساء لعدم امتلاكهن أزواجاً، بناتهن لعدم حصولهن على أحد يتوكّأن عليه. لان طالبي الزواج منهن سيسقطون في الحرب، والأزواج سيموتون جوعاً.

٩. نصائح لخدام الربّ

إسمعوا إذاً هذه الأمور وافهموها، يا خدام الربّ. ها هي كلمة الربّ، تقبّلوها، لا ترفضوا ما يُعلِنه الربّ. ها ان المصائب تقترب ولن تتأخّر مثل أُم حبلى بابنها في الشهر التاسع. عندما تقترب ساعة وضعها، تتأوّه قبل ساعة أو ساعتين، لأن أحشاءها في أوجاع الاحشاء. انما حين يظهر الطفل خارج بطنها، لا يتأخّر لحظة واحدة. كذلك المصائب لن تتأخّر عن الظهور على الأرض: الدهر سيتأوّه وتكبِّله أوجاع من كلّ الجهات.

إسمعوا الكلمة، أنتم يا شعبي، حضِّروا أنفسكم للقتال وكونوا في وسط المصائب كما في أرض غريبة. على مَنْ يبيع أن يكون مثل أحد ما سوف يهرب؛ مَنْ يشتري، مثل أحد ما سوف يخسر؛ مَنْ يتاجر، مثل أحد ما لن يستفيد؛ مَنْ يبني، مثل أحد ما لن يسكن؛ مَنْ يبذر، مثل أحد ما لن يحصد؛ مَنْ يشذِّب، مثل أحد ما لن يقطف الكرم؛ مَنْ يتزوّجون كأنهم لن يُرزَقوا أولاداً، ومَنْ لا يتزوّجون، كأنهم كانوا أرامل.

لهذا السبب مَنْ يعملون يفعلون ذلك بلا سبب، فسوف يحصد غرباء جناهم؛ يستولون على خيراتهم، يهدمون بيوتهم ويجعلون ابناءهم أسرى يلدون، من هنا، ابناءهم في الأسر والمجاعة. مَنْ يتاجرون يقومون بتجارة سلب، طويلاً ما يكفي ليجمّلوا مدنهم، بيوتهم، أملاكهم وأنفسهم.

«سوف أغضب بالأحرى عليهم بسبب خطاياهم، يقول الربّ. كما المرأة الوقور والصالحة تكره البغيّ، هكذا سيكره العدل الظلم الذي يتزيّن ويتّهمه مواجهةً، حين يأتي مَنْ عليه أن يلاحق أياً كان يبحث عن الخطيئة على الأرض. لا تخضعوا إذا للظلم ولا لأعماله.»

١٠. الله، خالق وديّان

فها ان بعد وقت قليل سيُنتزَع الظلم من الأرض والعدل يسودنا. على الخاطىء ألَا يقول إنه لم يُخطىء لأن الله سوف يُحرِق جمراً على رأس الذي يقول: «لم أُخطىء أمام الله ولا أمام مجده.» ها ان الربّ يعرف كلّ أعمال البشر، مكائدهم، أفكارهم وقلوبهم. هو الذي قال: «لتكُن الأرض»، فكانت؛ «لتكُن السماء»، فكانت. عند كلمته، ثُبِّتت النجوم، ويعرف عدد النجوم.

هو الذي يسبر اللُّجج وكنوزها، الذي حدّد البحر وما يحتويه، الذي سوّر البحر في وسط المياه، وبكلمته، علّق الأرض فوق الماء؛ هو الذي بسط السماء مثل قبّة وأسّسها على المياه، الذي أحلّ في الصحراء ينابيع مياه وخزانات على قمم الجبال، من أجل أن يُخرِج من هذا المكان المرتفع، أنهاراً لإرواء الأرض.

هو الذي صنع الإنسان، الذي وضع القلب في وسط الجسد. أعطاه الروح، الحياة، الذكاء ونَفَس الله الكلّي القدرة، الذي صنع كلّ شيء ويسبر أعمق الأسرار.

يعرف في شكل أكيد مكائدكم والأفكار التي في قلوبكم. الويل للخطأة الذين يريدون إخفاء خطاياهم! لأن الربّ سيسبر تماماً كلّ أعمالهم. سوف يكشفكم كلّكم. ستكونون في الاضطراب عندما تُظهَر خطاياكم أمام البشر وتقوم أفعال ظلمكم متّهِمةً في ذلك اليوم.

ماذا ستفعلون وكيف ستُخفون خطاياكم في حضرة الله وملائكته؟ ها ان الله هو الديّان، فخافوه. ضعوا حدّاً لخطاياكم وانسَوا من الآن أفعال الظلم التي ترتكبونها دوماً. إذاك سوف يهذّبكم الله ويخلّصكم من كلّ ضيق.

١١. إعلان اضطهاد

ها ان شهوةَ جمعٍ هائلٍ تشتعل بالفعل ضدكم، فيُحتجَز بعض جماعتكم ويُعطَون للأكل غذاءً مُضحّى به للأوثان. مَنْ يقبلون به سوف يصبحون، بالنسبة إلى المحرِّضين، موضع سخرية، إهانات وسوء معاملة. ففي أمكنة مختلفة وحتى المدن المجاورة، ستكون انتفاضة عظيمة ضد الذين يخافون الربّ. سيكون الناس مثل مجانين، غير

موفِّرين أحداً لنهب الذين لا يزالون يخافون الربّ وإهلاكهم. سوف تُخرَّب أرزاقهم وتُسلَب وسوف يُطرَدون من بيوتهم. إذاك ستكون محنة مختارِيّ ظاهرة، وسيكونون مثل الذهب الذي يُختبَر بالنار.

١٢. إرشاد أخير

«إسمعوا، يا مختاري! يقول الربّ. ها ان أيام الضّيق هنا، لكنني سوف أُخلّصكم منها. لا تخافوا ولا تتردّدوا، بما أن الله هو مَنْ يقودكم.

«أنتم الذين تحفظون وصاياي وأوامري، لا تدعوا خطاياكم ترجح ولا أعمال ظلمكم تعظم.

«الويل لمَنْ تخنقهم خطاياهم وتكسوهم أعمال ظلمهم! انهم مثل حقل تخنقه الغابة التي تغطّي دربها الأشواك ولا يعود الانسان يجوز عبرها: انه مُهمَل وصائر إلى أن يكون فريسة اللّهب.»

رؤيا بطرس لنهاية العالم

تقدِّم الرؤيا نفسها وحياً من يسوع المسيح إلى بطرس والرسل الآخرين في أحداث نهاية الأزمنة والمصير النهائي للأشرار والأبرار. تقع في فترة ظهورات يسوع بعد قيامته، وتنتهي برواية صعوده إلى السماء.

تُشبِه إلى حد كبير: شكلاً ومضموناً، الرؤى اليهودية في الموضوع نفسه. لكنها تُشبِه أيضاً نوع الكتابات المسيحية التي تحكي تعاليم يسوع لتلاميذه بعد قيامته.

مؤلِّفها اعتقد بأن المطلوب توسيع التعليم الأُخروي الوارد في إنجيل متى وتكييفه مع وضع قارئيه. لذا يشير كثيراً إلى هذا الإنجيل، ويعرض في شكل أكمل التعليم الأُخروي ليسوع.

يحرص المؤلِّف في الفصلين الأولين على التمييز بين المسيح الحقيقي، ومسيح دجّال سوف يُسلِم للموت الذين لم تخدعهم ادعاءاته من اليهود. هذا "المسيح" هو سمعان بار كوسيڤا (إبن الكذب)، المعروف بسمعان : كُوْخْبا (إبن النجمة). هو الذي قاد ثورة الاعوام ١٣٢ ـ ١٣٥ م. واعدم يهوداً مسيحيين

رفضوا دعم قضيته. أحد أبرز أهداف هذه الثورة كان إعادة بناء هيكل أُورشليم. وبما ان حركة سمعان كانت شغل الرؤيا الشاغل، وان الأخيرة لم تُشِرْ إلى ما آلت إليه، لا بد ان الرؤيا كُتِبت إبان الثورة التي اضطهدت المسيحيين اليهود ورذلتهم من الجماعة اليهودية، فيما الرؤيا تحثّهم على الصمود، وتؤكّد لهم دينونة مضطهديهم عند مجيء المسيح الحقيقي في مجده، وموقعهم هم إلى جوار الآباء في الملكوت وهيكل الله السماوي.

الرؤيا غدت شعبية جداً خلال قرن أو ثلاثة بعد وضعها، في مناطق كنسية عدة. واعتبرتها بعض الدوائر جزءاً من الكتاب المقدّس. أما تراجعها، فكان أمام تفضيل منحولات مسيحية أخرى عالجت الموضوع نفسه.

حلّت محلّها رؤيا بولس في الغرب اللاتيني والكنائس القبطية والسريانية اللغة. ورؤيا العذراء في الشرق اليوناني، ولا سيما أنهما عالجتا مصير الموتى بعد موتهم مباشرةً.

كانت رؤيا بطرس في أصل تقليد مسيحي طويل تناول شرح ما بعد الموت، وبلغ الذروة مع "الملحمة الإلهية" لدانتي.

إختفاؤها كان شبه كامل، بحيث لم يُعرَف منها حديثاً سوى مقاطع من الأصل اليوناني، قبل أن تُكتشَف ترجمة أثيوبية لها عام ١٩١١، من خلال مخطوطَين: الأول تاريخه يعود إلى القرن الخامس عشر أو السادس عشر، والثاني ربما إلى القرن الثامن عشر، والإثنان وُجِدا في جزيرتَين من بحيرة تانا.

الترجمة عن اليونانية، عبر أخرى عربية مسيحية.

هذه كانت نية بطرس: معرفة أسرار ابن الربّ، الذي هو رحوم ويُحِبّ الرحمة. فيما كان جالساً على جبل الزيتون، دنت منه خاصتّه. نحن، سجدنا، وتوسّلنا إليه خصوصاً وسألناه هكذا: «تكلَّمْ. قُلْ لنا ماذا ستكون علامات مجيئك ونهاية العالم، لنتمكّن من معرفة وقت مجيئك ونفهمه جيداً ونُفهِمه جيداً للذين سيأتون بعدنا، للذين سوف نبشِّرهم بكلمة إنجيلك ونضعهم على رأس كنيستك، ليسمعوا هم أيضاً ويعتنوا بفهم وقت مجيئك جيداً.»

١. عودة المسيح

أجابنا ربّنا بهذه الكلمات: «إحذروا ان يُضلِّوكم: لا تغدو كافرين ولا تعبدوا آلهة أخرى. كثيرون سيأتون باسمي قائلين انهم المسيح. لا تصدِّقهم ولا تقربوهم، لأن مجيء ابن الربّ لن يكون متوقَّعاً، بل كما الصاعقة التي تلمع من الشرق إلى الغرب، هكذا سأجيء على سحابة من السماء، بقوة عظيمة وفي مجدي، فيما سيمضي صليبي أمامي.

سوف أجيء في مجدي، سبع مرات أكثر بهاءً من الشمس. سأجيء في مجدي مع كلّ ملائكتي القدّيسين، عندما يضع أبي إكليلاً على رأسي لأدين الأحياء والأموات وأُجازي كلاً بحسب أعماله.

٢. مَثَلُ التينة وشرحُه

«أما أنتم، فتعلّموا من التينة هذا المثل: ما أن تخرج براعمها وتصبح أفنانها الصغيرة طريّة، إذاك ستكون نهاية العالم.» وأنا، بطرس، أجبته: «أَعطِني شرحاً عن النتيجة. كيف يمكننا أن نفهم؟ إن التينة تبرعم بالفعل كلّ يوم، وكلّ عام تُعطي ثمارها لأصحابها. ما هو مثل التينة، لم نفهمه.»

فأجابني المعلّم: «أَلَمْ تفهم ان التينة هي بيت إسرائيل؟ مثلها مثل رجل غرس تينة في بستانه، لكن الشجرة لم تحملْ ثماراً. بحث الرجل عن ثماره خلال أعوام طويلة، لكنه لم يجدها. فقال لبستانيِّه: "إقلع هذه التينة، لئلا تجعل أرضنا جدباء." فقال البستانيّ للسيّد: "دعها، سوف نشذّبها، نحفر الأرض تحتها ونرويها. وإن لم تُعطي في ذلك الوقت ثماراً، فسنقتلع جذورها من البستان ونغرس فيه أخرى مكانها." أَلَمْ تفهم إذاً أن التينة هي بيت إسرائيل؟ بالتأكيد قلت لك إن في النهاية عندما ستصبح أفنانها الصغيرة طريّة، سيأتي مسحاء دجّالون؛ يؤكّدون: "أنا المسيح الذي جاء إلى العالم." إنما حين سيُرى شر أفعالهم، سيتقهقرون ويُنكِرهم الذين مجّدوا المسيح الأول الذي صلبه آباؤنا مرتكبين إثماً عظيماً.

«لكن ذلك الدجّال، هو، ليس المسيح، وعندما سيُطعَن به، سيقتل بالسيف وسيكون شهداء كثر. في ذلك الوقت سوف تصبح طريّة أفنان التينة الصغيرة، التي هي وحدها بيت إسرائيل. سيكون شهداء

على يده وكثيرون سيموتون ويصبحون شهداء؛ لأن أَخنوخ وإيليا سوف يُرسَلان لإفهامهم أنه دجّال يجب أن يأتي إلى العالم ويحقّق علامات وآيات بهدف التضليل. لذا الذين سيموتون على يده سيصبحون شهداء ويُحصَون في عداد الشهداء الصالحين والأبرار، الذين حَسُنوا عند الربّ خلال حياتهم.»

٣. مشهد للدينونة يُحزن بطرس[١]

وأراني في يده اليمنى نفوسَ الجميع، وصورة لليوم الأخير تحتويها راحته اليمنى: كيف سيُفصَل الأبرار والخطأة، ماذا سيفعل الأبرار الأثيرون وكيف سيُستأصل الخطأة إلى دهر الداهرين. رأينا كيف كان يبكي الخطأة بقلق وحزن عظيمَين بحيث أن كلّ الذين رأَوا بعيونهم الأبرار، الملائكة، والربّ نفسه، كانوا يبكون.

من جهتي سألته وقلت له: «ربّي، إسمَحْ لي بالحديث عن الخطأة مُستخدِماً كلماتك الخاصة: "كان من الأفضل لهم لو لم يُخلَقوا."» فأجابني الربّ: «لِمَ تقول كان من الأفضل لهم لو لم يُخلَقوا؟ انك تعارض الربّ، بقولك هذا. أنت لن تملك رحمةً أكثر حيالهم منه حيال مخلوقاته الخاصة، فهو الذي خلقها وجاء بها إلى حيث لم تكن موجودة. عندما رأيت التأوّه الذي سيحدث للخطأة في اليوم الأخير، حزن قلبك لذلك. أما الذين خطئوا ضد العليّ، فسوف أُريك أفعالهم.

٤. القيامة

«أُنظُر الآن ماذا سيحدث لهم في اليوم الأخير، حين سيأتي يوم الربّ، يوم العقاب، الذي هو دينونة الربّ. من الشرق إلى الغرب سوف

١ـ تسامح بطرس مرفوض لأنه لا يعتبر وجود عدالة لا بدّ منها، بعدها يمكن أن تُطرَح مسألة التسامح.

يُجمَع الجنس البشري أمام أبي الحيّ إلى الأبد. سوف يأمر نار جهنّم بفتح قضبانها الماسيّة ولفظ كلّ ما هو في داخلها. البهائم والطيور، سوف يأمرها بلفظ كلّ اللحم الذي أكلته، لأنه يرغب في عودة الانسان إلى الظهور. فما من شيء ضائع بالنسبة إلى الله وما من شيء مستحيل عليه. كلّ شيء سيكون كما مُلك له، كلّ شيء، في يوم العقاب، في يوم الدينونة.

«بكلمة الربّ، كلّ شيء يصبح ثانيةً كما إبان خلق العالم وكلّ ما يحتويه: أمر وكلّ شيء كان. سيكون الأمر نفسه في اليوم الأخير، فكلّ شيء ممكن للربّ، كما يقول ذلك الكتاب المقدّس: "يا ابن الإنسان، تكهَّنْ بكلٍّ من هذهِ العظام. ستقول للعظم: 'أيها العظم، هيّا نحو العظام الأخرى، في المفاصل، الأوتاد، الأعصاب، اللحم، الجلد وشعره'"؛ والنفس والروح، سيمنحهما أُوريل العظيم بأمره، فهو الذي أقامه الربّ لقيامة الموتى، في يوم الدينونة.

«أُنظروا وافهموا الحبّة التي بُذِرت في الأرض، كيف نبذرها في الأرض فيما هي جافة وبلا حياة، لكنها تحيا وتُعطي ثمراً، والأرض ستلفظ، مثل مستودع، ما عهدنا به إليها. والمقصود هنا حبّة تموت، بُذِرت في الأرض، وتحيا وأُعطيت لحياة البشر. كم سيقيم الربّ أكثر، في يوم العقاب، الذين يؤمنون به ومختاريه، هم الذين سعى من أجلهم. في يوم العقاب، تلفظ الأرض كلّ شيء، لأنها هي أيضاً يجب أن تُدان مع كلّ شيء، والسماء معها.

٥. إنفجار كوني

«سوف يحدث في يوم الدينونة، للذين خانوا إيمان الربّ والذين خطئوا، ان شلالات نار ستُفتَح؛ ستكون ظلمات وعتمة يكتسي بها

العالم بأسره ويُحجَب بها. المياه ستتحوّل وتتبدّل جمراً، وكلّ ما فيها سيحترق. البحر أيضاً سيصبح ناراً تحت السماء، ناراً قاسية لن تنطفىء وسوف تجري لدينونة غضب. النجوم أيضاً ستذوب بلهب النار، كأنها لم تُخلَق. قبة السماء ستزول، لافتقارها إلى ماء وستكون كأنها لم تُخلَق. ستكون صواعق في السماء، وهذه الصواعق سترُعِب العالم. أرواح الموتى ستكون شبيهة بالأخرى وتصبح ناراً، بأمرٍ من الربّ.

«ما أن تُحَلّ كلّ الخليقة، حتى تهرب كلّ البشرية الموجوده جهة الشرق نحو الغرب، وتلك الموجودة جهة الغرب ستهرب نحو الشرق. الموجودون جهة الشمال سيهربون إلى الجنوب، والموجودون جهة الجنوب سيهربون إلى الشمال؛ إنما غضب النار الرهيب سيطالهم في كلّ مكان، ولهب النار الذي لا ينطفىء سيقودهم إلى دينونة الغضب في نهر من نار[1] لا ينطفىء يجري فيما النار تحترق فيه. وعندما تنفصل أمواجه، وهي تغلي، سيكون صريف أسنان كثير للجنس البشري.

«كلّهم سيرونني آتياً على سحابة منيرة وأبدية، وملائكة الربّ الذين سيكونون معي سيضعون عرش مجدي إلى يمين أبي السماوي. سيضع إكليلاً على رأسي. في ذلك الوقت، عندما ترى الأُمم ستبكي، قبيلةً قبيلة. سوف يأمرها بالمرور عبر نهر النار، وأعمال كلٍّ منها ستقوم أمامها؛ لكلٍّ بحسب أعمالها. أما المختارون، الذين عملوا الصالح، فسيأتون إليّ، وعلى رغم أنهم موتى، لن يرَوا بالتأكيد النار

١ ـ نهر النار نوع من حكم الله استعارته الرؤى اليهودية والمسيحية من مصادر زرادشتية. وهو يُجيز الأبرار ويحبس الأشرار.

المُلتـهمِـة، بينمـا يقف المذنبـون، الخطأة والمراؤون في وسط هـاوية الظلمـات التي لا نهـاية لهـا. عقـابهم سيكون النـار. الملائكة سيـأتون بالخطأة ويُعدِّون لهم مكاناً يُعاقَبون فيه إلى الأبد، كلٌّ بحسب إثمه.

٦. إبادة الوثنية

«أُوريل، مـلاك الربّ، سـيـأتي بنفـوس الخطأة الذين هلكوا في الطوفـان وكلّ الذين تدنّسـوا بكلّ أنواع الأوثان، مع كلّ التـمـاثيل الذائبـة، مع كلّ الأصنام، مع الصـور، مع كلّ المقـامـات، والحجـارة الموضوعة على الطرق. لقد دُعِيت "آلهة": سوف يُحرَقون مع كلّ ذلك في النار الأبدية. وبعد أن يُبادوا كلّهم، هم والأمكنة الموجودون فيـها، سيُعاقَبون إلى الأبد.

٧. العقابات الجهنمية

«بعد ذلك، سيـأتي الرجـال والنسـاء إلى المكان الذي يستـحـقّون. سيُشنَقون باللسان الذي جدّفوا به على طريق الحق[١]، وتُبسَط لهم نار لا تنطفىء لمعاقبتهم. ها هو موضع آخر، حيث حفرة عظيمة، ملأى بكلّ الذين نكروا العدل. سـوف يُحسِن مـلائكة العـقـاب الحـراسـة ويؤجِّجون في داخلها نار عقابهم.

ومن ثمّ، نسـاء أُخريات: سـوف تُشنَق بالعنق وبالشـعـر وتُرمى في الحفرة. انهن اللواتي ضـفرن شـعرهن، ليس لتجـميل أنفسـهن، بل بالأحرى للتحوّل إلى الزِّنى، للإيقاع بنفوس الرجال وإهلاكها. وأيضاً رجال كانوا يجامعونهن زانين، سوف يُشنَقون بالأفخاذ في هذا المكان

١ ـ الشَّنق بالعضو المُرتكِب الإثم.

المضطرم. سيقولون الواحد للآخر: "لم نكن نعلم أن علينا المجيء إلى عقاب أبدي."

«القاتلون وشركاؤهم أيضاً سوف يُلقَون في النار، حيث تكتظّ حيّات سامّة؛ سوف يُعاقَبون من دون توقُّف، متلوّين في عذاباتهم. ديدانهم ستكون كثيرة بحيث سيُشبِهون غيمة قاتمة. الملاك عزرائيل سيأتي بنفوس الذين قُتِلوا، وسيرَون عقاب الذين قتلوهم. هؤلاء الأخيرون سيقولون الواحد للآخر: "عدل وحق دينونة الربّ، فقد تناهى إلينا أن علينا المجيء إلى مكان الدينونة الأبدية هذا، لكننا لم نصدِّقْ ذلك."

«قرب ذلك اللّهب فجوة هائلة وعميقة جداً، يجري فيها كلّ ما يأتي من كلّ مكان فيه ملعونون: رجس نَتِن. النساء سيُغمَرن حتى العنق ويُعاقَبن عقوبة عظيمة. انهن بالضبط اولئك اللواتي يُجهِضن ويُدمِّرن الصنيع الذي كوّنه الربّ. قبالتهم مكان آخر، حيث سيجلس أطفالهم، اولئك الذين حرموهن الحياة. سوف يصرخون نحو الربّ. صاعقة ستأتي من الأطفال، ومخرز في عيون اللواتي سبّبن هلاكهن بذلك الزِّنى.

«إلى أعلى، رجال آخرون ونساء أُخريات سيقفون، عراة، وأطفالهم سيقومون قبالتهم في موضع عذب وساحر. سوف يتنهّدون ويصرخون نحو الربّ بسبب ذويهم: "هم الذين أهملوا وصيّتك، ولعنوها وخرقوها وأماتونا. لقد لعنوا الملاك الذي كوّننا، وشنقونا، وحرمونا النور الذي منحته للجميع." سوف يجري حليب أمهاتهم من أثدائهن، لكنه سوف يتخثّر ويُنتِن. وستخرج منه حيوانات مفترسة، ترتدّ وتعاقبهن هن وأزواجهن إلى الأبد، لأنهن خرقن وصيّة الربّ

وقتلن أطفالهن. أما أطفالهن، فسوف يُعطَون للملاك تِمِلوخوس[١]، بينما الذين قتلوهم سيُعاقبون إلى الأبد، لأن هذا ما شاءه الربّ.

«عزرائيل، ملاك غضبه، سيأتي برجال ونساء هم نصف ملتهبين، وسوف يُلقَون في ذلك المكان المظلم الذي هو نار جهنّم البشر. أرواح حانقة سوف تجلدهم بكلّ أنواع السياط، والديدان التي لا تنام سوف تلتهم أحشاءهم. انهم الذين اضطهدوا أبراري وخانوهم.

«قرب هؤلاء سيكون رجال ونساء آخرون يلوكون لسانهم. سوف يُعذَّبون بقضبان حديدية حامية وتُحرَق عيونهم. انهم الذين جدّفوا وأفسدوا عدلي.[٢]

«لرجالٍ ونساءٍ آخرين أصحاب أفعال احتيالية ستُقطَع شفاههم؛ ستدخل نار أفواههم وأحشاءهم. انهم شهود الزور الذين سبّبوا الموت.

«قربهم سيكون مكان مجاور، مع حجارة نار مسنّنة، رأسها أقطع من سيف. سوف يُلقى فوقها رجال ونساء أُلبِسوا خرقاً واسمالاً بالية، ليُحكَم عليهم بعقوبات مؤلمة لن تكون لها نهاية. انهم الذين يضعون ثقتهم في ثرواتهم والذين احتقروا، خلافاً للمسيح، الأرامل واليتامى.

قرب هذا المكان يوجد آخر مملوء برازاً. سوف يُلقى فيه رجال ونساء حتى الرُّكب. انهم الذين يدينون ويستردّون مرابين

«رجال ونساء آخرون سيُلقون بأنفسهم من أعلى هوّة ويعودون من بَعْدُ راكضين، تُرغِمهم الشياطين. انهم الوثنيون. سوف يوضعون عند

---

١ ـ في البدء كان موكّلاً إليه أمر الهاوية. ثم أُسنِد إليه السهر على الذين ماتوا أطفالاً.

٢ ـ المسيحيون المرتدّون.

حافة الوادي، ويرمون بأنفسهم فيه. سيفعلون هكذا بلا توقّف ويُعاقَبون إلى الأبد. انهم الذين دنّسوا جسدهم، الذين كانت لهم علاقات جنسية مع رجال. والنساء الذين هناك معهم هن اللواتي دنّسن أنفسهن الواحدة الأخرى، مثل امرأة مع رجل.[1]

«قرب هذا الوادي وتحته، سيحضّر الملاك عزرائيل موضعاً مع نار عظيمة، مع كلّ الأوثان الذهبية والفضّية، كلّ الأوثان المصنوعة بيد إنسان، الصور التي تشبه قططاً، أُسوداً، صور الزواحف وصور الحيوانات المتوحّشة. سيكون هناك أيضاً الذين صنعوها، رجالاً ونساءً. سوف يسوطون أنفسهم أمامها بسلاسل من نار، لأنهم ضلّوا. هذه ستكون عقوبتهم إلى الأبد.

«قربهم، رجال ونساء آخرون يحترقون في لهب الإدانة، وستكون عقوبتهم أبدية. انهم الذين يتخلّون عن وصايا الربّ ويتبعون طرق الشيطان.

«هناك مكان آخر عالٍ و[...][2] ووادٍ حيث ستشتعل النار، وستشتعل من الحافة. الرجال والنساء الذين سيسقطون فيها سيهبطون متدحرجين إلى حيث يسود الرعب. ومن ثمّ، فيما الـ[...][3] يسيل، سوف يعاودون الصعود ويهبطون، ويواصلون التدحرج هكذا. بهذه الطريقة هم مُعاقَبون أبدياً. انهم بالضبط الذين لا يُكرِمون أباهم وأُمهم ولا يكترثون إلا لأنفسهم. لذلك سوف يُعاقَبون أبدياً.

«ومن ثمّ سيأتي الملاك عزرائيل بالصبيان والعذارى ليُريهم الذين هم مُعاقَبون، الذين سيُدانون بالتعذيب بجروح كثيرة، توجّهها إليهم

١ ـ اللواطيون والسحاقيات.

٢ ـ كلمة غير مفهومة، لعلّها مكان رمي البراز.

٣ ـ كلمة تعني بالأثيوبية "ما هو مُحَضَّر".

طيور مُفترِسة. انهم الذين يصدِّقون آثامهم، غير طائعين والديهم، ولا يتبعون تعليم آبائهم ولا يُكرِمون مَنْ هو أكبر منهم عمراً. هناك معهم عذارى مرتديات ثياباً قاتمة. سوف يُدَنّ بقسوة، وجسدهن سيُقطَّع. انهن اللواتي لم يحتفظن ببكارتهن حتى يتزوّجن. ستُفرَض عليهن عقوبة كهذه إذاً، تشوّههن لاويةً إياهن.

«ومن ثمّ، سيكون رجال ونساء يلوكون لسانهم بلا انقطاع، فيما يُعاقَبون بالنار الأبدية. انهم تحديداً العبيد الذين لا يطيعون أسيادهم، وهذه هي عقوبتهم إلى الأبد.

«قرب مكان العقاب هذا، رجال ونساء عُميٌ وطُرشٌ، لابسون باللون الأبيض. بعد أن يدفعوا بعضهم بعضاً، سوف يسقطون على جمرات النار التي لا تنطفىء. انهم الذين يتصدّقون ويقولون: "نحن أبرار"، إنما الذين لم يبحثوا بالضبط عن الربّ.

«عزرائيل، ملاك الربّ، سوف يُخرِج آخرين من ذلك اللّهب، ويلفظ حكم عقاب، وهذا هو الحكم: سيجري نهر نار، وكلّ الذين هم مُعاقَبون سينزلون إلى وسط النهر. أُوريل سيوقفهم ويعطي عجلة نار يُثَبَّت إليها رجال ونساء بقوة دورانها. سوف يحترقون في الحفرة، هم السحرة والساحرات حقاً. وتلك العجلات، في كلّ عقاب بالنار، ستكون لا تُحصى.

٨. تثبيت الدينونة العادلة

«سوف يستدعي من بَعْدُ الملائكة مختارِيّ وأبراري، حامليهم في أيديهم، كاملين في كلّ عدالة، لابسين أثواب حياة. سيرَون إذاك الذين كرهوهم يمضون لمواجهة عقابهم الأبدي، كلٌّ بحسب أعماله. كلّ الذين هم مُعاقَبون سيقولون بصوت واحد: "أَشفِقْ علينا، لأننا الآن نعرف

دينونة الربّ، التي كلّمنا عنها قبلاً، إنما التي لم نصدّقها!" سيأتي الملاك تَرْتاروخوس[١]، ويفرض عليهم عقوبات قاسية ويقول لهم: "تتوبون الآن إذاً، بينما لم يَعُدْ من وقت للتوبة ولم يبقَ شيء للحياة!" وكلّهم سيقولون:" عادلة دينونة الربّ، لأننا سمعنا وعلمنا أنها صحيحة بما أنه جازانا كلاً بحسب أعماله.

٩. إتمام الوعود

«في ذلك الوقت، سوف أُعطي مختاريّ وابراري ما سيطلبون، من دون أن يكون هناك عقاب، وسوف أمنحهم معمودية غالية للخلاص، في البحيرة المدعوّة أكيروزي، في جنّة الصالحين؛ سيكون لهم نصيب عدل مع قدّيسيّ. وسوف أمضي، مع مختاريِّ المهلّلين، مع الآباء، إلى ملكوتي الأبدي. معهم سوف أُنفِّذ الوعود التي قطعتها لهم أنا، كما أبي الذي في السماوات.

١٠. مستقبل بطرس

«ها انني كشفت لك، يا بطرس، وشرحت لك كلّ الأمور. إمضِ نحو المدينة التي تُشرِف على الغرب[٣] واشرب الكأس التي وعدتك بها[٤]، من يدَي إبن الذي هو في الجحيم[٥]، ليبدأ بالزوال. أما أنت، فقد اختِرْت بسبب الوعد الذي قطعته لك. إصنَعْ إذاً في سلامٍ أمري في العالم

١ ـ الملاك المسؤول عن الجحيم. لا فرصة في كلامه لتوبة بعد الدينونة الأخيرة.

٢ ـ الملاك ميخائيل يغطِّس فيها الخطأة التائبين قبل ان يقودهم إلى مدينة المسيح.

٣ ـ روما.

٤ ـ الشهادة.

٥ ـ نيرون على الارجح، وأبوه الشيطان.

بأسره، لأنه[1] اغتبط به. ان مصدر كلماتي هو رجاء حياة، وفجأةً فُتِن العالم.»

١١. رؤيا موسى وإيليا

ربّي يسوع المسيح، ملكنا، قال لي: «هيّا إلى الجبل المقدّس.» وجاء تلاميذه معه مُصلّين، فإذا برجلَين. كنا عاجزين عن النظر إلى وجهَيهما، فمن كلّ منهما كان ينبعث نور أسطع من الشمس. ثيابهما كانت أيضاً ساطعة إلى حد لا نستطيع وصفها؛ ما من شيء يمكنه التفوُّق عليهما في هذا العالم، وليس من فم رهيف ما يكفي ليروي جمالها البهيّ، من فرط ما كان مظهرهما مُذهِلاً ورائعاً. كانا طويلَي القامة؛ وجهاهما كانا يسطعان أكثر من الثلج؛ ألوان وجهَيهما وجسدَيهما كانت شبيهة بألوان الوردة؛ شعراهما كانا يستريحان على أكتافهما، وكانا يضعان على جبهتَيهما إكليلاً من ناردين، مضفوراً بزهور جميلة؛ شعراهما كانا مثل قوس قزح. تلك كانت لطافة وجهَيهما، المزدانَين بكلّ أنواع الزينات. عندما رأيناهما، لبثنا منذهلين. ودنوت من الربّ يسوع المسيح، وقلت له: «مَنْ هما؟» فقال لي: «انهما موسى وإيليا.»

١٢. رؤيا الجنة

قلت له: «وإبراهيم، إسحق، يعقوب، والأبرار الآخرون، آباؤنا؟»

فأرانا بستاناً عظيماً مفتوحاً، مملوءاً أشجاراً مُنتِجة وثماراً مباركة. كان مليئاً أريجاً عَطِراً، ورائحته كانت تبلغنا. وفي الداخل رأيت ثماراً كثيرة رائعة[2].

---

١ ـ ربما المقصود هو العالم.

٢ ـ لا وصف للآباء لأن من المفترَض أن يكون مظهرهم شبيهاً بمظهر موسى وإيليا.

١٣. رؤيا الهيكل الحقيقي ـ المسيح الحقيقي

ربّي وإلهي يسوع المسيح قال لي: «رأيت جمع الآباء: هذه هي راحتهم.» اغتبطت وآمنت. قال: «هذا هو مجد الذين تبعوا عدلي وإكرامهم.» فهمت ما هو مكتوب في الكتاب المقدَّس لربّي يسوع المسيح، وقلت له: «ربّي، أَتريد أن أصنع هنا ثلاث مظالّ، واحدة لك، واحدة لموسى وواحدة لإِيليا؟» فقال لي بغضب: «الشيطان هو مَنْ يقاتل معك وحجب عقلك. ان أمور هذا العالم تستولي عليك. لتكُنْ عيناك مفتوحتَين ولتنفتح أُذناك، فليس سوى مظلّة، غير مصنوعة بيد إنسان، بل صنعها أبي السماوي من أجلي ومن أجل مختاريَّ.» لقد رأينا واغتبطنا. وها ان صوتاً جاء فجأة من السماء، قائلاً: «هذا هو إبني الذي أُحِبُّ، الذي به سُرِرت. أَطيعوه!»

١٤. الصعود

وجاءت غيمة عظيمة، شديدة البياض، على ارتفاع رؤوسنا، وحملت ربّنا، موسى وإيليا. فأخذت أرتجف وكنت مذعوراً. ونظرنا ورأينا السماوات مفتوحة ورجالاً من لحم ودم[٢] يأتون للقاء ربّنا، موسى وإيليا، وهؤلاء الرجال مضَوا إلى السماء الثانية. وتمّت كلمة الكتاب المقدَّس: «هذا الجيل يبحث عنه، انه يبحث عن إله يعقوب.» وحدث خوف عظيم وذعر عظيم في السماء. كان الملائكة يحثّون الخطى لتتمّ كلمة الكتاب المقدَّس التي قالت: «إفتحوا الأبواب، يا أيها الأُمراء!»

بعد ذلك إنقفلت السماء التي انفتحت. فصلّينا وهبطنا الجبل ممجِّدين الربّ الذي كتب أسماء أبراره في كتاب الحياة في السماوات.

٢ ـ الأبرار الذين ماتوا قبل مجيء المسيح.

رؤيا بولس لنهاية العالم

غير معروفة كثيراً اليوم. نالت شهرة وانتشاراً فائقاً في القرون المسيحية الأولى وخلال القرون الوسطى. تستند إلى تجربة النشوة السرية التي ذكرها القدِّيس بولس بنفسه عبر الكنايات وبمزيج من الإصرار والحذر؛ تجربة انخطافه إلى السماء الثالثة، إلى الجنّة.

خلافاً لتلميحات القدِّيس المُبهَمة، انخطف الأخير في جسده هنا. وهو ما ذكره دانتي في ملحمته الإلهية.

النص جزء من تقليد يهودي ومسيحي. قرابته واضحة إلى رؤيا يوحنا ورؤيا بطرس الآنفة. يركِّز على المصير الفردي للنفوس، ما أن تغادر أجسادها.

يطرح مسألة الشر من خلال شكوى العناصر وثورتها أمام الفساد البشري. يتضمّن وصفاً سماوياً حتى السماء الثالثة، وجهنّمياً حيّاً، وشرحاً متدرِّجاً لرحلة النفوس بعد الموت.

انه مرحلة على الدرب التي تصل الكنيسة المجاهدة بالكنيسة الظافرة، يقودها بولس على رأس شعب الله.

وُضِع نحو منتصف القرن الثالث م. أو الثلث الأخير من القرن الثاني م. ذكره أُوريجانوس، مشيراً إلى ترحيب الكنيسة به. لكن القدِّيس أُوغسطينوس شجبه. مع ذلك ظلّ انتشاره واسعاً جداً، وتُرجِم إلى لغات عدة. أُحصي منه أكثر من خمسين مخطوطاً لاتينياً، وأكثر من مئتين في ترجمات إلى اللغات القديمة الأخرى. ترك تأثيراً كبيراً في رؤى عدة تعود إلى القرون الوسطى.

من شبه المؤكَّد أن لغته الأصلية هي اليونانية. وقد تكون الإسكندرية موطن ولادته. يتضمّن أوجه شبه مع كتاب "أردا ڤيراز" الإيراني المكتوب نحو نهاية القرن الرابع م.

بصماته واضحة على الفنون الكنسية طيلة القرون الوسطى.

هذه الترجمة تستند إلى ترجمة لاتينية وافية عن اليونانية الضائعة.

١. الوحي المطمور

إذاً، سأصل إلى رؤى الربّ وكشوفاته.

أعرف رجلاً في المسيح انخطف حتى السماء الثالثة لأربعة عشر عاماً خلت (أَكان في جسده؟ لا أدري؛ أَكان ذلك خارج جسده؟ لا

أدري، الله يدري ذلك). وذلك الرجل أَكان ذلك في جسده، أَكان ذلك من دون جسده؟ لا أدري، الله يدري ذلك)، أعلم أنه انخطف حتى الجنّة وأنه سمع كلمات فائقة الوصف، لا يُسمَح للإنسان بتكرارها.

بالنسبة إلى ذلك الرجل سأتباهى؛ إنما بالنسبة إليّ، لن أتباهى إلا بضعفي.

في أي زمان أُذيع ذلك؟ في قنصلية تيودوسيوس أُوغسطوس الفتى وكونستانس[١] كان يعيش رجل محترم يسكن آنذاك في طرسوس، في المنزل الذي كان مسكن القدِّيس بولس؛ وظهر له ملاك ليلاً وكشف له وحياً: قال له أن يقلب أُسس المنزل ويذيع ما سوف يجده فيها. وظن الرجل بأن الأمر كان هلوسة.

لكن الملاك عاد، وفي المرة الثالثة جلده وأرغمه على قلب الأُسس. ووجد الرجل وهو يحفر صندوقة رخامية محفورة كتابات على جوانبها كانت تحتوي وحي القدِّيس بولس والنعلَين اللذين كان يضعهما عندما كان يذهب ليعلِّم كلمة الله. وبما أن الرجل كان خائفاً من فتح الصندوقة، حملها إلى قاض: هذا الأخير أرسلها كما كانت، مختومة بالرصاص، إلى الامبراطور تيودوسيوس، خائفاً من أن يكون ذلك شيئاً ما آخر. وقد تلقّاها الامبراطور وفتحها ووجد فيها وحي القدِّيس بولس؛ فأرسل نسخة منه إلى أُورشليم واحتفظ بالأصلي لنفسه.

٢. الطبيعة ثائرة على الانسان

فيما كنت في جسدي، انخطفت إلى السماء الثالثة وكلام الربّ وُجِّه إليّ هكذا: «قُلْ لهذا الشعب: "حتى متى ستمضون في العجز،

---

١ ـ عام ٤٢٠م.

مضيفين خطيئةً إلى خطيئة ومجرِّبين الربّ الذي صنعكم؟ أنتم أبناء الله، لكنكم تتصرّفون تصرُّف الشيطان، وأنتم تؤمنون بالمسيح، بسبب اضطرابات العالم. تذكّروا إذاً واعلموا أن الجنس البشري من كلّ المخلوقات التي تخدم الله، وحده يرتكب الخطيئة. يأمر كلّ شيء مخلوق، ويخطىء أكثر من كلّ الطبيعة مجتمعةً!»

كثيرة كانت، بالفعل، احتجاجات الشمس النيِّر الأعظم، التي قالت لله: «يا ربّ، أيها الإله الكلّي القدرة، أنا شاهدة على كفر الانسان وظلمه؛ دَعْني أتصرّف، سوف أُريهم على ماذا أنا قادرة، ليعلموا أنك وحدك الله!»

والحال هذه، ارتفع صوت قال لها: «كلّ ذلك أعرفه. ان عيني ترى وأُذنَيّ تسمعان، لكن صبري يحتملهم إلى أن يهتدوا ويتوبوا. وإنْ لم يعودوا إليّ، فسوف أدينهم كلّهم.»

أحياناً، كان القمر والنجوم تسأل الربّ: «يا ربّ، أيها الإله الكلّي القدرة، لقد أعطيتنا سلطان الليل. حتى متى علينا تأمُّل الكفر، الفسق، جرائم القتل التي يرتكبها أبناء البشر؟ دَعْنا نتصرّف، سوف نُريهم ما نستطيعه ليعلموا أنك وحدك الله!»

والحال هذه، ارتفع صوت قال لها: «لدي معرفة بكلّ ذلك، عيني تنظر وأُذني تُنصِت، لكن صبري يحتملهم إلى أن يهتدوا ويتوبوا، وإنْ لم يعودوا إليّ، فسوف أدينهم.»

غالباً ما هتف البحر أيضاً، قائلاً: «يا ربّ، أيها الإله الكلّي القدرة، إن البشر دنّسوا عليّ اسمك المقدّس؛ إسمَحْ بأن أنتصب. بأن أغمر كلّ غابة، كلّ شجرة والعالم بأسره إلى أن أُبيد أبناء البشر وأطرحهم من أمام وجهك ليعلموا أنك وحدك الله!»

والحال هذه، ارتفع صوت قال له: «اعلم كلّ شيء؛ عيني ترى وأُذني تسمع كلّ شيء، لكن صبري يحتملهم إلى أن يهتدوا ويتوبوا، وإنْ لم يعودوا إليّ، فسوف أدينهم.»

أكثر من مرة احتجّت المياه على أبناء البشر، قائلةً: «يا ربّ، أيها الإله الكلّي القدرة، ان أبناء البشر دنّسوا كلّهم اسمك المقدّس.»

والحال هذه، ارتفع صوت، قائلاً: «أعرف كلّ شيء حتى قبل أن يكون؛ عيني ترى، أُذني تسمع كلّ شيء، لكن صبري يحتملهم إلى أن يهتدوا. وإنْ لم يفعلوا ذلك، فسوف أدينهم.»

غالباً ما احتجّت الأرض أيضاً أمام الربّ على أبناء البشر، قائلةً: «يا ربّ، أيها الإله الكلّي القدرة، انني متضرِّرة أكثر من أي آخر من مخلوقاتك، أنا التي أحتمل الفسق، الزِّنى، جرائم القتل، السرقات، اليمين الكاذبة، أفعال السحر، الرُّقى المؤذية للبشر وكلّ ما يرتكبون من شر: الأب يقوم على الإبن والإبن على الأب، الغريب على الغريب، كلٌّ يريد تدنيس امرأة قريبه. الأب يرقد في سرير ابنه. وكذلك الإبن يرقد في فراش أبيه: بكلّ هذه الآثام دنّسوا مكانك المقدّس، وهم يُضَحّون تكريماً لاسمك. لذا أنا مُهانَة أكثر من أي آخر من مخلوقاتك: ما عدت أريد أن أقدِّم لأبناء البشر خيراتي وثماري. دَعْني أُبيد جودة ثماري.»

والحال هذه، ارتفع صوت وقال: «أعلم كلّ شيء، وما من أحد منهم يستطيع الاختباء مِن خطيئته. أعرف كفرهم لكن قداستي تحتملهم كما هم إلى أن يهتدوا ويتوبوا. إلا انني سوف أدينهم، إنْ لم يعودوا إليّ.»

٣. ملائكة البشر

أُنظروا، يا أبناء البشر: ان الخليقة خاضعة لله؛ وحده الجنس البشري يُخطىء. لذا سبِّحوا، يا أبناء البشر، من دون توقّف، الربّ الإله في كلّ ساعة وكلّ يوم، خصوصاً حين تغيب الشمس، ففي هذه الساعة يمضي كلّ الملائكة إلى الربّ ليعبدوه ويقدِّموا له أعمال البشر، ما يفعله كلّ إنسان من الصباح حتى المساء خيراً أو شراً. إذاك يطير ملاك فَرِحاً، من الانسان الذي يسكنه.

عندما تكون الشمس قد غابت إذاً، في ساعة الليل الأولى، في هذه الساعة يتقدّم الملاك من كلّ كائن، من كلّ رجل ومن كلّ امرأة، الملاك الذي يحرس كلّ واحد ويحميه لأن الانسان على صورة الله. كذلك في ساعة الصباح التي هي الساعة الثانية عشرة من الليل، يهرع إلى الله ملائكة الرجال والنساء، ليعبدوه ويقدِّموا له كلّ واحد من أعمالهم، صالح أو شرير. كلّ يوم وكلّ ليلة.

٤. رُسُل الزاهدين

إذا، كلّ الملائكة، فَرِحين، يتقدّمون معاً إلى أمام الله ليعبدوه في الساعة المحدّدة. وإذا بمجمع التأم فجأة في هذه الساعة: الملائكة أتَوا يعبدون الله في حضرته، والروح[١] تقدّم لملاقاتهم؛ وارتفع صوت: «من أين أنتم آتون، أيها الملائكة، مع حِمْل أخباركم؟»

فأجابوا: «نحن آتون من عند الذين زهدوا في الدنيا لأجل اسمك المقدَّس، ماضين من مكان إلى مكان مثل غرباء، ساكنين في كهوف داخل الصخر، آسفين لكلّ ساعة يُمضونها على الأرض، جائعين

١ ـ الروح القدس.

وعطاشاً حُبّاً باسمك، حازمين خصرهم، مُمسِكين في يدَيهم ببخور قلبهم، مصلّين ومباركين في كلّ ساعة، مُقاسِين الضّيق ومسيطرين على أنفسهم بأنفسهم، باكين وحزانى أكثر من أيّ ساكن آخر للأرض. ونحن الذين هم ملائكتهم، نرافقهم في الوجع: مُرْنا بالذهاب وبالخدمة حيث تشاء ذلك، [ولا يفعل ذلك أحد غيرنا][١]، الفقراء أكثر من أيٍّ آخر على الأرض.»

إذاك ارتفع صوت الله الذي قال لهم: «إعلموا أنكم نلتم نعمتي الآن وإلى الأبد وان مساعدي، أي إبني الحبيب، سوف يُعينكم ويوجِّهكم في كلّ ساعة؛ وحتىْ أكثر من ذلك، فهو لن يتخلّى عنهم أبداً حيث هم، وهو يوجِّههم، فحيث هم هناك مسكنه.»

٥. رُسُل البؤساء

وانسحب هؤلاء الملائكة وإذا بملائكة آخرين يصلون ليعبدوا الجلال في حضرته؛ كانوا يبكون. وتقدّم روح الله للقائهم. إذاك ارتفع صوت الله الذي قال لهم: «من أين أنتم آتون، يا ملائكتنا، مُحمَّلين أحمالاً، يا خدام أخبار العالم؟»

فأجابوا أمام الله: «أتينا من عند الذين يبتهلون لاسمك، لكن عقبات العالم جعلتهم بؤساء. انهم يجدون في كلّ ساعة فرص سقوط كثيرة، ولا يقيمون طيلة حياتهم صلاةً واحدةً طاهرةً موجَّهة من عمق القلب؛ ما فائدة الحضور قرب خطأة كهؤلاء؟»

وخاطبهم صوت الله: «ينبغي أن تُعينوهم إلى أن يهتدوا ويتوبوا؛ وإن لم يعودوا إليّ، فسوف أدينهم.» إعلموا إذاً، يا أبناء البشر، ان كلّ أفعالكم، صالحة أو شريرة، ينقلها الملائكة إلى الله.

---

١ ـ العبارة أُعيدت إلى النص الأصلي.

٦. ملائكة الكفرة والبرّ

وقال لي الملاك، متوجِّهاً إلَيّ: «إتبَعْني لأُريك المكان الذي يسلك إليه الأبرار بعد موتهم؛ بعد ذلك سأحملك إلى الهاوية لأُريك نفوس الخطأة والمكان الذي يُساقون إليه بعد موتهم.»

مضيت في إثر الملاك، فقادني إلى السماء؛ ورأيت الجَلَد، وهنا بالذات، القوات: كان هناك النسيان الذي يخدع ويجذب إليه قلوب البشر، روح النميمة، روح الفسق، روح الحنق، روح التبجُّح وأُمراء الإساءات؛ هذا ما رأيت تحت جَلَد السماء.

ثم نظرت مجدداً، ورأيت ملائكة بلا رحمة، بلا شفقة، كان وجههم مملوءاً حنقاً: أسنانهم كانت منتصبة خارج فمهم، عيونهم تتوقّد مثل نجمة الصبح إلى الشرق؛ من شعرهم تتعالى شرارات نار، ومن فمهم أيضاً. سألت الملاك: «مَنْ هم هؤلاء، يا سيِّد؟» فأجابني الملاك: «الذين هم مولَّجون بالكفرة في ساعة الضيِّق، الكفرة الذين لم يؤمنوا بعون الربّ ولم يَثِقوا به.»

ثم نظرت إلى فوق ورأيت ملائكة آخرين كان وجههم يُرسِل بريقاً مثل الشمس: كان حول خصرهم زنّار ذهبي، يحملون في يدَيهم سُعَفاً وعلامة الله، يرتدون ثياباً مكتوباً عليها اسم إبن الله، كانوا يبدون مملوئين بكلّ دماثة، كلّ رحمة.

سألت الملاك وقلت له: «مَنْ هم هؤلاء، يا سيِّد، الذين يُظهِرون كثيراً من الجمال والرحمة؟» فأجابني الملاك: «انهم ملائكة البِرّ: يُرسَلون إلى نفوس الأبرار لإرشادها في ساعة الضيِّق، الأبرار الذين آمنوا بعون الربّ.» قلت له: «هل الأبرار والخطأة مُرغَمون بعد موتهم على لقاء شهود؟» فأجابني الملاك: «وحيدة هي الطريق التي يمرّ بها كلّ

الذين يمضون نحو الله، لكن الأبرار يرافقهم مساعد قدِّيس، لا يُقاسون أي اضطراب عندما يسيرون للمثول أمام نظر الله.»

٧. نفوس الأبرار والخطأة

إذاك قلت للملاك: «أودّ رؤية نفوس الأبرار ونفوس الخطأة عندما تغادر العالم.» فأجابني الملاك: «أُنظُرْ إلى أسفل نحو الأرض.» نظرت من السماء نحو الأرض، ورأيت العالم بأسره: كان تحت نظري، كلا شيء؛ رأيت أبناء البشر: كانوا كلا شيء، عدماً!

دُهِشت وقلت للملاك: «إذاً تلك هي عظمة الانسان؟» فأجابني: «تلك هي! وها هم الذين يفعلون الشر من الصباح إلى المساء.» ونظرت ورأيت سحابة نار عظيمة منبسطة فوق العالم بأسره. وقلت للملاك: «ما هذا، يا سيِّد؟» فأجابني: «انه تلاحم ظلم يحرّكه الخطأة الذين يسيطرون على الساحة.»

لكنني سمعت ذلك بألم، وبكيت. وقلت للملاك: «كنت أودّ رؤية نفوس الأبرار والخطأة ومعاينة طريقة خروجها من الجسد.» فأجابني الملاك: «أُنظُر مجدداً نحو الأرض.» نظرت ورأيت العالم بأسره: وكان البشر كلا شيء، عدماً!

ولدى معاينتي، رأيت رجلاً على وشك الموت. قال لي الملاك: «مَنْ تَراه بارّ.» ونظرت مجدداً ورأيت كلّ الأعمال التي أتمّها باسم الله، كلّ الذي شغله، سواء تذكّره أم لا؛ كلّ ذلك كان ينتصب أمامه في ساعة الضيِّق. ورأيت أن البارّ أثمر، وأنه وجد تعزيةً واطمئناناً.

وقبل أن يغادر هذا العالم، أحاط به ملائكة قدِّيسون وملائكة أشرار: رأيتهم كلّهم، لكن الملائكة الأشرار لم يجدوا قط مسكناً فيه؛

الملائكة القدِّيسون، على العكس، استولَوا على نَفْسه وأرشدوها إلى خروجها من الجسد: إذاك نشّطوها قائلين: «أيتها النَّفْس، إعرفي الجسد الذي تركته، فيوم القيامة سيكون عليك العودة إلى الجسد نفسه لتلقّي ما وُعِد به كلّ الأبرار.»

وإذ التقطوا النَّفْس عند خروجها من الجسد، عانقوها فوراً كما يُعانَق كائن مألوف، قائلين: «تشجّعي، أيتها النَّفْس! لأنك فعلت مشيئة الله طالما كنت على الأرض.» وقَدِم نحوها الملاك الذي كان يحرسها يوماً بعد يوم؛ وقال لها: «تشجّعي، أيتها النَّفْس! انني أغتبط بك لأنك صنعت على الأرض إرادة الله، وأنا كنت أنقل إلى الله كلّ أفعالك الصالحة كما هي.» كذلك قَدِمت الروح للقائها وقالت لها: «أيتها النَّفْس! لا تخافي، لا تضطربي أبداً في انتظار الوصول إلى المكان الذي تعرفينه؛ سأكون مساعدتك: فيك وجدت تعزيةً زمن كنت أسكن فيك عندما كنت على الأرض.» وطمأنتها الروح، وأخذها الملاك وقادها إلى السماء.

والحال أن ملاكاً قال لها: «إلى أين تركضين، أيتها النَّفْس؟ أَتجرؤين على دخول السماء؟ إنتظري! لِنَرَ إنْ كان فيك شيء ما منا. ها اننا لم نجد شيئاً [شراً][١] فيك. انني أرى النجدة الإلهية وأرى ملاكك، والروح تغتبط معك لأنك صنعت على الأرض مشيئة الله.»

وقادوها إلى أن وصلت إلى تحت نظر الله لعبادته. وعندما توقّفوا، سجد ميخائيل وكلّ جيش الملائكة وأخذا يعبدان موطئه، قائلَين للنَّفْس في الوقت نفسه: «ها هو إله كلّ شيء، إلهك الذي صنعك على صورته ومثاله.» وتقدّم الملاك وصرّح: «يا أيها الله تذكَّرْ أفعالها، ها هي

---

١ ـ الكلمة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

النَّفْس التي كنت أنقل إليك سلوكها، يا ربّ، بحسب أمرك.» وقالت الروح كذلك: «أنا روح الحياة التي كانت تتنفّس فيها؛ لقد وجدت فيها مكاناً هانئاً خلال الوقت الذي كنت أسكن فيها بحسب مشيئتك.» وارتفع صوت وقال: «بما أن هذه النَّفْس لم تُحزنني، لن أُحزنها؛ بما أنها كانت رحومة، سوف أُشفِق عليها، ليُعْهَد بها إلى ميخائيل، ملاك العهد، وليقُدْها إلى الجنّة، مكان التمجيد، ليكون لها نصيب هي أيضاً في إرث كلّ القدِّيسين.»

وسمعت إذاك أصوات ألف ألف ملاكٍ، رؤساء الملائكة والكاروبيم، وأربعة وعشرين شيخاً مُنشِدين أناشيد، ممجِّدين الربّ وصائحين: «عادل أنت، يا ربّ، وعادلة هي أحكامك. تجازي كلّ واحد من دون تفضيل أحد، بحسب حكمك.» وأجاب الملاك وقال لي: «أأنت مقتنع، أتعلم الآن أن كلّ واحد منكم يرى ثانيةً، عندما تأتي ساعته، ما صنعه خلال حياته؟» فأجبت: «نعم، يا سيِّد.»

إذاك قال لي: «أُنظُرْ مجدداً نحو الأرض، عايِنْ نَفْس كافر: ها هي تخرج من الجسد؛ لقد أغضبت الربّ، قائلةً نهاراً وليلاً: "لا شيء جديداً في هذا العالم: أما أنا، فآكل وأشرب وأتمتّع بالحياة! أهناك أحد نزل إلى الجحيم وصعد منها ليُعلِن أن هناك دينونة؟"»

ونظرت أيضاً ورأيت كلّ الاحتقار الذي غذّاه الخاطىء وكلّ أفعاله تتجمّع أمامه في ساعة الضّيق: رأيت ما حدث لنَفْسه في هذه الساعة التي كانت تُقاد فيها إلى خارج جسده للدينونة، وقلت: «كان أفضل له لو لم يولَد!» ثم أتى الملائكة القدِّيسون والملائكة الشياطين، ونَفْس الخاطىء [رأت الإثنين][1]؛ ولم يجد الملائكة القدِّيسون مكاناً فيها، لكن

---

١ ـ العبارة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

الملائكة الشياطين استولَوا عليها وقالوا ثلاثاً، فيما كانوا يقودونها إلى خارج الجسد: «أيتها النَّفْس الشقيّة! أُنظري إلى الجسد الذي تخرجين منه: سيكون عليك أن تعودي إليه في يوم القيامة لتلقّي جزاء خطيئتك وكفرك.»

وإذ أخرجوها، وقف الملاك الحارس أمامها وقال لها: «أيتها النَّفْس الشقيّة! أنا الملاك الذي كان يرافقك، ويعرض يومياً للربّ أعمالاً شريرة كنت تقومين بها، نهاراً كما ليلاً: لو كانت لي السلطة على ذلك، لما خدمتك يوماً واحداً، لكنني لم أملك إذناً بذلك لأن الله ديّان رحوم وعادل يأمرنا بمعاونة النفوس إلى أن تتوب. إنما أنت فوَّتِّ زمن التوبة وغدوتُ غريباً بالنسبة إليك وغدوتِ غريبةً بالنسبة إليّ. لنتابعْ إذاً، هيّا إلى الديّان العادل؛ لن أتخلّى عنك قبل أن أعرف انني غدوتُ غريباً بالنسبة إليك.» وكانت الروح توبِّخها والملاك يعنِّفها!

وعندما بلغوا القوات وكانت تتهيّأ لدخول السماء، انقضّت العذابات عليها واحداً بعد الآخر: الإثم، النسيان، النميمة انتصبت أمامها، وروح الفسق وكلّ القوات الأخرى. وقالت لها: «إلى أين تمضين، أيتها النَّفْس الشقيّة؟ أَتجرؤين على التقدُّم نحو السماء؟ توقّفي لِنَرَ إنْ كنا سنجد فيك علاماتنا [...]، لأننا لا نلمح أي قدِّيس مساعد قربك.» وسمعت إذاك أصواتاً من عالي السماء كانت تقول: «قدِّموا لله هذه النَّفْس الشقيّة، لتعلم أنه موجود، هذا الإله الذي احتقرته.»

ودخلت إذاً السماء. ورآها كلّ الملائكة، وهتف آلاف وآلاف بصوت واحد: «الويل لك أيتها النّفْس الشقيّة على كلّ ما صنعته على الأرض! ماذا ستُجيبين الله عندما ستُصبحين أمامه لعبادته؟ وأجاب الملاك

الذي كان يرافقها وقال: «أُبكوا معي يا أحبّائي! لأنني لم أَجِدْ راحةً في هذه النَّفْس.» فأجابه الملائكة وقالوا: «لتُحْمَلْ وتُقْصَ عنا! منذ دخلت إلى هنا وصلت نتانتها إلينا، نحن الملائكة.»

ثم حُمِلت واقتيدت إلى أمام وجه الله لعبادته: وأراها الملاك الربَّ الإله الذي صنعها على صورته ومثاله. لكن الملاك تقدّمها وقال: «أيها الربّ الإله الكلّي القدرة، أنا ملاك هذه النَّفْس: أنا الذي كنت أُقدِّم لك أعمالها ليلاً ونهاراً، فيما لم تكن تتصرّف بحسب حكمك.» وقالت الروح كذلك: «أنا الروح التي كانت تسكن فيها منذ اليوم الذي خُلِقت فيه؛ لقد عرفتها في ذاتها ولم تتبَعْ مشيئتي: حاكِمْها، يا ربّ، بحسب قضائك.»

إذاك أصدت كلمة الله فوقها وقالت: «أين هو الثمر الذي انتجته لقاء الخيرات التي تلقّيتها؟ أعاملتك يوماً واحداً خلافاً للبارّ؟» وكانت النَّفْس تصمت وليس لديها شيء تُجيب به. وأصدى الصوت مجدداً: «عادل هو حكم الله؛ لا تفضيل لأحد لدن الله؛ للرحماء سيملك رحمةً؛ للذين لم يكونوا كذلك لن يملك رحمةً قط. لتُسلَّمْ للملاك ترتاروخوس[١]، المولَّج بالعذابات، وليُرْسِلْها إلى الظلمات البرّانية حيث البكاء وصريف الأسنان: لتسكُنْ هناك حتى يوم الدينونة العظيم.»

٨. مآل إلى الهلاك

وسمعت إذاك أصوات الملائكة ورؤساء الملائكة: «عادل أنت، يا ربّ، وعادل هو حكمك.»

ومجدداً رأيت نَفْساً كان يقودها ملاكان؛ وكانت تقول باكيةً: «أَشفِقْ عليّ أيها الربّ العادل، أيها الإله العادل؛ هذا اليوم هو السابع

١ ـ "حارس الجحيم". يقابل إلى حد ما ميخائيل.

منذ فارقت جسدي وسُلِّمت لهذَين الملاكَين اللذين قاداني إلى أمكنة لم أرَها أبداً.» وقال الله، الديّان العادل: «ماذا فعلت؟ لم تُشفِقي أبداً! لهذا سُلِّمت لملاكَين كهذَين لا شفقة لديهما، ولأنك لم تفعلي أبداً شيئاً بارّاً عاملاك بلا رأفة في ساعة الاحتياج. إعترفي إذاً بالخطايا التي ارتكبتها فيما كنت في العالم.» فأجابت: «يا ربّ، انني لم أُخطىء.»

عندها، إذ كان يسمعها تكذب بتلك الـ«لم أُخطىء»، حنق الربّ الإله العادل وقال: «تعتقدين بأنك لا تزالين في العالم؟ إذا كان يستطيع كلّ منكم هناك أن يُخطىء ويُخفي خطيئته عن جاره، فما من شيء خفيّ هنا، في المقابل: عندما تأتي النفوس لتعبد في حضرة العرش، تظهر أعمال كلّ واحد الصالحة وخطاياه.» وصمتت النَّفْس بلا جواب، وقد سمعت ذلك.

وسمعت الربّ الإله، الديّان العادل، يقول مجدداً: «تقدَّمْ يا ملاك هذه النَّفْس، تعال إلى الوسط.»

ومَثَل ملاك النَّفْس الخاطئة، حاملاً كتاباً بين يدَيه، وقال: «لديّ بين يديّ يا ربّ، كلّ خطايا هذه النَّفْس منذ فتوّتها حتى هذا اليوم، منذ عمر عشرة أعوام: إذا أمرتني بذلك، يا ربّ، فسوف أروي لك أفعالها بدءاً من عامها الخامس عشر.» وقال الربّ الإله، الديّان العادل: «لا أسألك أيها الملاك، أن تعرض لي خطاياها منذ عامها الخامس عشر، وضّحْ لي فقط خطايا الأعوام الخمسة الأخيرة قبل موتها وقبل وصولها إلى هنا.» وقال الله، الديّان العادل، أيضاً: «أَحلِف بذاتي، بملائكتي القدّيسين وبسلطاني، كان يكفي أن تتوب خلال الأعوام الخمسة الأخيرة، كان يكفي حتى عام اهتداءٍ واحدٌ ليُنسى كلّ ما ارتكبته من شر قبلاً، لتنال الصَّفح، غفرانَ خطاياها؛ إنما الآن لتذهَبْ

إلى هلاكها!» وأجاب ملاك النَّفْس الخاطئة: «مُرْ، يا ربّ، هذا الملاك أن يأتي بتلك النفوس.»

وفي اللحظة نفسها، جيء بنفوس إلى الوسط، فعرفتها النَّفْس الخاطئة. وقال الربّ لهذه الأخيرة: «أطلب منك، أيتها النَّفْس، أن تعترفي بما اقترفت حيال هذه النفوس التي ترين، فيما كانت في العالم.»

أجابت: «يا ربّ، لم يمضِ عام بعد على قتلي هذه وإراقة دمها على الأرض؛ على زناي مع هذه الأخرى: ولم أكتفِ بذلك، بل ألحقت بها أذىً عظيماً، انتزعت أموالها.» إذاك قال الربّ، الديّان العادل: «أَلَمْ تكوني تعلمين ذلك؟ حين يتعرّض أحد ما لعنف، وإذا مات أولاً، يُحفَظ في هذا المكان إلى أن يموت مرتكب العنف: إذاك يمثل الإثنان أمام الديّان وكلٌّ يُجازى بحسب أعماله.»

وسمعت صوتاً كان يقول: «لتُسلَّم هذه النَّفْس ليدَي الملاك ترتاروخوس وتُقاد إلى أسفل، في الجحيم وتُرفَع إلى السجن الأكثر سُفليّةً؛ لتُرسَلْ إلى العذابات ولتُتْرَكْ هناك إلى يوم الدينونة العظيم.» ومجدداً سمعت ألف ألف ملاك يُنشِدون أناشيد للربّ ويُعلِنون: «عادل أنت، يا ربّ، وعادلة هي أحكامك.»

٩. مقام الأبرار

واستأنف الملاك وقال لي: «أَرأيت كلّ ذلك؟» أجبت: «نعم، يا سيِّد.» وهو: «إتبَعْني مجدداً، سوف أحملك حتى مقام الأبرار وأُريك إياه.» وتبعت الملاك، فحملني حتى السماء الثالثة ووضعني على عتبة باب، فنظرت ورأيت أن هناك باباً ذهبياً وعمودَين ذهبيَّين تكسوهما، عند رأسهما، حروف ذهبية.

وعاد الملاك إليّ وقال لي: «طوبى لك إذا اجتزت هذه الأبواب، فوحدهم يستطيعون الدخول مَنْ احتفظوا بالصلاح، البراءة، نقاوة القلب.» وسألت الملاك: «يا سيِّد، قُلْ لي، ما هي الحكمة من هذه الحروف المحفورة على هذه الألواح؟» فأجابني: «انها أسماء الأبرار الذين يخدمون الله، على الأرض، من كلّ قلبهم.» واستأنفت: «إذاً يا سيِّد، أسماؤهم محفورة في السماء فيما لا يزالون مقيمين في العالم؟» فأجابني قائلاً: «ليس فقط أسماؤهم، بل وجوههم أيضاً: ان صورة الذين يخدمون الله موجودة في السماء، وهم معروفون من الملائكة الذين يعرفون مَنْ يخدمون الله من كلّ قلبهم حتى قبل أن يفارقوا العالم.»

واجتزت أبواب الجنّة. وعندما دخلت، قَدِم شيخ إليّ؛ كان وجهه يتلألأ مثل الشمس. وقد ضمّني وقال لي: «صباح الخير، يا بولس، يا حبيب الله.» كان يقبّلني ووجهه فَرِح، لكنه كان يبكي في الوقت نفسه. قلت له: «يا أخي، لِمَ تبكي؟» قال، وهو يتنهّد مجدداً ويبكي: «البشر يعذِّبوننا، يُحزِنوننا جداً، فكثيرة هي الخيرات التي أعدّها الربّ وعظيم وعده، لكن كثيرين لا يفهمونه.» وسألت الملاك: «مَنْ هو، يا سيِّد؟» فقال لي: «انه أَخنوخ، كاتب العدالة.»

ودخلت أكثر إلى الأمام في ذلك المكان، وفجأةً رأيت إيليا آتياً يحيّيني، جذلاً وبفرح. انما ما كاد يراني حتى حاد وقال باكياً: «يا بولس، أرجوك أن تتمكّن من تلقّي ثمرة عنائك الذي بذلته بين البشر! لقد رأيت في ما خصّني، الخيرات العظيمة والكثيرة التي أعدّها الله لكلّ الأبرار. عظيمة هي وعود الله، لكن كثيرين لا يفهمونها: بالعكس، يدخل الواحد والآخر بعناء كبير هذه الأمكنة!»

واستـأنف الملاك وقال لي: «ما أُريك إياه الآن، ما سوف تسمعه، لا تكشِفْـه لأحد على الأرض.» وقادني وأراني [...] وسمعت هناك كلمات لا يحقّ لأي إنسان بأن يتلفّظ بها.[١]

وقال لي الملاك مجدداً: «الآن، إتبَعْني، سوف أُريك أشياء يمكنك البوح بها وعليك أن ترويها.» وأنزلني من السماء الثالثة، وجعلني أمرّ بالسماء الثانية وأعادني إلى الجلَد، ومن الجلَد قادني إلى فوق أبواب السماء. كانت أُسس السماء تقوم على النهر الذي يغسل الأرض كلّها. سألت الملاك: «يا سيِّد، ما هو هذا النهر؟» فقال لي: «انه المحيط[٢].» وخرجت من السماء حالاً، وفهمت أن نور السماء هو الذي ينوِّر الأرض كلّها. وفي ذلك الموضع كانت الأرض تلمع سبع مرات أكثر من الفضّة.

١٠. أرض الميعاد

قلت: «يا سيِّد، ما هو هذا المكان؟»، فأجاب: «انها أرض الميعاد. أَلَمْ تسمع ما هو مكتوب: "طوبى للودعاء، لأنهم سيرثون الأرض"؟ ان نفوس الأبرار، حين تفارق جسدها، تُرسَل إلى هنا في غضون ذلك.» قلت للملاك: «إذاً هذه الأرض سوف تظهر قبل الأوان؟» فأجابني الملاك: «حين سيأتي المسيح ـ الذي تبشِّر به ليأتي ملكوته ـ، إذاك تُدمَّر الأرض الأولى وتُظهَر أرض الميعاد بأمرٍ من الله؛ ستكون مثل النّدى أو الغيم. وسوف يظهر الربّ يسوع المسيح، الملك الأبدي، ومع كلّ

١ ـ ربما لم يُسمَحْ بَعْدُ للإنسان بذلك، كما يقول القدِّيس أُوغسطينوس.

٢ ـ صور القرون الوسطى عمّمت إلى حد كبير هذا الوصف للمحيط الدائري الذي يلفّ الأرض.

قدِّيسيه سيأتي ليسكن في هذه الأرض، وسيملك عليهم خلال ألف عام، وكلّهم سيغتذون من الخيرات التي سأُريك إياها الآن.»

وطفت بعينَيّ بهذه الأرض ورأيت نهر لبن وعسل: على ضفّتَي هذا النهر كانت تنمو أشجار ملأى ثماراً: كلٌّ من هذه الأشجار تُنتج اثنتي عشرة مرة في العام وتحمل أنواع ثمار مختلفة. رأيت ما كانت، في هذا المكان، طبيعة الخَلق، وعرفت كلّ مهارة العامل الإلهي. رأيت فيها أشجار نخيل من عشرين ذراعاً وأخرى من عشر. كانت هذه الأرض تلمع سبع مرات أكثر من الفضّة. كانت الأشجار ملأى ثماراً من الأصل إلى التاج [وعلى أشجار النخيل هذه كانت تنمو كرمة معرِّشة بآلاف الأفنان وآلاف العناقيد على كلّ قضيب][1]

وقلت للملاك: «لِمَ تحمل كلّ شجرة آلاف الثمار؟ فأجابني الملاك: «لأن الربّ يفيض بوفرةٍ عطاياه على كلّ الذين يستحقونها والذين هم هناك أماتوا الجسد بمبادرتهم الخاصة عندما كانوا في العالم، صانعين كلّ شيء لاسمه القدُّوس.» ومجدداً، قلت للملاك: «يا سيِّد، أَهي هنا الوعود الوحيدة التي يُعِدُّها الربّ الإله الكلّي القداسة؟» فأجابني: «لا، هناك أعظم منها سبع مرات. أقول لك ذلك حين يكون الأبرار قد فارقوا الجسد، سوف يرَون الوعود والخيرات التي أعدّها الله لهم. إذاك سوف يتنهّدون مجدداً ويبكون قائلين: "أيمكن ان كلمة استطاعت الخروج من فمنا، على الأقل يوماً واحداً، ضد جارنا؟"»

إنما أنا سألت وقلت مرةً أخرى: «أَهي هنا كلّ وعود الله؟» فأجابني الملاك: «ما تراه الآن هو نصيب الأزواج الذين حافظوا على

---

١ ـ العبارة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة. وصورة الكرمة مألوفة أكثر لدى الغربي للتعبير عن الوفرة.

أنفسهم أطهاراً وأعفّاء خلال الزواج. لكن الأبكار، الذين بهم جوع وعطش إلى البرّ، الذين يميتون الجسد باسم الربّ، سيمنحهم الله سبع مرات أكثر. هذا ما سأريك إياه الآن.»

١١. مدينة المسيح

إذاك رفعني وحملني إلى خارج ذلك المكان. وإذا بي أرى نهراً كانت مياهه بيضاء أكثر من اللبن. وسألت الملاك: «ما هذا؟» فقال لي: «انها البحيرة الأكيروزية[١] حيث مدينة المسيح[٢]. ليس مسموحاً للجميع بدخول هذه المدينة، فهنا تمرّ الدرب التي تقود إلى الله. لنتصوَّرْ أن زانياً، كافراً، يندم، يهتدي ويؤدي توبةً لائقةً. ما أن يفارق جسده، حتى يُقاد إلى أمام الله ليعبده، ثم يُعهَد به، بأمر من الله، إلى الملاك ميخائيل ليغطِّسه هذا الأخير في البحيرة الأكيروزية ويقوده من بَعْدُ إلى مدينة الله، قرب الذين لم يرتكبوا خطايا قط.» وأنا كنت مُندهِشاً، وأُبارك الربّ على كلّ ما كنت أراه.

واستأنف الملاك وقال لي: «إتبَعْني، لأقودك إلى مدينة المسيح.» كان يقف عند ضفة البحيرة الأكيروزية، فأصعدني إلى قارب ذهبي ونحو ثلاثة آلاف ملاك تقدّموني إلى أن وصلت إلى مدينة المسيح. واستقبلني سكان مدينة المسيح بفرح عظيم. ودخلت ورأيت مدينة المسيح. كانت كلّها من ذهب. إثنا عشر سوراً كانت تحيط بها، وفي الداخل كان يرتفع اثنا عشر برجاً. المسافة بين سورَين كانت كلّ مرة مقدار غلوة، في كلّ الدائرة. قلت للملاك: «يا سيِّد، كم مقاس غلوة؟»

---

١ ـ اسم تحريفي لاسم نهر الجحيم الإغريقي «أكيرون». عند افلاطون، ينتهي هذا النهر في بحيرة أكيروزياس حيث تصل نفوس معظم الموتى.
٢ ـ أورشليم المسيحية.

فأجابني الملاك: «انها تعادل الفاصل بين الله والبشر الذين هم على الأرض، فوحيدة هي عظمة مدينة المسيح.»

كان إثنا عشر باباً بجمال عظيم تفتح في نطاق المدينة، وأربعة أنهار تحيط بها: واحد من عسل، الآخر من لبن، الآخر من خمرة، الآخر من زيت. وقلت للملاك: «ما هي هذه الأنهار، حول المدينة؟» فأجابني: «انها الأنهار الأربعة التي تجري بغزارة للذين يسكنون على أرض الميعاد: نهر العسل هو الفيزون، نهر اللبن هو الفرات، نهر الزيت هو جيحون ونهر الخمرة هو دجلة[1]. الذين لم يُسرِفوا خلال حياتهم الأرضية، في هذه المواد بل حرموا أنفسهم منها وأماتوا جسدهم إكراماً للربّ، يغمرهم الله بهذه الخيرات في هذه المدينة.»

١٢. على أبواب المدينة

وأنا إذ عبرت الباب، رأيت أمام أبواب المدينة أشجاراً عظيمة وباسقة لم تكن تحمل ثماراً بل أوراقاً فقط، ورأيت أيضاً عدداً قليلاً من الرجال موزّعين بين تلك الأشجار. عندما كانوا يرَون أحداً ما يدخل المدينة، كانوا يبكون بغزارة. وتلك الأشجار كانت تكفِّر عنهم، متصاغرةً بنفسها، منحنيةً ثم منتصبة مجدداً.

حين رأيت هؤلاء الرجال بكيت معهم. وسألت الملاك: «يا سيِّد، مَنْ هم، هؤلاء القوم غير المأذون لهم بدخول مدينة المسيح؟» فقال لي: انهم الذين انكبّوا على الصيام باندفاع، ليلاً ونهاراً، بإنكار ذات، لكنهم كانوا متكبِّرين أمام كلّ الرجال الآخرين، الذين تفاخروا بذلك وتبجّحوا، من دون أن يفعلوا شيئاً لصالح قريبهم. للبعض كانوا

---

١ ـ الأنهار الأربعة موزّعة على الجهات الأربع في معظم الترجمات، لكن ترتيبها مختلف.

يوجِّهون تحيّات لطيفة، وللآخرين لم يكونوا يقولون حتى صباح الخير، ولم يكونوا يفتحون بابهم إلا للذين يروقون لهم، وإذا كان يحدث لهم أن يؤدوا خدمة صغيرة لقريبهم، كانوا ينتفخون غروراً.» وقلت له: «ماذا إذاً، يا سيِّد، كبرياؤهم تمنعهم من دخول مدينة المسيح؟» فأجابني الملاك: «الكبرياء هي أصل كلّ الشرور. أَهناك كائنات أفضل من إبن الله الذي أتى بين اليهود باتضاعٍ عظيم؟»

وسألته أيضاً: «لِمَ هذه الأشجار تنحني لتنتصب مجدداً من بَعْدُ؟» فأجابني الملاك: «خلال الفترة التي قضاها هؤلاء الرجال على الأرض في خدمة الله، حدث لهم أن خجلوا واتضعوا بسبب الفوضى والحقارات التي كانوا يرَونها لدى البشر، لكنهم لم يذهبوا إلى حد الحزن والتكفير للتخلُّص من الكبرياء التي كانت فيهم. لذا تتضع هذه الأشجار وتنتصب مجدداً على التوالي.»

وسألته أيضاً: «لأي سبب هم مقبولون على أبواب المدينة؟» فأجابني الملاك: «لرأفة الله العظيمة ولأنه هنا مدخل الرجال القدِّيسين الذين يدخلون المدينة: انهم متروكون هنا حتى عندما يدخل المسيح، الإله الأبدي، مع قدِّيسيه، يتشفّع هؤلاء من أجلهم ليدخلوا المدينة معاً. إنما مع ذلك لا يستطيع أيٌّ من بينهم أن يحظى باطمئنان [إلى المستقبل][1] بمقدار خدام الله الذين اتضعوا كلّ حياتهم.»

١٣. أنهار المدينة

إلا انني كنت أسير فيما كان الملاك يعلِّمني. وقد حملني حتى نهر العسل. هناك رأيت أَشعيا، إرميا، حزقيال، عاموس، ميخا وزكريا،

١ ـ العبارة أعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

الأنبياء الصغار والكبار: في المدينة حيّوني. وقلت للملاك: «ما هي هذه الطريق؟ فأجاب: «انها طريق الأنبياء: كلّ إنسان حَزِن وامتنع عن تحقيق مشيئته الخاصة، باسم الله يؤتى به بعد أن يفارق العالم إلى أمام الربّ ليعبده، ثم يُعهَد به، بأمرٍ من الله، إلى ميخائيل؛ ويقوده هذا الأخير إلى هذه المدينة، إلى هذا المكان حيث يحيّيه الأنبياء صديقاً وقريباً، لأنه أتمّ مشيئة الله.»

وقادني من بَعْدُ إلى جوار نهر اللبن. هناك رأيت كلّ الأطفال الذين قتلهم الملك هيرودس بسبب إسم المسيح، فحيّوني. وقال لي الملاك: «كلّ الذين حفظوا طهارتهم ونقاءهم يمضون لعبادة الربّ الإله، بعد مفارقتهم جسدهم، ثم يسلَّمون لميخائيل ويُقادون إلى جوار هؤلاء الأطفال الذين يحيّونهم قائلين: "أنتم إخوتنا، أصدقاؤنا، أعضاؤنا"، وبهم سوف يرثون وعد الله.»

ومجدداً رفعني وحملني إلى شمال المدينة حيث كان نهر الخمرة. ورأيت هناك إبراهيم، إسحق ويعقوب، لوط وأَيوب وقدِّيسين آخرين. وقد حيّوني. وسألت: «ما هو هذا المكان، يا سيِّد؟» فأجابني الملاك: «كلّ الذين استقبلوا الغرباء يأتون أولاً لعبادة الربّ الإله بعد مفارقتهم العالم؛ ثم يُعهد بهم إلى ميخائيل؛ وعبر هذه الطريق يُقادون إلى المدينة؛ إذاك كلّ الأبرار يحيّونهم أبناءَ وإخوة ويقولون لهم: "لأنك مارست الضيافة واستقبال الغريب، تعال تقبَّلْ ميراثاً مدينة الربّ إلهنا: كلّ بارّ سيُكافأ بحسب أعماله في مدينة الله."»

ثم حملني أيضاً إلى جوار نهر الزيت، إلى [شرق][1] المدينة. ورأيت هناك رجالاً يهلِّلون ويُنشِدون مزامير. وسألت: «مَنْ هم هؤلاء الرجال،

---

١ ـ الكلمة اختيرت على أساس إتمام بولس دورة المدينة.

يا سيِّد؟» فقال لي الملاك: «انهم الذين يكرِّسون أنفسهم لله من كلّ قلبهم، وليس فيهم أي كبرياء. كلّ الذين يهلِّلون بالربّ الإله ويُنشِدون مجده من كلّ قلبهم يُقادون من هنا حتى هذه المدينة.»

١٤. عروش البسطاء

ثم نقلني إلى وسط هذه المدينة بالذات، قرب السور الثاني عشر. كان في ذلك المكان سور أعلى من الأُخرى. وسألت: «أَفي مدينة المسيح سور له امتياز؟» فأجابني الملاك: «السور الثاني أفضل من الأول، وكذلك الثالث أفضل من الثاني، لأنها تتفوّق الواحد على الآخر حتى الثاني عشر.» وقلت أيضاً: «لِمَ، يا سيِّد، تتفوّق مجداً الواحد على الآخر؟ إشرَحْ لي ذلك.» فأجابني الملاك: «كلّ الذين عليهم لوم أنفسهم وإنْ على نميمة صغيرة، غيرة أو اعتداد يفقدون قليلاً من مجدهم، حتى إنْ كانوا في مدينة المسيح: أُنظُرْ إلى ورائك.»

والتفتّ ورأيت عند كلّ باب عروشاً ذهبية كان يجلس عليها رجال متوّجون بتيجان ذهبية مزيّنة بحجارة كريمة. ونظرت ورأيت في الداخل قرب السور الثاني عشر، صفاً آخر من عروش كانت تبدو في مجد عظيم إلى حد أن ما من أحد يستطيع الثناء عليها. وسألت الملاك: «يا سيِّد، مَنْ يجلس على كلّ عرش؟» فأجابني الملاك: «انها عروش الذين كان لهم صلاح القلب وفطنته، الذين جعلوا من أنفسهم بسطاء القلب من أجل الربّ الإله، غير عالمين بالكتاب المقدّس، غير عارفين مزامير كثيرة، غير متذكِّرين سوى فصل وصايا الله وحده، ومارسوه بكثير من العناية والحماس أمام الربّ الإله. أمامهم كلّ القدِّيسين يستولي عليهم الإعجاب في حضرة الربّ الإله ويقولون لبعضهم بعضاً: "أُنظروا وابصِروا البسطاء الذين لا يعرفون شيئاً

أكثر، أَبصروا ماذا كانت مكافأتهم، أي زينة وأي مجد تلقَّوا من أجل وداعتهم."»

١٥. دور داوود

ورأيت أيضاً في وسط المدينة مذبحاً عظيماً، مرتفعاً جداً: إلى جانب المذبح كان يقف أحد ما وجهه يتلألأ مثل الشمس؛ كان يُمسِك بيدَيه سنطوراً وقيثارة، ويُنشِد: «هللويا.» كان صوته يملأ كلّ المدينة: ما ان كان يسمعه الذين كانوا على الأبراج وعلى الأبواب، حتى يجيبوا كلّهم: «هللويا.» إلى حد أن المدينة كانت تزلزل فوق أُسسها! وسألت الملاك: «يا سيِّد، مَنْ هو هذا الرجل بهذه القدرة؟» فأجابني الملاك: «انه داوود، وها هي مدينة أُورشليم: حين سيأتي المسيح، ملك الأبدية، واثقاً من مملكته، سوف يتقدّمه داوود ليهتف له مُنشِداً وكلّ الأبرار سوف يرافقونه بأناشيدهم، مجيبين: "هللويا."»

وسألت: «يا سيِّد، لِمَ داوود هو الوحيد الذي يبدأ إنشاد التسبيح قبل كلّ القدِّيسين؟» فأجابني الملاك: «لأن المسيح، ابن الله، سيجلس إلى يمين أبيه وداوود يهتف لهما مُنشِداً أمامهما في السماء السابعة: ما يحدث في السماء يحدث أيضاً، بالطريقة نفسها، في أسفل. هكذا، ليس مسموحاً بتقريب ذبيحة لله من دون داوود: ينبغي أن يُنشِد داوود تسبحته في الساعة التي تتمّ فيها ذبيحة جسد المسيح ودمه. ما يحدث في السماء بطريقة معينة يحدث أيضاً على الأرض بالطريقة نفسها.»

وقلت للملاك: «يا سيِّد ما معنى **هللويا**؟» فأجابني الملاك: «تسعى وتسأل معرفة كلّ شيء!» وقال لي: «**هللويا** كلمة عبرية تعود إلى الله

وملائكته: تفسير هذه الكلمة هو **تيسيل. كات. ماريت. ماشا**[١].» قلت: «يا سيّد، ما معنى **تيسيل. كات. ماريت. ماشا**؟» فأجابني الملاك: «**تيسيل. كات. ماريت. ماشا**.معناها: "لنباركه كلّنا معاً."»

وسألت الملاك وقلت: «يا سيِّد كلّ الذين يقولون **هللويا** يباركون الله؟» فأجابني الملاك: «نعم. وإلى ذلك، إذا انشد أحد ما **هللويا** ولم يُنشِدِ الآخرون في الوقت نفسه، يرتكب هؤلاء خطيئة لأنهم لا يرافقون التسبيحة.» وقلت: «أَخطيئة أيضاً إذا كان الأمر يتعلّق بمعاق أو شيخ؟» فأجابني الملاك: «لا، ليس في هذه الحال. إنما الذي يتمتّع بقدراته ولا يرافق التسبحة، إعلَم أنه يحتقر الكلمة: وسيكون ذلك عمل متكبِّر وعمل ساقط عدم مباركة الربّ الإله، خالقه.»

١٦. نهر النار

إذاك توقّف الملاك عن التكلُّم معي. وقادني إلى خارج المدينة بين الأشجار، وابتعدنا عن مقام الصالحين؛ وجعلني أتوقّف على ضفة نهر اللبن والعسل، ثم اصطحبني حتى المحيط الذي يحمل أُسس السماء. واستأنف الملاك وقال لي: «أَتفهم أنك ترحل من هنا[٢]؟» فأجبت: «نعم يا سيِّد.» وقال لي: «تعال، إتبَعْني، سوف أُريك نفوس الكفرة والخطأة لتعرف طبيعة هذا المكان.»

ومضيت مع الملاك. ونقلني عبر درب شمس المغيب، ورأيت أن أساس السماء كان يقوم فوق نهرِ ماءٍ عظيم. وسألت: «ما هو نهر الماء

١ ـ هذه العبارة في النص اللاتيني لا معنى لها. النص اليوناني، يقول: "تيبيل ماريماتا". و"تيبيل" معناها "عالَم" و"ماريماتا" معناها "سيِّد الأرض".

٢ ـ يغادر الملاك وبولس أرض الميعاد ومدينة المسيح، وينتقلان من المحيط إلى قبالته، وهو موضع ظلمات يقع بدوره قبالة أرض الميعاد بالنسبة إلى المحيط. هنا يبدأ قسم ثانٍ من الرؤيا.

هذا؟» فأجابني: «انه المحيط الذي يلفّ الأرض كلّها.» وعندما خرجت وألفيت نفسي إلى الجهة الأخرى من المحيط، نظرت: في ذلك المكان، لا نور! ما من شيء سوى ظلمات، حزن، كآبة. تألّمت.

إذاك رأيت نهر نار يغلي حيث كان قد دخل حشد من رجال ونساء، البعض غائصون حتى الركبتَين، والآخرون حتى السُرّة، والآخرون حتى الشفتَين، والآخرون أخيراً حتى الشعر. وسألت الملاك: «يا سيِّد، مَنْ هم هؤلاء في نهر النار؟» فأجابني الملاك: «انهم الذين ليسوا حارّين ولا باردين[1]، لأنهم ليسوا محصيّين في عداد الأبرار ولا في عداد الكفرة. خلال حياتهم على الأرض قسموا وقتهم، مصلّين بعض أيام، خاطئين وزانين بعض أيام أخرى، وهكذا حتى موتهم.»

وسألت أيضاً: «يا سيِّد، مَنْ هم هؤلاء الناس الغائصون في النار حتى الركبتَين؟» فأجابني: «انهم الذين اندفعوا، وهم خارجون من الكنيسة، في مجادلات لا علاقة لها [بالأمور المقدّسة][2]. والذين هم غائصون حتى السُرّة هم الذين لم يتوقّفوا عن الخطيئة حتى موتهم، على رغم أنهم تناولوا جسد المسيح ودمه. والذين هم مغمورون حتى الشفتَين هم الذين تعايبوا، عندما كانوا يتجمّعون في كنيسة الله. والذين هم مغمورون حتى الحاجبَين هم الذين يتفاهمون بالإشارات ليحيكوا خِدَعاً حيال قريبهم.

١٧. حُفَر الهاوية

ورأيت إلى الشمال عقابات مختلفة ومتنوِّعة في مكان مملوء رجالاً ونساءً حيث يصبّ نهر نار، ونظرت ورأيت حُفَراً عميقة جداً حيث كان

---

١ ـ اللاوديسيون في رؤيا يوحنا: ٣، ١٦.

٢ ـ العبارة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

محتشداً عدد كبير من النفوس: عمق هذا المكان يجب أن يكون ثلاثة آلاف ذراع. ورأيت تلك النفوس تبكي، تنتحب وتقول: أَشفِقْ علينا، يا ربّ!» إنما ما من أحد كان يُشفِق عليها. وسألت الملاك: «مَن هم هؤلاء يا سيِّد؟» فأجابني الملاك: «الذين لم يرجوا الله ولم يؤمنوا بأنهم كانوا يستطيعون الاتكال على معونته.»

وسألت أيضاً وقلت: «يا سيِّد، إذا استمرت تلك النفوس في التكدُّس بعضها فوق بعض، فبعد ثلاثين أو أربعين جيلاً، حتى لو أُرسِلت دوماً إلى أعمق، أعتقد بأن الحفر لن تحتويها.» فأجابني: «الهاوية بلا حدود، فبعد هذه أخرى بَعْدُ وأخرى بَعْدُ. الأمر كما لو ان أحداً ما قوياً يتناول حجراً ويقذفه في بئر عميقة جداً: هذا الحجر لا يصل إلى القرار إلا بعد ساعات كثيرة. هكذا هي الهاوية. حين تُلقى النفوس فيها، تكاد لا تُدرِك القرار بعد خمسمئة عام.»

عندما سمعت ذلك أخذت أبكي وأنوح على الجنس البشري. فقال لي الملاك: «لِمَ تبكي؟ أَأنت أرأف من الله؟ لأن الله صالح ويعلم أن هناك عذابات، يحتمل بصبر الجنس البشري ويترك لكلّ واحد الحق بأن يفعل مشيئته الخاصة خلال الزمن الذي يسكن فيه على الأرض.»

١٨. عذاب خدام الله

ونظرت مجدداً إلى نهر النار، فرأيت فيه رجلاً يُمسِكه بعنقه ملائكة الجحيم الذين كانوا يقبضون باليد على شوكة ثلاثية يبقرون بها أحشاء ذلك الشيخ؛ وسألت الملاك وقلت: «يا سيِّد، مَنْ هو ذلك الشيخ الذي تُوجَّه إليه عذابات كهذه؟» فأجابني الملاك: «مَنْ تراه كان كاهناً لا يؤدي خدمته في شكل لائق: كان يأكل، يشرب ويزني فيما كان يقدِّم قربان الربّ أمام مذبحه المقدَّس.»

وفي مكان غير بعيد عن هناك، رأيت شيخاً آخر كان يقوده أربعة ملائكة شياطين، راكضين بأقصى سرعة: وقد غطّسوه حتى الركبتَين في نهر النار. كانوا يرجمونه ويجرحون وجهه كما في عاصفة حجارة، من دون أن يدعوه يصرخ مُسترحِماً. وسألت الملاك. فقال لي: «مَن تراه كان أُسقفاً ولم يكن يؤدي خدمته في شكل لائق؛ لقد تلقّى إسماً عظيماً لكنه لم يبلغ قداسة الذي أعطاه هذا الإسم مدى الحياة. لم يكن عادلاً في أحكامه، ولم يُشفِقْ على الأرامل واليتامى. وها هو الآن يُجازى بحسب ظلمه وبحسب أعماله.»

ورأيت رجلاً آخر غائصاً في نهر النار حتى الركبتَين. كانت يداه مبسوطتَين، مُدمّاتين تماماً، وكانت تخرج ديدان من فمه ومنخرَيه. وكان يصرخ، نائحاً وباكياً: «الرحمة! انهم يعذّبونني أكثر من كلّ الذين يخضعون لهذا العذاب.» وسألت: «مَنْ هو هذا، يا سيِّد؟» فقال لي: «مَنْ تراه كان شماساً يأكل القرابين، يزني ولم يصنع شيئاً باراً أمام الله. لذا يقضي هذه العقوبة من دون مهادنة.»

ونظرت ورأيت رجالاً ونساءً يرتدون ثياباً فاتحة، عمياناً، في حفرة. وسألت: «مَنْ هم هؤلاء، يا سيِّد؟» فقال لي: «انهم ناس تصدَّقوا لكنهم لم يعرفوا الربّ الإله[1]؛ لذلك يقضون العقوبات الخاصة بهم، من دون مهادنة.»

١٩. تدنيس مخلوق الله

ونظرت ورأيت رجالاً ونساءً آخرين على مِسلّة نار، تمزّقهم الحيوانات وما كانوا يستطيعون حتى قول: «أَشفِقْ علينا، يا ربّ!»

١ ـ أهل صلاح، لكنهم وثنيون على الأرجح، عقابهم أخفّ من عقاب الوثنيين المعاندين.

ورأيت ملاك العذابات يطبِّق عليهم العقوبة بالقوة القصوى ويقول لهم: «إعترفوا بابن الله! ان ذلك قيل لكم بالفعل عندما كانت تُقرأ عليكم الكتب الإلهية، لكنكم تغافلتم عنه. نعم، انها أعمالكم الشريرة التي قبضت عليكم وقادتكم إلى هذه العقوبات.»

أما أنا، فسألت وقلت، متنهِّداً وباكياً: «مَنْ هم هؤلاء الرجال والنساء المخنوقون في النار ويقضون عقوبتهم؟» فأجابني الملاك: «انهم النساء اللواتي دنّسن مخلوق الله عندما ولدن أطفالاً؛ واولئك هم الرجال الذين رقدوا معهن. لكن أطفالهم يصرخون للربّ الإله وللمعذّبين، قائلين: "جرائم كافرة [...][1] اهلنا: لقد دنّسوا مخلوق الله؛ عارفين إسم الله، إنما غير متقيِّدين بوصاياه، أطعمونا للكلاب، جعلونا نُداس بالخنازير وبعضهم رمَونا في النهر." لكن هؤلاء الأطفال يُسلَّمون لملائكة الجحيم الذين يُشرفون على العقوبات، ليُقادوا إلى مكان فسيح حيث يُعَزَّزون. وفيما يُسَلَّم آباؤهم وأمهاتهم لعذاب الخنق إلى الأبد.»

٢٠ ــ عذاب غير الأنقياء

ورأيت من بَعْدُ رجالاً ونساءً يرتدون ثياباً فاتحة ملأى زفتاً وكبريتاً مشتعلاً: كانت حيّات تلتفّ حول أعناقهم، أكتافهم، أقدامهم. وكان ملائكة مُشتعِلو القرون يُمسِكون بهم، يضربونهم بقرونهم، يسدّون مناخيرهم ويقولون لهم: «لِمَ لم تتوبوا وتخدموا الله في الوقت الذي كان مناسباً القيام بذلك؟»

وسألت الملاك: «مَنْ هم هؤلاء، يا سيِّد؟» فقال لي: «انهم الذين كانوا يظهرون زاهدين بالعالم إكراماً لله، لكن عقبات العالم جعلتهم

١ ـ ربما "إحمنا من أهلنا".

بؤساء: غير مُظهِرين أي رأفة، لم يُشفِقوا على الأرامل واليتامى، لم يستقبلوا الغريب والمسافر، غير مقدِّمين حتى أدنى عطيّة، ولم يكونوا رحومين حيال قريبهم. ليس من يوم واحد صعدت فيه صلاتهم نقيّة حتى الربّ الإله، فكثيرة كانت عقبات العالم التي حولّتهم ومنعتهم من عمل الخير تحت نظر الله.»

كان الملائكة يُرسِلونهم حول مكان العذابات، والذين كانوا يعانون تلك العقوبات كانوا يقولون وهم يرَونهم: «نحن أغفلنا الله، فيما كنا نعيش في العالم، وأنتم فعلتم كذلك. إنما نحن كنا نعرف جيداً أننا كنا خطأة، بينما كان يُقال لكم: "هؤلاء هم أبرار وخدام لله." الآن نعلم ذلك، فلم يكن لكم منهم سوى الإسم.» لذا يقضي هؤلاء الناس عقوبتهم.

وتنهّدت وبكيت، قائلاً: «الويل للبشر! الويل للخطأة! لِمَ وُلِدوا؟» فأجابني الملاك: «لِمَ تبكي؟ أأنت ارأف من الربّ الإله، المبارَك إلى دهر الدهور، الذي أقام الحساب، الذي يُعطي كلّ واحد حرية أن يختار، بمشيئته الخاصة، الخير والشر ويدعه يفعل ما يشاء؟» إذاك بكيت أكثر بَعْدُ. فقال لي: «أنت تبكي، بينما لم ترَ بَعْدُ العذابات الأعظم؟ إتبَعْني وسوف ترى عقوبات أسوأ سبع مرات.»

٢١. بئر الهاوية

ونقلني نحو الشمال وقادني فوق بئر وجدتها مختومةً بسبعة أختام. وقال الملاك الذي كان يرافقني لملاك ذلك المكان: «إفتَحْ هذه البئر ليرى بولس، حبيب الله، فقد تلقّى إذناً برؤية كلّ عقوبات جهنم.» وقال لي الملاك: «إبتعِدْ، لتستطيع تحمُّل نتانة هذا المكان.» وعندما فُتِحت البئر، إنبعثت منها رائحة فظيعة أسوأ من كلّ العقوبات.

ونظرت في البئر فرأيت كتلاً مشتعلة من كلّ جانب؛ كان ضيق المكان بحيث أن رجلاً واحداً كان يستطيع أن يعبر مجرى الدخول.

وقال لي الملاك: «إذا أُرسِل أحد ما إلى بئر الهاوية هذه وإذا كانت هذه الأخيرة مختومة، لا يعود يُذكَر بذلك الرجل أبداً أمام الربّ، الإبن والروح القدس.» قلت: «مَنْ هم، يا سيِّدي، الذين يُرسَلون إلى هذه البئر؟» فأجابني: «انهم كلّ الذين لم يؤمنوا بأن المسيح تجسّد وبأن العذراء مريم ولدته، كلّ الذين لم يؤمنوا بأن خبز الإفخارستيّا وكأس التبريك هما جسد المسيح ودمه.»

٢٢. برد وصريف أسنان

والتفت إلى الوراء من الشمال ونظرت نحو المغيب، فرأيت هناك الحيّة التي لا راحة لها أبداً، في ذلك المكان حيث يُسمَع صريف الأسنان. كان طول الحيّات ذراعاً ولها رأسان. ورأيت هناك رجالاً ونساءً، في البرد وصريف الأسنان.

وسألت الملاك: «يا سيِّد، مَنْ هم الموجودون في ذلك المكان؟» فأجابني: «انهم الذين يقولون إن المسيح لم يقُمْ من بين الأموات وإن الجسد لا يقوم.» وسألت أيضاً: «يا سيِّد، أَليس من نار ولا حرارة في ذلك المكان؟» فقال لي: «ليس هنا سوى برد وثلج»، ثم أضاف: «حتى لو ان الشمس تلمع فوقهم، لا يدفأون من فرط ما يفيض هذا المكان برداً وثلجاً.»

حين سمعت ذلك، بسطت يدَيّ وأخذت أبكي، واستأنفت متنهِّداً: «كان من الأفضل لو لم نُولَد، نحن جميعاً الخطأة!»

وأخذ الذين كانوا في ذلك المكان، عندما رأوني أبكي إلى جانب الملاك، يصرخون باكين هم أيضاً: «يا ربّنا وإلهنا، أَشفِقْ علينا.»

٢٣. نزول ميخائيل

إذاك رأيت السماء تنفتح: ونزل منها رئيس الملائكة ميخائيل، ومعه كلّ جند الملائكة. وبلغوا الذين كانوا في العذابات. عند مرأى ذلك، بكى هؤلاء مجدداً وصرخوا: «أَشفِقْ علينا، يا ميخائيل، أَشفِقْ علينا وعلى الجنس البشري، فبصلواتك تدوم الأرض. من الآن فصاعداً رأينا الدينونة واعترفنا بابن الله. كان مستحيلاً علينا أن نصلّي من أجل ذلك قبل أن نكون قد وصلنا إلى هذا المكان. قبل مفارقة العالم، تناهى إلينا أن هناك دينونة، لكن عقابات العالم والحياة الدنيوية منعتنا من التوبة.»

وأجاب ميخائيل: «إسمعوا كلمة ميخائيل: أنا الذي أُقيم في كلّ ساعة في حضرة الله. حيٌّ هو الربّ، مَنْ أُقيم في حضرته. لا أتوقّف ليلاً ولا نهاراً عن الصلاة من أجل الجنس البشري. نعم أُصلّي من أجل الذين هم على الأرض، إنما هم يرتكبون بلا توقُّف الظلم والزِّنى، لا يصنعون شيئاً صالحاً في عينَيّ فيما هم على الأرض؛ وأنتم بدّدتم الوقت الذي كان عليكم أن تتوبوا فيه. وأنا مع ذلك صلّيت دوماً هكذا، والآن [أيضاً][1] أُصلّي إلى الله ليُرسِل المطر والنّدى إلى الأرض، أُصلّي من أجل أن تُعطي الأرض ثمارها. وأقول إذا صنع أحد ما قليلاً من الخير، فسوف أُقاتل من أجله، سوف أحميه لينجو من حكم العذابات. أين هي إذاً صلواتكم؟ أين هي توباتكم؟ لقد أضعتم وقتكم في شكل مُخجِل! أُبكوا الآن إذاً؛ سوف أبكي معكم، وهكذا سيفعل الملائكة الذين يرافقونني، وبولس الحبيب: لنرَ ما إذا كان الله الرحوم سيُشفِق عليكم ويمنحكم قليلاً من الانتعاش.»

---

١ ـ الكلمة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

عند هذه الكلمات، صاح الجميع وبكَوا مرارةً وقالوا بصوت واحد: «أَشفِقْ علينا، يا ابن الله!» وأنا أيضاً، بولس، تنهّدت وقلت: «ربّي وإلهي، أَشفِقْ على ما خلقت: أَشفِقْ على أبناء البشر، على الذين صنعتهم على صورتك!»

٢٤. نزول ابن الله

إذاك نظرت ورأيت السماء تتحرّك: كانت مثل شجرة تهزُّها الريح. وفجأةً سجد الجميع ووجههم إلى الأرض أمام عرش [الربّ][١]. ورأيت الأربعة والعشرين شيخاً والأحياء الأربعة أمام الله، ورأيت المذبح، الحجاب والعرش، وكلّهم كانوا يهلّلون. وارتفع دخان مُطيَّب قرب العرش الإلهي وسمعت صوتاً كان يقول: «ما سبب صلاتكم يا ملائكتي وخدامي؟» فصاحوا: نحن نصلّي لأننا نرى رأفتك العظيمة حيال الجنس البشري.»

ورأيت من بَعْدُ ابن الله ينزل من السماء وعلى رأسه تاج. وعندما رأَوه كلّ الذين كانوا في العذابات صاحوا بصوتٍ واحد: «الرحمة، يا ابن الله العليّ، أنت الذي قدّمت الانتعاش لكلّ الذين هم في السماوات وعلى الأرض، أَشفِقْ بالمثل علينا! لرؤيتنا إياك، نشعر بأننا انتعشنا.»

إذاك أصدى صوت ابن الله عبر العذابات: «ماذا فعلتم ليكون عليكم أن تطلبوا مني أن تنتعشوا؟ إن دمي أُهرِق من أجلكم ولم تتوبوا. من أجلكم لبست إكليل شوك على رأسي، من أجلكم صُفِعت ولم تتوبوا. حين كنت على الصليب طلبت ماءً، فأعطَوني خلاً ممزوجاً

---

١ ـ الكلمة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

بمرّ. بحربة فتحوا جنبي الأيمن. بسبب إسمي قتلوا خدامي الأنبياء والأبرار. في كلّ هذه الحالات أعطيتكم الفرصة لتتوبوا ورفضتم.

«إنما الآن، من أجل ميخائيل رئيس ملائكة عهدي، والملائكة الذين معه، من أجل بولس حبيبي الذي لا أريد أن أُحزِنه، من أجل إخوتكم الذين في العالم والذين يقدِّمون قرابين، من أجل أبنائكم الذين أجدهم أوفياء لوصاياي، وخصوصاً من أجل رأفتي الخاصة، أمنحكم أنتم كلّكم الذين في العذابات راحة ليلة ونهار لتنتعشوا: وسيكون ذلك إلى الأبد، اليوم الذي قمت فيه من بين الأموات[١].»

وصاحوا كلّهم وقالوا: «نباركك يا ابن الله، أنت الذي أعطيتنا ليلةً ونهار راحة. ان يوم انتعاش واحداً أفضل بالنسبة إلينا من كلّ مدة حياتنا على الأرض. لو اننا عرفنا بوضوح ماذا ينتظر الخطأة، لما عدنا ارتكبنا شيئاً، لا تجارة غير مشروعة ولا ظلماً. ماذا نفعنا أن نولَد؟ انها الآن مكبوحة الكبرياء التي كانت تصعد من فمنا نحو قريبنا؛ ان الآلام، الأوجاع العظمى التي نحن فيها، الدموع، الديدان التي تهاجمنا، كلّ هذه العقوبات أسوأ [مما نُحسِن الإفصاح عنه].[٢]

وفيما كانوا يقولون ذلك، حنق عليهم الملائكة الشياطين، ملائكة العذابات، وقالوا لهم: «أَلَمْ تنتهوا من البكاء والنحيب؟ أنتم لم تُشفِقوا! هذه هي دينونة الله [للذي][٣] لم يُشفِقْ. لقد نلتم للتو حظوة عظيمة بحصولكم على الانتعاش خلال ليلة ونهار، الأحد، بفضل بولس حبيب الله الذي نزل إليكم.»

---

١ ـ يختلف يوم راحة الملعونين بحسب التقليد، فتارةً هو الأحد، وطوراً يوم عيد الفصح فقط.

٢ و٣ ـ العبارات أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

٢٥. دخـول الجـنّة

بعد ذلك، قال لي الملاك: «أَرأيت كلّ ذلك؟» فأجبت: «نعم، يا سيِّد.» واستأنف: «إتبَعْني، فسوف أقودك إلى الجنّة لترى الأبرار الموجودين فيها: انهم ينتظرون رؤيتك وهم حاضرون للقائك بفرح وحبور.» وتبعت الملاك بدفعٍ من الروح القدس، فوضعني في الجنّة وقال لي: «ها هي الجنّة حيثُ ارتكب آدم وامرأته الخطيئة.»

ودخلت إذاً الجنّة ورأيت نبع المياه؛ وأومأ إليّ الملاك وقال لي: «أُنظُرْ إلى المياه، ها هو الفيشون، النهر الذي يقطع كلّ أرض الحويلة[١]، هذا هو جيحون الذي يقطع كلّ أرض مصر وأثيوبيا، وهذا هو دجلة الذي يجري نحو أَشور، وهذا هو الفرات الذي يروي أرض ما بين النهرين.»

وإذ دخلنا أكثر إلى الأمام، رأيت شجرةً كانت جذورها تُجري ماءً: هناك كان نبع الأنهار الأربعة. وكان روح الله يرتاح على تلك الشجرة[٢] وعندما كان يهبّ تجري المياه. وقلت: «يا سيِّد، أَهذه الشجرة تُجري المياه؟» فقال لي: «في البدء، قبل أن تظهر السماء والأرض، حين كان كلّ شيء غير مرئي، كان روح الله يرفّ على المياه؛ ثم عندما ظهرت السماء والأرض بأمر الله، ارتاح الروح على تلك الشجرة: ها هو السبب في أن المياه تتدفّق من الشجرة حين تهبّ الروح.»

وأخذني بيدي وقادني إلى قرب شجرة معرفة الخير والشر. وقال: «ها هي الشجرة التي دخل الموت عبرها العالم، فآدم أكل من ثمر هذه

---

١ ـ منطقة في العربية.

٢ ـ شبيهة بما لـ«سدرة المنتهى» من دور في التقليد الإسلامي. هذه الشجرة ذكرها القرآن في سورة النجم: ٥٣/١٤.

الأخيرة، وقد تلقّاه من امرأته، فدخل الموت العالم.» ثم أراني شجرة أخرى في وسط الجنّة وقال لي: «ها هي شجرة الحياة.»

٢٦. مريم العذراء

وفيما كنت لا أزال أنظر إلى الشجرة، رأيت صبيّة ومئتَي ملاك آتين من بعيد، يُنشِدون أناشيد أمامها. وسألت وقلت: «يا سيِّد، مَنْ هي الآتية في مجد كهذا؟» فقال لي: «انها العذراء مريم، أُم الربّ.»

ودنت مني وسلّمت عليّ وقالت: «السلام عليك يا بولس، يا حبيب الله والملائكة والبشر. كلّ القدِّيسين رجَون ابني يسوع، الذي هو أيضاً ربّي، لتأتي إلى هنا باللحم والدم وليرَوك قبل أن تفارق العالم. وقد قال لهم الربّ: "تريّثوا، قليلاً من الصبر! قليلاً بَعْدُ وسوف ترَونه، سيكون معكم إلى الأبد."

«إنما هم قالوا له معاً، مجدداً: "لا تُحزِننا! نريد أن نراه فيما هو لا يزال في الجسد، فعبره ينال اسمك بالفعل تمجيداً قوياً في العالم ونرى أنه تعهّد بكلّ أنواع العناء، من الأصغر أو من الأكبر. هذا ما نعلمه بالفعل من الذين يأتون إلى هنا، عندما نقول لهم: 'مَنْ هو الذي أرشدكم في العالم؟' فيجيبوننا: 'ثمة واحد في العالم يُدعى بولس؛ هذا الأخير يُبشِّر بالمسيح في وعظه، ونؤمن بأن كثيرين دخلوا الملكوت بفعالية كلماته وعذوبتها.'»

«ها هم كلّهم، هؤلاء الأبرار الذين يأتون ورائي للقائك. أقول لك ذلك يا بولس، إنني الأولى التي أذهب للقاء الذين أتمّوا مشيئة إبني وربّي يسوع المسيح، إنني الأولى التي أذهب نحوهم ولا أتركهم يذهبون مثل غرباء حتى اللحظة التي يصلون فيها في سلام.»

٢٧. إِبراهيم وإِسحق ويعقوب

كانت لا تزال تتكلّم عندما رأيت ثلاثة أشخاص جميلين جداً يشبهون المسيح، صوراً متألِّقة، يأتون من بعيد مع ملائكتهم. وسألت: «مَنْ هم هؤلاء، يا سيِّد؟» فقال لي: «لا تعرفهم؟» قلت: «لا أعرفهم، يا سيِّد.» فأجاب: «انهم آباء شعب [الله][1]، إبراهيم، إسحق ويعقوب.» وقد حيّوني، إذ اقتربوا مني، وقالوا لي: نحيّيك، يا بولس، يا حبيب الله والبشر، طوبى لك أنت الذي تُقاسي العنف من أجل الربّ.»

وخاطبني إبراهيم وقال لي: «ها هما إبني إسحق، ويعقوب حبيبي: لقد عرفنا الربّ وتبعناه. طوبى لكلّ الذين آمنوا بكلمته، علّهم يرثون ملكوت الله عبر أوجاعهم، مُظهِرين أمام الربّ نكران ذات، تقديساً، إتضاعاً، رأفةً، وداعةً وإيماناً قويماً. نحن أيضاً نكرِّس أنفسنا للربّ الذي تبشِّر به، بالتعهُّد الذي قطعناه على أنفسنا بمساعدة كلّ نَفْس بين الذين يؤمنون به وإنجادها كما يُنجِد آباء أبناءهم.»

٢٨. قدوم الآباء

كانوا لا يزالون يتكلّمون عندما رأيت من بعيد إثني عشر شخصاً يأتون في موكب عظيم. وسألت: «مَنْ هم هؤلاء، يا سيِّد؟» فقال: «انهم الآباء.» وقد دنَوا وحيّوني وقالوا: «نحيّيك يا بولس، يا حبيب الله والبشر. إن الله لم يُحزِننا قط، لقد سمح بأن نراك فيما لا تزال في الجسد وقبل أن تفارق العالم.»

إذاك قالوا لي أسماءهم، كلٌّ بدوره، من روبين إلى بنيامين. وقال لي يوسف: «أنا الذي بيع: والحال هذه، أقول لك يا بولس، على رغم

[1] ـ الكلمة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

ما فعله فيّ إخوتي لم أتصرّفْ بالسوء معهم لا في الأوجاع التي فرضوها عليّ ولا في كلّ ما ألحقوه بي من الصباح حتى المساء. طوبى للذي يُعذَّب من أجل الربّ ويحتمل ذلك، لأن الربّ يردّ له ذلك مئة ضعف عندما يفارق العالم.»

٢٩. حزن موسى

كان لا يزال يتكلّم عندما رأيت من بعيد شخصاً آخر يأتي، جميلاً، يرافقه ملائكته الذين كانوا يُنشِدون أناشيد، فسألت: «مَنْ هو يا سيِّد، الذي يملك هذا الوجه الجميل؟» فأجاب: «لا تتبيّنه؟» قلت: «لا، يا سيِّد.» فأجاب: «انه موسى، المُشترِع الذي أعطاه الله الشريعة.»

وما أن أصبح قربي حتى أخذ يبكي، ثم حيّاني. فقلت له: «لِمَ تبكي؟ لقد تناهى إليّ بالفعل أنك تتفوّق على كلّ إنسان صلاحاً.» أجابني: «أبكي بسبب الذين زرعت لهم بعناء، لأنهم لم يحملوا ثمراً وما من واحد منهم يستفيد من ذلك. أرى كلّ النعاج التي رعيتها: انها مُشتَّتة وهي كأنها بلا راعٍ؛ كلّ المشقّات التي قاسيتها من أجل أبناء إسرائيل محسوبة لا شيء. مهما كانت عظيمة الأفضال التي حقّقتها في وسطهم، لم يفهموا. أستغرب كيف أن غرباء غير مختونين وعَبَدة أصنام، ما أن اهتدَوا، حتى دخلوا في عهود الله، بينما إسرائيل لم يدخلْها.»

«وأقول لك يا بولس، ان في تلك الساعة التي علّق فيها الشعب [على الصليب][1] يسوع الذي تبشّر به، الله، أبو الجميع، الذي أعطاني الشريعة، ميخائيل، كلّ الملائكة ورؤساء الملائكة، إبراهيم، إسحق،

---

١ ـ العبارة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

يعقوب وكلّ الأبرار بكَوا إبن الله المُعلَّق على الصليب في تلك الساعة، كلّ القدِّيسين حوّلوا عيونهم نحوي وكانوا يقولون لي: "أُنظُرْ، يا موسى، ما فعلوا بابن الله، خاصة شعبك!" لذا أنت محظوظ يا بولس، كما الجيل والشعب اللذان آمنا بكلمتك.»

٣٠. أَشعيا وإِرميا وحزقيال

كان لا يزال يتكلّم عندما أتى إثنا عشر شخصاً آخر، وقالوا لي، وقد رأَوني: «أنت بولس، المُمَجَّد في السماء وعلى الأرض؟» فأجبت: «مَنْ أنتم؟» قال لي الأول: «أنا أَشعيا الذي قطع منسى رأسه بمنشار من خشب.» كذلك قال لي الثاني: «أنا إرميا الذي رجمه أبناء إسرائيل وقتلوه.» وقال الثالث: «أنا حزقيال الذي جرّه أبناء إسرائيل بقدمَيه في الجبل على الصخر حتى فجّروا دماغي. كلّنا قاسينا هذه العقوبات ونحن نبتغي إنقاذ أبناء إسرائيل. وأقول لك انني بعد كلّ الأوجاع التي ألحقوها بي، كنت أسجد أمام الربّ مصلِّياً من أجلهم، لابثاً راكعاً حتى الساعة الثانية من الأحد، حتى وصول ميخائيل الذي كان يُنهِضني عن الأرض. طوبى لك يا بولس، وطوبى للشعب الذي آمن بفضلك!»

٣١. لوط

وفيما كان هؤلاء يعبرون رأيت شخصاً آخر جميل الوجه، فسألت: «مَنْ هو هذا، يا سيِّد؟» هذا الشخص اغتبط عندما رآني. فقال لي الملاك: «انه لوط الذي وُجِد بارّاً في سادوم.» وقد دنا وحيّاني وقال: «طوبى لك يا بولس، وطوبى للجيل الذي خدمته.» فأجبته: «أنت لوط الذي وُجِد بارّاً في سادوم؟» قال: أنا الذي استقبلت في بيتي ملائكة

كانوا يبدون مسافرين؛ وعندما أراد أهل المدينة اغتصابهم، قدّمت لهم اثنين من بناتي، عذراوَين لم تكونا قد عرفتا رجالاً، وقلت لهم: "تمتّعوا بهما كما ترغبون، إنما لا تؤذوا بشيء هؤلاء الرجال." لذلك دخلوا تحت سقفي. هكذا إذاً علينا أن نؤمن ونعلم أن كلّ واحد يجازيه الله مئة ضعف بحسب أفعاله عندما يأتي إليه. طوبى لك يا بولس، وطوبى للشعب الذي آمن بكلمتك.»

٣٢. أيوب

عندما توقّف عن التحدّث إليّ، رأيت من بعيد شخصاً آخر آتياً، جميلاً جداً باسم الوجه، مع ملائكته الذين كانوا يُنشِدون أناشيد. وقلت للملاك الذي كان معي: «إذاً كلٌّ من الأبرار لديه ملاك رفيقاً؟» فقال لي: «كلٌّ من القدِّيسين له ملاكه الذي يقف إلى جانبه ويُنشِد أناشيد: انهما لا يفترقان الواحد عن الآخر.» قلت: «مَنْ هو هذا، يا سيِّد؟» فقال لي: «انه أيوب.»

وحيّاني أيوب، وقد دنا، وقال لي: «يا بولس، يا أخي، أنت في إكرام عظيم لدى الله والبشر. أنا أيوب الذي توجّعت كثيراً: ثلاثين عاماً بسبب جرح مُتَقيِّح؛ وفي البدء كانت الجروح تخرج من جسدي مثل حبوب قمح؛ في اليوم الثالث أصبحت مثل حافر حمار؛ كانت تسقط منها ديدان طولها أربع أصابع؛ في اليوم الثالث ظهر لي الشيطان وقال لي: "قُلْ كلمة في حق الله وستموت[1]." إنما أنا قلت له: "إذا كانت مشيئة الله أن ألبث في هذا الجرح كلّ زمن حياتي، فحتى موتي لن أتوقّف عن مباركة الربّ الإله، ومكافأتي ستكون أعظم." انني أعلم بالفعل أن أوجاع هذا العالم ليست شيئاً بالمقارنة بالراحة

١ ـ في النص السرياني، يضغط الشيطان على أيوب ليلعن الله.

المُنعِشة التي تأتي من بَعْدُ. لذا طوبى لك يا بولس، وكذلك الشعب الذي آمن بفضلك.»

٣٣. نوح

كان لا يزال يتكلّم عندما وصل بغتةً شخص آخر، صارخاً من بعيد وقائلاً: «طوبى لك يا بولس، وطوبى لي لأنني رأيتك، يا حبيب الله.» وسألت الملاك: «مَنْ هو هذا، يا سيِّد؟» فأجابني: «انه نوح [الذي عاش][1] في زمن الطوفان.» وعلى الفور حيّينا بعضنا بعضاً؛ وقال لي، فَرِحاً تماماً: «أنت بولس، حبيب الله.»

وسألته: «وأنت، مَنْ أنت؟» فقال: «أنا نوح الذي عشت في زمن الطوفان. أقول لك يا بولس، خلال الأعوام المئة التي اشتغلت فيها في صنع الفُلْك، لم أُبدِل قميصاً أبداً ولم أقصّ شعري أبداً. كنت أُثابر أيضاً على العفّة، غير دانٍ من امرأتي الخاصة. والحال أن شعري لم يَطُلْ في تلك الأعوام، وثيابي لم تتسخْ؛ خلال ذلك الوقت، كنت أتوسّل إلى الناس، قائلاً: "توبوا لأن طوفان مياه سوف ينقضّ عليكم!» إنما هم كانوا يسخرون مني، ويستهزئون بأقوالي ويقولون لي في المقابل: "ان هذا الزمن هو للذين يستطيعون أن يلعبوا ويُخطِئوا بحرية وفق رغبتهم، للذين يُتاح لهم الزِّنى بحرية من دون رادع: ان الله لا يرى بالفعل ما نفعل، نحن البشر، ولا مجال لطوفان ماء ينقضّ على عالمنا!" وهكذا لم يتوقّفوا عن الخطأ حتى دمّر الله كلّ جسد كان فيه نَفَس حياة. إعلَمْ إذاً أن الله يملك حبّاً لبارّ واحد أكثر منه لعالم كفرة كامل. لذا طوبى لك يا بولس، وكذلك كلّ الشعب الذي آمن بفضلك.»

---

١ ـ العبارة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

٣٤. إيليا وأَليشع

وإذ التفتّ إلى الوراء، رأيت بارَّين آخرَين آتيَين من بعيد، فسألت الملاك: «من هما هذان، يا سيِّد؟» وأجابني: «انهما إيليا وأَليشع.» وقد حيّياني، وقلت لهما: «مَنْ أنتما؟» فأجابني أحدهما: «أنا إيليا، نبي الله، أنا إيليا الذي صلّى، وبتأثير من كلمتي، لم تُمطِرْ خلال ثلاثة أعوام وستة أشهر بسبب ظلم البشر. انه عادل وحق الله الذي يصنع مشيئة خدامه؛ غالباً ما صلّى الملائكة بالفعل للربّ من أجل المطر فقال: «أُصبروا حتى يأتي خادمي إيليا ليصلّي ويبتهل من أجل ذلك، إذاك سوف أُرسِل المطر على الأرض."»

كتاب وحي إلكاساي

Livre de la révélation d’Elkasaï

هذا الكتاب الذي لا نعثر له على أثر بعد القرن الرابع م. يعود إلى تاريخ الحركات المعمدانية التي تجد جذورها في اليهودية والمسيحية القديمتَين. كان المعمدانيون يمارسون اغتسالات في المياه الجارية للحصول على نقاوة كاملة. الشهادات الأدبية المتعلِّقة بهم، باستثناء الإسينيين، نادرة ومُقَطَّعة. انها تعطينا صورة حركة مُشتَّتَة جماعاتها المختلفة مُبَعْثَرة في الشرق الأدنى من دجلة إلى الفرات حتى الأُردن.

إلى الاهتمام بالنقاوة، يميِّز المعمدانيين التقشُّف، مبتعدين عن الممارسات التقليدية اليهودية والمسيحية. وهذا الكتاب تعبير عن هذا الاتجاه الجديد. وإذا كان الإلكاسائيون يستندون إلى هذا الوحي، فإن مجموعات يهودية ومسيحية وحتى يهودية متنصِّرة تقف الموقف نفسه، لذا نجد أصداء له في الأدب الهرطوقي اللاحق.

المصادر

مصادر مسيحية ومانوية نقلت إلينا تقليداً غير مباشر ومُتقطِّع لهذا الكتاب الشهير. وينقل التقليد المسيحي عدداً من مقاطع «كتاب وحي إلكاساي»، نجدها خصوصاً في كتاب الإِلَنْكوس المنسوب إلى هيپوليت الرومي، وفي موعظة لأوريجانوس حافظ عليها أُوسابيوس القيصري وأثبتها في «التاريخ الكنسي»، وفي كتب "پاناريون" لإِپيفانوس السالاميني. أما التقليد المانوي، فينقل بعض تذكُّرات مُبهَمة في "حياة ماني" التي نقلها "كُودِكْس كولونيا المانوي".[١]

الإِلَنْكوس ـ L'Elenchos

الإِلَنْكوس يعود إلى القرن الثالث م. وهو نوع من موسوعة للفلسفات والحركات الدينية في زمنه، كما نقض لضلال الهراطقة الذين ظهروا خلال القرنَين الأولَين من تاريخ المسيحية القديمة.

في آخر النص، يتحدّث المؤلِّف عن "هرطقة البابا كاليستوس (٢١٧ ـ ٢٢٢م.)، المُتَّهم بالتسامحية لأنه قبل في الجماعة المسيحية

---

١ ـ معروف أن ماني عاش من الرابعة والعشرين من عمره في جماعة معمدانية من ميسينة تتبع الإلكاسائية.

مـجـدداً، بشـروط مـعـيّنة، المؤمنين الذين خطئوا، والأمر فضيحة بالنسبة إلى المؤلّف المتشدِّد. فعنده ان التوبة الوحيدة هي توبة المعمودية، كما كان يقول بعض المعلِّمين أيام هيرماس في القرن السابق. لذا يقرِّب عقيدة كاليستوس من عقيدة مبشِّر إلكاسائي هو ألسيبياد الأفامي السوري الذي جاء إلى روما ليكرز بمضمون وحي إلكاساي، وهو مغفرة الخطايا بمعمودية ثانية. ويذهب مؤلِّف الإلَنْكوس إلى اتهام كاليستوس بمعمودية ثانية ويجعل منه بشيراً لهرطقة ألسيبياد.

هذا النزاع اللاهوتي بين التسامحية والتشدُّد، أثار تفسيراً خاطئاً لموقف كاليستوس. فالبعض يستنتجون أنه كان يقيم معمودية جديدة للخطأة، فيما رفضت الكنيسة العظمى هذه الممارسة دوماً.

في كلّ حال، بفضل هذا الصراع، حفظ لنا الإلَنْكوس أقدم شهادة وأهمها عن الإلكاسائيين و«كتاب وحي إلكاساي». في موجز الإلَنْكوس: IX، ١٣ ـ ١٧، حيث أجزاء من "كتاب وحي إلكاساي"، يمكننا استدلال ثلاثة مقاطع كبرى: ملخّص تبشير ألسيبياد في روما، في العقد الثالث من القرن الثالث م.

(IX، ١ ـ ٤)؛ تقديم لعقائد المبشِّر أَلسيبياد وتلاميذه (IX، ١٤)؛ إستشهادات مختارة من "كتابات" أَلسيبياد، أي من "كتاب وحي إلكاساي" (XI، ١٥، ١ ـ ١٧، ١).

ليست كتابات أَلسيبياد" سوى نسخة من ترجمة يونانية لـ"كتاب وحي إِلكاساي"، حملها أَلسيبياد إلى روما. ويقدِّم لنا الإِلَنْكوس عناصر تاريخ وتحديد لأصل هذا المؤلَّف الجغرافي، فمن الممكن انه كُتِب بالآرامية عام ١١٦ ـ ١١٧م. في بلاد الپارتيين، أي في الامبراطورية الإيرانية.

إستشهادات الإِلَنْكوس من «كتاب وحي إلكاساي» ثمينة للغاية. فهي تتناول الليتورجية المعمدانية، الانواع المختلفة من التطهُّر بالماء الجاري؛ الإعتقادات التنجيميّة؛ نبوءة عن حرب تُفني العالم، أي كارثة كونية تشترك فيها إمبراطوريات الكفرة على الأرض؛ الإحتياطات الواجب اتخاذها حيال مضمون الكتاب.

نص الإِلَنْكوس: X، ٢٩، ١ ـ ٣، تقديم مُختصر لعقائد بعض الهراطقة الذين يستندون إلى "كتاب غريب" يُدعى إِلكاساي. ونجد هنا الإشارة الأولى إلى عنوان الكتاب.

أُوريجانوس ـ Origène

في الحقبة نفسها، أو بعد عقود قليلة، وصل مبشِّر آخر، ظل مجهولاً، إلى منطقة قيصرية فلسطين، ليكرز برسالة إلكاساي. يشهد بذلك أُوريجانوس في «عظة في المزمور ٨٢» ويستشهد بقوله أُوزيبيوس القيصري. يُبرِز أُوريجانوس أربع نقاط من العقيدة الإلكاسائية: رفض بعض مقاطع من الكتاب المقدَّس؛ رفض بولس ورسائله في شكل كامل؛ السماح بالخروج من الدين في زمن الاضطهاد؛ كتاب «سقط من السماء» ينبغي الإيمان به لنيل مغفرة الخطايا.

في نص أُوريجانوس يُدعى الهراطقة "إلكيسائيين". يعود سبب هذا التغيير الإملائي إلى النقل من الآرامية إلى اليونانية.

الپاناريون ـ Le Panarion

يذكر إپيفانوس مؤلِّف الپاناريون "كتاب وحي إلكاساي" في علاقته بثلاث هرطقات: الأُوسَّية، وهي شيعة يهودية؛ الإبيونية والسامپسية، وهما شيعتان يهوديتان متنصِّرتان.

وفق إپيفانوس، وضع الكتاب إلكاساي، ومعنى اسمه «قدرة (قوة) خفيّة»، وهو اللقب الذي كان يعطيه السامپسيون لمعلِّمهم.

يميل إِبيفانوس إلى استخدام مصادره لهدف وحيد هو الطعن بالهراطقة. إلا أن من الممكن الركون إلى القسم الأكبر من المعلومات التي يقدِّمها عن الإِلكاسائيين. فهو عندما كان يكتب مؤلَّفه ضد الهرطقات في الأعوام ٣٧٤ ـ ٣٧٧م. في سالامين (كونستانسيا) القبرصية، كان يملك مصدرَين: مصدراً شفهياً: معلومات عن السامپسيين، ومصدراً كتابياً: كتاب يُدعى إِلكاساي. معطيات المصدر الشفهي ليست من اختراع إِپيفانوس. ولا بد أنه عرف السامپسيين في مناسبتين: الأولى عندما كان في إِلوتيروپوليس، في اليهودية الجنوبية، التي كان ممكناً أن يقصد منها المناطق الواقعة إلى الشرق، أو ان يحصل على معلومات من «تقليد» هذه المناطق؛ الثانية عندما توجّه إلى سيتوپوليس لزيارة أُوسابيوس دو ڤيركيه (de Verceil)، حيث كان قادراً على تلقّي أصداء عن حياة جماعات ما وراء الأُردن. تؤكِّد معرفته الشخصية قصة مارتوس ومارتانا، وتفسير معنى "إِلكساي".

إستشهادات الپاناريون أكثر عدداً وتنوُّعاً منها في الإِلَنْكوس في ما يخصّ العقائد، أربعة منها ماخوذة مباشرةً من "كتاب وحي إِلكاساي". وثمة تقارب في بعض

استشهاداتهما. لذا يمكننا الاستنتاج ان النص المدعو إلكساي الذي كان منتشراً عبر الأُردن، و«كتابات» أَلسيبياد المنتشرة آنذاك في روما، هما ترجمتان يونانيتان متوازيتان. ومستقلتان لـ"كتاب وحي إِلكاساي».

في الواقع، لا نعرف معنى كلمة «سامپسي». ربما يكون «خادم الله». وهي بذلك نَسخٌ لعبارة بالآرامية الفلسطينية، مع معنى مماثل لمعنى«زاهد»، وهو اللقب الذي أطلقه فيلون على الإِسّينيين. وفي الپاناريون كلمة "متقيِّدون" تعني جماعة الناصريين الهرطوقية اليهودية. إنما يبدو أن الإسم يشمل كلّ جماعات عبر الأُردن المعمدانية.

"حياة ماني" - "Vie de Mani"

"حياة ماني" نص يوناني وُضِع في مصر في أواسط القرن الرابع م. انطلاقاً من نص آرامي شرقي أصلي، لا يتحدّث عن وجود "كتاب وحي إِلكاساي" لدى معمداني ميسينة، على رغم أن ماني يوضح أن مكتبة المعمدانيين تضمّ كتابات عن التطهُّر الطقسي، و"إماتة الجسد" و"راحة اليدَين"، أي راحة السبت.

تعود شهادة ماني إلى الأعوام ٢٢٠ - ٢٤١م. لذا هي معاصرة تقريباً لتبشير أَلسيبياد في

روما وللرسالة الإلكسائية في قيصرية. والعلاقة واضحة بين "حياة ماني" ونصوص التقليد المسيحي.

ثمة اختلافات بين إلكاسائيي التقليد المسيحي ومعمدانيي التقليد المانوي. فانطلاقاً من غياب النساء في "حياة ماني"، يمكن الاستنتاج أن المعمدانيين يحبِّذون العزوبية. أما في الپاناريون، فالاخيرة محظورة على الإلكاسائيين.

إنما تشير معلومات النص المانوي إلى أن المعمدانيين كانوا يشكّلون نوعاً من تنظيم رهباني مُقفَل داخل الحركة الإلكاسائية، يتشدّد أفراده في تقشُّفهم المعروف جيداً في التقليد المسيحي السرياني.

في مقطع "زكا"، يُدعى إلكاساي "رأس الجماعة" المعمدانية. ويقول ابن النديم (أواخر القرن العاشر م.) في كتابه "الفهرست" أن الحسيح (إلكاساي) هو مؤسس شيعة المُغْتَسِلَة (المعمدانيون).

إعادة تشكيل الكتاب

من المؤكَّد أن كلمة "إلكاساي" أو "إلكساي" (Elxai) كانت في عنوان المؤلَّف، كما كلمة «كتاب» على الأرجح. انما من المشكوك فيه أن

يكون "إلكاساي" أو "إلكساي" اسم المؤلِّف وأن يعود إذاً إلى شخصية تاريخية.

"كتاب وحي إلكساي" الموضوع بالآرامية كان نصاً نبوياً وإيحائياً يضمّ رسالة موحى بها. لذا عرضه التقليد كتاباً ساقطاً من السماء. لم يبقَ من مضمونه سوى استشهادات الإلَنْكوس والپاناريون، ويمكن الإستدلال بواسطتها إلى تبويب الكتاب، فضلاً عن بعض ارتباطاته بالتقليدَين اليهودي والمسيحي.

نُشير إلى أن عقيدة انتقال المسيح من جسد إلى آخر، المأخوذة بحسب الپاناريون من الإبيونية، والمنسوبة إلى الإلكاسائية، لا تعود إلى "كتاب وحي إلكاساي" بل إلى تقليد شفهي. وربما كان الكتاب في مجمله مخصّصاً لعارفي معنى الصيغة السرية الواردة في آخره، من بين الإلكاسائيين.

مؤلِّف الكتاب

يتحدّث مؤلِّف الكتاب بصيغة المتكلِّم. ويتوجّه بحزم وسلطان مباشرةً إلى تلاميذه الذين يدعوهم "أولاداً". كان يشعر إذاً بمسؤوليته حيال جماعته، ويدّعي بأنه شاهد عنها في يوم الدينونة، كما المسيح تماماً.

ينبغي تصنيف المؤلِّف داخل التيار اليهودي المتنصِّر. كتابه هو أول شهادة عن مسيحية ما بين النهرَين، وهي مسيحية خاصة، تؤمن بالتنجيم والسحر وتأليه العناصر الطبيعية. يمكن أن يكون المؤلِّف أحد الأنبياء الجذّابين الذين يتحدّث عنهم كتاب الذيذاخِه اليهودي، أي كتاب تعليم الرسل.

ملاحظة في النص

عُثِر على الفصول IV إلى X من الإلنكوس عام ١٨٤٢ على جبل آتوس، في مخطوط من القرن الرابع عشر م. محفوظ اليوم في المكتبة الوطنية في باريس. نُشِرت أول مرة تحت اسم أُوريجانوس في أُوكسفورد عام ١٨٥١، وعُرِفت بالفصل الأول. الفصلان الثاني والثالث مفقودان.

الإِلَنْكوس، IX: ٤، ٤

XI: ٤ في الزيارة القريبة العهد[١] للشيطان الغريب[٢] إلكاساي. ان تعلُّقه الظاهري بالشريعة هو قناع أضاليله الخاصة؛ انه ينتسب في الواقع إلى العقائد الغنوصية[٣]، أو حتى إلى عقائد التنجيم والسحر.

---

١ ـ بسبب تبشير أَلسيبياد في روما، وهو الذي عرّف بالإلكاساي قبل قليل من وضع الإِلَنْكوس.

٢ ـ الشيطان بمعنى الهرطوقي، والغريب لأنه أتٍ مما بين النهرَين.

٣ ـ راجع كتاب "الأناجيل المنحولة". ليس مؤكَّداً انتماء الإلكاسائيين إلى الغنوصية.

الإِلَنْكوس، IX، ١٣، ١ ــ ١٧، ٣

١. كالّيست وأَلسيبياد

IX: ١٣ إذ انتشرت عقيدة كالّيست في العالم بأسره، أتى إلى روما رجل ماكر ومسلوب العقل، راقب جيداً الوضع، وهو المدعو أَلسيبياد، المقيم في أَفامية من أعمال سوريا ـ وصاحب الصيت الأكثر شؤماً من كالّيست والموهوب أكثر منه في ما يتعلّق بالتضليل.

٢. تبشير أَلسيبياد

كان يحمل كتاباً ويقول ان رجلاً بارّاً، هو إلكاساي، تلقّاه من سيريِّي[١] پارتية ونقل إلى المدعو صوبيآي[٢] هذا الكتاب الموحى به بواسطة ملاك طوله أربعة وعشرون شيناً[٣] ـ ما يُعادل ستة وتسعين ميلاً[٤] ـ، وعرضه أربعة شينات والمسافة من كتف إلى الأخرى ستة شينات؛ وطول أثرَي قدمَيه ثلاثة شينات ونصف ـ ما يعادل أربعة عشر ميلاً ـ، وعرضهما شين ونصف وارتفاعهما نصف شين. ويقول ان امرأة أيضاً كانت مع الملاك، قياساتها تُطابق التي تحدّثنا عنها للتو؛ وكان الرجل إبن الله والمرأة تُدعى روحاً قدساً[٥].

---

١ ـ شعب السيريين، أو مدينة سيرة في پارتية.

٢ ـ إسم شخص أو جماعة، يبدو نقلاً يونانياً لاسم فاعل لفعل مجهول في اللغة الآرامية هو "صبء" ("غسل"، "عمّد"، "غطّس")، ويمكنه أن يعني بالتالي "المعتمدون"، أي "المعمدانيون"؛ وهم الصابئة المعروفون في القرآن والتقليد الإسلامي.

٣ ـ وحدة قياس إيرانية.

٤ ـ وحدة قياس رومانية. قامة الملاك العملاقة تشير إلى طبيعته الإلهية.

٥ ـ كلمة روح الآرامية مؤنثة. هنا تحريف سامي حوّل الروح امرأة. وللأمر أسباب أخرى تتعلّق بدور الروح في اللاهوت السرياني.

بروايته هذه الأمور الخارقة، يظن أَلسيبياد بأنه يبلبل الحمقى. ويعلن هذه الرسالة: ان مغفرةً جديدة للخطايا أُذيعت في العام الثالث من حكم تراجان[١]. وعليه، يأمر بمعمودية - سوف أصفها كذلك -، تعتبر أن أياً كان، حتى لو ان المقصود مؤمن، منغمساً في كلّ أنواع الشّبق، الدنس والكفر، إذا تاب وأنصت إلى هذا الكتاب وآمن، يتلقّى بالمعمودية مغفرة خطاياه. وتجرّأ على أن يحوك هذه الخداعات مُتَّخِذاً نقطة انطلاق العقيدة المعروفة أعلاه، التي كان كالّيست صاحبها.

٣. دحض تبشير أَلسيبياد

في الواقع تصوّر أَلسيبياد وقد لاحظ أن ناساً كثيرين كانوا يُسَرّون لهذا الإعلان، ان الفرصة المناسبة حلّت للانتقال إلى الفعل. وقد عارضناه هو أيضاً ولم نسمح بأن يُخدَع كثيرون طويلاً؛ وعنّفناه على هذا النتاج العائد إلى عقل دعيّ، هذا التصميم العائد إلى قلب متكبّر وعلى واقع انه وقف مثل ذئب ضد نعاج ضالّة كثيرة، تلك التي شتّتها كالّيست بخداعها. إنما طالما بدأنا، لن نسكت كذلك على عقائد أَلسيبياد. بعد أن أُوضح حياته وأُظهِر ان تقشُّفه المزعوم مُصطنَع، سوف أعرض النقاط الرئيسية لخطابه، حتى يعلم أحدهم إذا حدث له أن نظر إلى كتاباته[٢]، من أي طبيعة هي الهرطقة التي يغامر فيها.

٤. عقائد أَلسيبياد

١٤ انه يقترح، بمثابة طُعم، سلوكاً موافقاً للشريعة: مستعيراً بعض عناصر من الهرطقات المذكورة آنفا[٣]، يقول: إن على المؤمنين أن

---

١ - العام الثالث من سيطرة تراجان على بلاد الپارتيين (١١٦ - ١١٧م.).

٢ - «كتاب وحي إلكاساي» الذي كان يحمله الرسول مُترجَماً إلى اليونانية ومكيَّفاً مع حاجات الرسالة في الغرب.

٣ - المقصود هرطقة الإبيونيين التي يستعير منها أَلسيبياد وتلاميذه عقائدهم.

يُختَنوا ويعيشوا بحسب الشريعة. ويقول ان المسيح كان إنساناً مثل كلّ الآخرين، وانها ليست المرة الأولى التي وُلِد فيها من عذراء، بل انه وُلِد أيضاً في الماضي؛ ومرات عدة وُلِد ويولَد، وانه ظهر وكَبُر، ماضياً من ولادة إلى أخرى ومتنقِّلاً من جسد إلى آخر[١] - أَلسيبياد مستعيراً هنا عقيدة فيثاغورس الشهيرة.

انهم متكبِّرون[٢] إلى حد انهم يدّعون حتى بمعرفة المستقبل، مستندين في شكل واضح إلى قياسات العلم الفيثاغوري المذكور آنفاً وإلى اعداده. انهم يتعلّقون بعقائد الرياضيين، المنجِّمين والسَّحرة كما لو انها صحيحة، ومستخدمين هذه العقائد، يُبلبِلون الأغبياء بحيث يجعلونهم يعتقدون بأنهم يملكون عقيدة نافذة.

انهم يعلِّمون بعض التعازيم وصيغاً للذين عضّهم كلب، للممسوسين والذين أصابتهم أمراض أخرى، وهي أمور لن نسكت عنها كذلك. إذاً بعدما وصفت ما يكفي أسباب آثامهم الكبيرة، سوف أنتقل إلى عرض كتابات سيعرف القراء عبرها بلاهة مشاريع كهذه وكفرها.

٥. كتابات أَلسيبياد

١٥ إذاً يمنح أَلسيبياد هكذا المعمودية قائلاً للذين [خُدِعوا][٣]: «يا أولاد، إنْ جامع رجل إذاً حيواناً أياً كان، رجلاً آخر، أُخته أو ابنته،

١ - عقيدة تناسخ المسيح المنسوبة إلى تعليم أَلسيبياد الشفهي. ينسبها إيبفانوس إلى الإبيونيين. التقليد الإقليموسي المزعوم تلقّفها لإبراز نبي الحق (آدم - المسيح) الذي يظهر دورياً خلال تاريخ العالم.

٢ - تلاميذ أَلسيبياد.

٣ - الكلمة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

إن ارتكب زنىً أو فعل فسقٍ آخر ويريد الحصول على مغفرة خطاياه، ما ان يعير هذا الكتاب أُذنه، حتى يعتمد مرة ثانية باسم الله العظيم والعليّ[١]، وباسم ابنه، الملك العظيم[٢]. ليكن متطهّراً ومتقدّساً، وليدعُ للشهادة الشهود السبعة المكتوبين في هذا الكتاب: «السماء، الماء، الأرواح المقدَّسة، ملائكة الصلاة، الزيت، الملح، الأرض.» هذه هي أسرار إلكاساي الرائعة، أسرار فائقة الوصف وعظيمة، ينقلها إلى التلاميذ الذين يراهم أهلاً لذلك. الكافر لا يكتفي بذلك، بل يختم على شروره الخاصة، في حضور شاهدَين أو ثلاثة، مضيفاً: «أُكرِّر ذلك، أيها الرجال والنساء الزُّناة والأنبياء الكذبة[٣]، إذا أردتم أن تهتدوا وتُغفَر لكم خطاياكم، فسوف تنالون السلام ومكاناً قرب الأبرار[٤] منذ اللحظة التي تُعيرون فيها هذا الكتاب أُذنكم وتعتمدون مرة ثانية من دون أن تتعثّروا[٥].

إنما طالما قلنا إنهم يتلفّظون بتعازيم فوق الذين عضّهم كلب وفوق آخرين، سوف نبيِّن ذلك. هكذا يقول: «إنْ عضّ إذاً كلب كَلِب وحانق[٦]، تسيطر عليه روح دمار، ومزّق أو لمس رجلاً أو امرأة، شاباً أو صبيّة، فليركُضْ في اللحظة نفسها مع كلّ ما يحمل، ويُلقي بنفسه في نهر أو نبع، شرط أن يكون المكان عميقاً، وأن يغطس فيه مع ثيابه، وليُصَلِّ بكلّ اطمئنان إلى الله العظيم والعليّ وليستدعِ إذاك للشهادة الشهود

---

١ ـ وصف الله في الشتات اليهودي.

٢ ـ لقب ابن الله.

٣ ـ يساوي الأنبياء الكذبة بالزُّناة. هل لان النبي الكاذب هو الذي يتعهّر مع الشيطان مثل عرّاف؟

٤ ـ الإلكاسائيون.

٥ ـ العادة نفسها لدى السامريين والإبيونيين.

٦ ـ للكلب قيمة رمزية، فالمقصود هو الشبق الذي يقوم الطقس العمادي مقام علاج له.

السبعة المكتوبين في هذا الكتاب: "ها انني أُشهِّد السماء، الماء، الأرواح القدِّيسة، ملائكة الصلاة، الزيت، الملح، الأرض. بهؤلاء الشهود السبعة، أُقسِمِ بألا أُخطىء بَعْدُ، بألا أرتكب زنىً بَعْدُ، بألا أسرق بَعْدُ، بألا أرتكب ظلماً، بألا أكون جشعاً بَعْدُ، بألا أحقد بَعْدُ، بألا أرتكب كفراً بَعْدُ وبألا اؤيِّد أي شر." وليستحمّ وقد قال ذلك، باسم الله العظيم والعليّ وهو محتفظ بثيابه.»

١٦ويقول خرافات أخرى كثيرة، ناصحاً بترداد الصِّيَغ السحرية للمصدورين والانغماس في الماء البارد أربعين مرة خلال سبعة أيام. والنصيحة نفسها للممسوسين. يا للحكمة الفريدة والتعازيم الملأى قوةً! مَنْ لا يُصاب بذهول بقوة كلمات كهذه وعظيمة جداً؟

إنما طالما اننا قلنا إن لهم علاقة بالضلال التنجيمي، سوف نبيّن ذلك منطلقين من أقوالهم الخاصة. هكذا يقول: «ثمة كواكب كفر شريرة.» والحال ان هذا ما قيل لكم، يا أيها المؤمنون والتلاميذ: «حاذروا الأيام التي تمارس فيها الكواكب الشريرة تأثيرها ولا تبدأوا أي مشروع في تلك الأيام ولا في أيام سلطانها، ولا تعمِّدوا رجلاً ولا امرأة[1] عندما يجتازها القمر ويكون في قران معها. راقبوا ذلك اليوم حتى يبتعد القمر عنها وإذاك عمِّدوا وانطلقوا في أيّ بداية من أعمالكم. وبَعْدُ، احترموا يوم السبت[2]، لأنه أحد تلك الأيام. إنما انتبهوا أيضاً إلى عدم المباشرة بعمل في اليوم الثالث بعد السبت، فعندما تكون قد تمّت مجدداً ثلاثة أعوام من حكم الإمبراطور تراجان، بدءاً باللحظة التي أخضع فيها البارتيين لسلطانه، عندما تكون قد

١ ـ الكلام موجّه إلى أولياء العماد.

٢ ـ السبت، يوم عطارد، والثلاثاء، يوم المريخ.

تمّت ثلاثة أعوام، ستندلع الحرب بين ملائكة كفر الشمال؛ وبسبب ذلك كلّ ممالك الكفر ستثور.»[١]

١٧ وبما أنه يظن بأن من غير المعقول أن تُداس بالقدم تلك الأسرار العظيمة أو تُنقَل إلى عدد كبير من الأشخاص، ينصح بالمحافظة عليها مثل لآلىء ثمينة. يقول: «لا تقرأوا هذا المؤلَّف للعاديين، وحافظوا على هذه التعاليم بعناية قصوى، فكلّ الرجال ليسوا أوفياء ولا كلّ النساء مستقيمات.» ان هذه الأمور لم تجِدْ مكاناً لها في العقائد السرية لحكماء مصر ولا في عقائد الفيلسوف الإغريقي فيثاغورس. وفي الواقع، لو عاش إلكاساي في تلك الحقبة، أي حاجة كان ليشعر بها فيثاغورس او طاليس، سولون أو الحكيم أَفلاطون في الانتساب إلى مدرسة كهنة مصر، فيما كانوا ليملكوا في تصرّفهم حكمة مماثلة وبهذه العظمة لدى أَلسيبياد، بوصفه مفسِّراً رائعاً للحقير إلكاساي؟ ان ما قلناه يبدو كافياً لتعريف الناس ذوي العقل السليم إلى جنون الإلكاسائيين؛ لذا لم نرَ مناسباً عرض استشهادات أوسع لهذياناتهم الَتي لا تُحصى والسخيفة.

---

١ ـ يتنبّأ مولِّف هذا المقطع بثلاثة أعوام جديدة لتراجان في المنطقة بدءاً بهزيمة البارتيين في ستيزيفون عام ١١٦ ـ ١١٧م. في نهاية هذه الأعوام تنشب حرب إفنائية للعالم على يد الملائكة الكفرة الذين كان يُظَن بأنهم يقيمون في الشمال، وتمتدّ إلى الممالك الوثنية، وبينها الإمبراطورية الرومانية المسؤولة عن احتلال بارتية. يمكن تفسير هذه الحرب إنتقاماً إلهياً من أعداء البارتيين طلبه النبي صاحب النص. لكن الكارثة الكونية لم تقع ولا عرف تراجان تجديداً لحكمه على بارتية، لانه مات في أب عام ١١٧ أو ١١٨م. في كيليكية. إنطلاقاً من هذه المعطيات، ينبغي تحديد تحرير "كتاب وحي إلكساي" قبل موت تراجان وعلى مشارف معركة ستيزيفون التي أنهت عملياً الحرب البارتية.

الإِلَنْكوس، X: ٢٩، ١ ـ ٣

X: ٢٩ واختلق آخرون، مقدِّمين ابتكاراً ما استعاروه من كلّ الهرطقات، كتاباً غريباً، مُسمّى بحسب المدعو إلكاساي. انهم يُقِرّون بالطريقة نفسها، بأن مبادىء الكون صنعها الله.

ولا يؤمنون بأن المسيح واحد، بل بان هناك واحداً فوق، وغالباً ما تناسخ في أجساد عدة ولا سيما في يسوع. كذلك يؤمنون من جهة بأنه وُلِد من الله، وبأنه من جهة أخرى روح[1]، أحياناً وُلِد من عذراء، وأحياناً لم يولَد من عذراء، وانه منذ الأزل تناسخ في الأجساد ويكشف عن نفسه بطرق عدة، تبعاً للأزمنة.

انهم يستخدمون تعازيم ومعموديات تستند إلى الابتهال إلى العناصر، ويهتاجون في شأن التنجيم، الرياضيات والسحر. ويقولون بمعرفة ما يجب أن يحدث.

أُوريجانوس
(بحسب أُوسابيوس القيصري
في «التاريخ الكنسي»، VI: ٣٨)

VI: ٣٨ إذاك دشّنت الهرطقة المدعوّة هرطقة الإلكاسائيين انحرافاً آخر انطفأ في وقت بدايته نفسه. يذكر أُوريجانوس ذلك في عظة في المزمور ٨٢، أُلقيت في المحفل، حيث يتكلّم بهذه العبارات: «في الوقت الحاضر[2]، جاء أحدهم كان يزدهي بالقدرة على تعليم عقيدة مُلحِدة

---

١ ـ أي ملاك، أسمى من الملائكة الآخرين.

٢ ـ أيام حكم الامبراطور فيليبس العربي (٢٤٤ ـ ٢٤٩م.).

وكافرة تماماً، تُدعى عقيدة الإلكاسائيين التي عارضت الكنائس حديثاً[١]. ان الأضاليل التي تعلِّمها سوف أعرضها لكم لئلا تُجَرّوا إليها. انها ترفض بعض مقاطع من كلّ الكتب المقدّسة، ولا تزال تستخدم كلمات مستعارة من كلّ العهد القديم ومن الأناجيل، وترفض الرسول كلِّيّاً[٢]، وتقول ان من غير المهم الارتداد، وان الذي يفكِّر يُنكِر بالفم في الضرورات، انما ليس بالقلب. ويعرضون أيضاً كتاباً يقولون انه سقط من السماء[٣]: مَنْ يسمعه ويؤمن به ينَلْ مغفرة خطاياه، وهي مغفرة غير التي أعطاها يسوع المسيح.

إپيفانوس السالاميني،

«أناكيفاليوزيس»[٤]، الپاناريون، XVIII

XVIII **الأوسّينيون**[٥]. تفسير اسمهم هو «الوقحون جداً»[٦]. كانوا يفعلون كلّ أمر بحسب الشريعة. انما بالإضافة إلى الشريعة، كانوا يستخدمون كتابات أخرى. وكانوا يرفضون معظم الأنبياء الذين يأتون بعد الشريعة.

---

١ ـ تعود "حديثاً" إلى نشاط الرسول في قيصرية، وليس إلى ولادة الهرطقة.

٢ ـ القانون الإلكاساني يضمّ العهدَين: القديم والجديد، ويرذل رسائل بولس الذي يعارضونه بشراسة.

٣ ـ "كتاب وحي إلكاساي".

٤ ـ «Anakephalaiosis» تعني "مراجعة"، وهي اختصار للپاناريون ليس من عمل إپيفانوس بالتأكيد. نجد فيه ترتيب هرطقتَي الأُوسّينيين والناصريين مقلوباً بالنسبة إليه في الپاناريون.

٥ ـ او "الأُوسّيون"، او "الإسّينيون".

٦ ـ تفسير كيفيّ.

إِبيفانوس السالاميني،
الپاناريون، XIX: ١ ــ ٦، ٥

١. إرتباط بالأُوسّيين

XIX: ١ بعد هذه الشيعة، تأتي أخرى مرتبطة بدقة بالسابقة، وهي الهرطقة المدعوّة هرطقة الأُوسّيين. كانوا يهوداً مثل الشيّع المذكورة آنفاً[١]، خبثاء في سلوكهم، ماهرين[٢] في فكرهم. وكما يقول التقليد الذي انتهى إلينا، كان أصلهم من بلاد النّبط وإيتورية، وموآب وأَرييليتيدة، وهي مناطق تقع وراء ما يُدعى في الكتاب المقدّس «الجوف المالح»، وما ندعوه البحر الميت. جنس الأُوسّيين هذا، إستناداً إلى ترجمة اسمه، يعني «جنساً صلباً.» ولاحقاً، في زمن الإمبراطور تراجان، بعد مجيء المخلّص، انضمّ إليهم الذي يُدعى إلكساي والذي كان نبياً دجّالاً. وقد كتب كتاباً على قوله نبوياً أو مكتوباً بحسب حكمة موحى بها؛ ويقولون أيضاً أن آخر، هو ييكساي[٣]، كان أخاه. هذا الرجل، إلكساي، كان فاسداً في طريقة حياته، كاذباً في ما يتعلّق بعقيدته. كان أصله يهودياً ويفكّر مثل يهودي، لكنه لم يكن يحيا بحسب الشريعة[٤].

وقد كوّن هرطقته الخاصة، عارضاً بعض الأمور مُستبدِلاً أخرى، آمراً بالقَسَم بالملح، الماء، الأرض، الخبز، السماء، الأثير، الريح

١ ـ الكتبة، الفرّيسيون، الصدوقيون، المعمدانيون النهاريون والنصارى.

٢ ـ او "خطرين".

٣ ـ تشويه على الأرجح لاسم إلكساي، جعل الپاناريون يتحدّث عن كتابَين نبويَّين، واحد لكلٍّ من الأخوَين.

٤ ـ بحسب التفسير "الأُرثوذكسي" للشريعة، أي تفسير الفرّيسيين.

طقسياً. لكنه يقيم، في أحيان أخرى سبعة شهود آخرين: السماء، الماء، «الأرواح المقدَّسة»، كما يقول، ملائكة الصلاة، الزيت، الملح، الأرض. انه يمقت العذريّة، يكره التعفُّف ويُرغِم على الزواج؛ ويُدخِل بعض العناصر الناشئة من مخيِّلته كأنها صادرة من وحي. انه يعلِّم الخبث، قائلاً ان ليس من خطيئة عندما يتهدّد اضطهاد، إذا حدث لأحدهم ان عبد أصناماً، إنْ لم يفعل هذا الشخص ذلك في ضميره وإنْ لم يؤيِّدْ في قلبه ما يجهر به فمه.

٢. مارتوس ومارتانا

٢ لا يخجل المخادع من ذكر شاهد، قائلاً ان فنحاس، وهو كاهن من سلالة لاوي وهارون وفنحاس القديم، عَبَد خلال الجلاء إلى بابل[١]، أَرطميس في سوسة وأفلت هكذا تحت حكم الملك داريوس من فناء الموت؛ بحيث ان كلّ ما يتعلّق بهذا المخادع كاذب وسخيف. وانضمّ هذا الأخير إذاً، كما قيل أعلاه، إلى شيعة الأوسّيين التي سبق ذكرها، والتي لا تزال بقية منها موجودة اليوم في أرض النَّبْط نفسها التي لا تزال تُدعى پيرة، القريبة من موآب؛ هذا الجنس يُدعى اليوم السامپسيين.

انهم يتخيّلون دعوة هذا الرجل «قوة خفيّة»، لأن إِل تعني «قوة»، وكْسِي «خفيّ». لكن كلّ وقاحة سلوكهم دُحِضت، وسقطت في خزي عظيم في عيون الذين هم قادرون على تمييز الحقيقة ومعرفتها تماماً. وفي الواقع، حتى الآن، في زمن كونستانس، والأباطرة الحاضرين [...][٢]. وفي الواقع، كانت أُختان هما مارتوس ومارتانا[٣]، من ذريّة

---

١ ـ تأكيد آخر على احتمال أن يكون منشأ الإلكاسائية ما بين النهرَين.

٢ ـ «هذه الهرطقة موجودة»، مكان الفراغ.

٣ ـ لا بد ان إپيفانوس جمع معلومات شفهية عن السامپسيين، على الأرجح خلال زيارته برفقة يوسف طبريا، أُوسابيوس دو ڤيركيه الذي نفاه كونستانس إلى سيتوپوليس.

إلكساي نفسه، مكرَّمتان إلهتَين في بلادهما، فقد كان يُفترَض انهما منحدرتان من بذار إلكاساي الذي تكلّمت عنه. والحال ان مارتوس ماتت، منذ فترة قليلة، لكن مارتانا لا تزال حيّة. ان الهراطقة الضالّين في تلك البلاد، كانوا يحملون حتى البصقات وقذارات أخرى من جسدَي هاتَين المرأتَين؛ وكانوا يعتبرون ذلك بحسب إيمانهم علاجاً للأمراض؛ إنما لم يكن لذلك بالتأكيد تأثير. ان ما هو ضالّ وقحٌ دوماً وحاضرٌ للخداع؛ فالشر في الواقع أعمى والإثم أحمق.

٣. حال مستعصية

٣ انما إلى أين سوف أُمضي وقتي متحدِّثاً عن أمور هذا المشعوذ، عن كلّ الأكاذيب التي قالها ضد الحقيقة، أولاً معلِّماً نكران الله وممارسة الخبث، طالباً المشاركة في أُضحيات الوثنية الوقحة، خداع الذين يُنصِتون ونكران الإيمان الخاص بالفم؛ وان ليس في كلّ ذلك خطيئة. وينتج ان حالهم مستعصية ولا يمكنها أن تستقيم. ففي الواقع إذا كان الفم المكوَّن للاعتراف بالحقيقة مُعَدّاً سلفاً للكذب، أَفهناك أحد ما يركن إليهم ليصدِّق أنهم لا يملكون قلباً مُضلِّلاً، فيما الكلمة الإلهية تتحدّث بعبارات واضحة معلِّمةً بالروح القدس: «نؤمن بالقلب بهدف التبرير، ونعترف بالفم بهدف الخلاص.»

٤. إعتراف غامض

انه فوق ذلك يعترف ظاهرياً بالمسيح إسمياً، قائلاً ان المسيح هو الملك العظيم. لكنني لم أفهم تماماً[1]، إنطلاقاً من الصياغة الماكرة

---

١ ـ هذه الملاحظة تحمل على الاعتقاد بأن إبيفانوس كان يعرف مباشرةً المرجع الذي يذكره.

والمشوّهة لكتابه الثرثار، إنْ كان يتحدّث عن ربّنا يسوع المسيح؛ فهو في الواقع لا يتحدّث بوضوح عن هذا الموضوع، ويذكر فقط المسيح، كأنه كان يريد التحدُّث إلى آخر أو كأنه كان ينتظر آخر، حسب ما فهمنا.

٥. الصلاة نحو أُورشليم

فهو في الواقع يُحرِّم الصلاة في اتجاه الشرق، قائلا: لا ينبغي الصراخ هكذا بل ينبغي الاستدارة نحو أُورشليم، أياً تكن المنطقة التي نوجد فيها: أهل الشرق عليهم أن يصلّوا في اتجاه الغرب نحو أُورشليم، وأهل الغرب في اتجاه الشرق نحو المدينة نفسها، وأهل الشمال نحو الجنوب وأهل الجنوب نحو الشمال، بحيث يكون الوجه مستديراً نحو أُورشليم من كلّ جهة. وها هو جنون المخادع. انه يلعن القرابين وخدمات الهيكل، باعتبارها غريبة عن الله وغير مقدّمة لله بأي شكل بأمر الآباء والشريعة، وهنا يقول إن من الواجب الصلاة في اتجاه أُورشليم، حيث كان يوجد المذبح والقرابين.

٦. الماء لا النار

ويرفض عادة اليهود أكل اللحم والأمور الأخرى، كما المذبح والنار باعتبارهما غريبَين عن الله، قائلاً بهذه الكلمات إن الماء صالح والنار غريبة عن الله: «يا أولاد، لا تلتفتوا نحو مظهر النار، لأنكم تضلّون، لأن أمراً كهذا ضلال؛ ففي الواقع، يقول، تراها قريبة جداً وهي بعيدة جداً؛ لا تقتربوا من مظهرها، إقتربوا بالأحرى من صوت الماء.» وكثيرة هي هذه الروايات الخرافية.

٧. خرافات أخرى

٤ ثم يكتب ان المسيح قوة، ويُعطي قياساتها: طولها أربعة وعشرون شيناً، ستة وتسعون ميلاً تقريباً، وعرضها ستة شينات، أربعة وعشرون ميلاً، أما سماكتها وقدماها، فيروي الأمور التي لا تُصَدَّق نفسها وروايات خرافية أخرى. ويكتب أيضاً ان الروح القدس أيضاً يشبه المسيح وأنه امرأة قائمة بين جبلَين مثل تمثال يرتفع إلى ما وراء الغيوم. ولن أتكلّم عن الباقي، خوفاً من أن أُضِلّ أذن القارئين بتوجيههم نحو علم الأساطير. بأي كلمات وتعابير فارغة من المعنى لا يُضلِّهم، في مكان أبعد من الكتاب، قائلاً: «أَلا لا يبحث أحد عن المعنى بل ليقُلْ فقط هذه الكلمات في الصلاة»! وذلك أيضاً أخذه من العبرية، على ما يبدو، كما فهمنا ذلك جزئياً على رغم ان الأمور التي يتخيّلها ليست شيئاً على الاطلاق.

انه يأمر بالقول: «**عبر عنيد موعيب نوشيل دعسيم أني دعسيم نوشيل موعيب عنيد عبر سيلام**»، وهي كلمات لها المعنى التالي، مترجمةً: «ليجُز الخزي الآتي من آبائي، خزي إدانتهم، مهانتهم، وشقائهم، بمهانة الإدانة عبر آبائي، بالابتعاد عن الخزي الذي جاز بفضل تبشير كمال[١].»

---

١ ـ يقول م. أ. ليڤي (Lévi) إن المقصود خمس كلمات أرامية منقولة بحروفها إلى اليونانية، ومكتوبة مرةً من اليسار إلى اليمين وأخرى من اليمين إلى اليسار لتكوين بيتَي شعر بالكلمات نفسها. تبدأ الجملة بـ«أني»، أي «أنا»، وتنتهي بـ«سيلام». أي «سلام». بقراءة الكلمات الخمس الأخرى من اليمين إلى اليسار، نحصل على ما يلي: «أنا، شاهدكم، [سوف أكون شاهداً لكم] في يوم الدينونة العظيم. سلام.» هذا يُثبِت ان الكتاب موضوع بالآرامية. أما ترجمة إپيفانوس، فخاطئة تماماً.

لكن كلّ ذلك تمّ فيه. ففي الواقع تصبح قوته وضلاله لا أساس لهما. إنما إذا أراد أحد ما أن يسمع ترجمة هذه الكلمات واحدةً بعد الأخرى وفق بحث دقيق، فلن نتردّد في القيام بذلك أيضاً؛ إنما ليناسب ذلك في كلّ شيء الذين يريدون أن يسمعوا ذلك بدقة، سوف نُتبِع كلمته بمعناها؛ ها هي: **عبر** «ليجُز»، **عنيد**، «الخزي»، **موعيب**، «الآتي من أبائي»، **نوشيل**، «خزي إدانتهم»، **دعسيم**، «مهانتهم»، **أَني**، «وشقائهم»، **دعسيم**، «بمهانة»، **نوشيل**، «الإدانة»، **موعيب**، «عبر آبائي»، **عنيد**، «بالكلام على الخزي»، **عبر**، «الذي جاز»، **سيلام**، «في تبشير كمال».

٨. هرطقة سادسة من سبع

٥. هذه هي إذاً هرطقة الأُوسّيين التي ذكرناها أعلاه، تلك التي تتبع سلوك اليهود في التقيُّد بالسبت، بالختان، فاعلةً كلّ شيء بحسب الشريعة. انما انطلاقاً من انها ترفض كتب موسى على غرار الناصريين، تشكّل انشقاقاً وتتميّز هكذا من الست الأخرى من الهرطقات السبع. وواقع انها غريبة عن الله سوف يكفي إذاً لدحض هذه الهرطقة، وقد قال الربّ بوضوح: «ان الكهنة في الهيكل يدنّسون السبت.» ما هو تدنيس الهيكل ذاك سوى هذا: فيما لا يعمل أحد يوم السبت، يدمِّر الكهنة في الهيكل السبت بتقديم أُضحية، مدنِّسينه بالتضحية المستمرّة بالحيوانات؟

سوف أتجاوز هذه الهرطقة أيضاً. ففي الواقع اتّحد إلكساي هذا من جهة أخرى بالإبيونيين الآتين بعد المسيح، وأيضاً بالناصُريين الذين عاشوا لاحقاً. وأربع شيع تستخدمه لأنها مفتونة بضلاله، شيعة الإِبيونيين، شيعة الناصريين، الذين عاشوا بعدهم، شيعة الأُوسّيين

الذين عاشوا قبله ومعه في الوقت نفسه، وشيعة الناصُريين الذين وصفتهم آنفاً.

تلك هي الهرطقة السادسة من السبع التي كانت في أُورشليم، التي دامت حتى مجيء المسيح، وبعد مجيء المسيح بالجسد حتى فتح أُورشليم على يد الامبراطور تيطوس، أخي دوميسيانوس، إبن ڤسپاسيانوس، في العام الثاني من حكم أبيه ڤسپاسيانوس.

بعد الإستيلاء على أُورشليم، استمرّت هذه الهرطقة كما الهرطقات الأخرى التي عرفت حقبة شهرة قصيرة، أي الصدوقيون والكتبة، الفريسيون والمعمدانيون النهاريون، الأُوسّيون، النصارى والهيروديون، حتى زالت كلٌّ منها وقد تشتّتت في ساعتها وزمنها.

٩. ترياق ضد الضلال

٦ يكفي ان كلّ شخص عاقل أدرك عقيدتهم المُبتذَلة وثرثرتهم، يحضّر لنفسه علاجاً ضد هذا السم الخبيث انطلاقاً من جنون هذه الهرطقات وأقوال تبشيرها بالذات، خصوصاً حين يقول الربّ جهاراً في الشريعة والإنجيل: «لا تكن لك آلهة أخرى»، «لا تستخدم إسم إله آخر لتحلف»، ومجدداً، في الإنجيل: «لا تحلف بالسماء، ولا بالأرض، ولا بحلف آخر، بل لتكُنْ نعَمكم نعم ولاؤكم لا، لان كلّ الباقي من الشيطان.» انني أعتبر أن الربّ تنبّأ في هذا الموضوع، لأن البعض كانوا سيقولون بأداء القسم بأسماء أخرى؛ وقبل كلّ شيء لأن لا ينبغي الحلف بالربّ نفسه ولا بقسم آخر؛ فالحلف من الشيطان فعلاً. لذلك «شيطان» أيضاً مَنْ تحدّث في إلكساي وأرغم على الحلف ليس فقط بالله، بل أيضاً بالملح، الماء [الخبز][١]، الأثير، الريح، الأرض،

١ ـ الكلمة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

السماء. يكفي ان يستخدم الذي يريد ان يشفى ترياقاً ضد ضلاله الحجّتَين اللتين ذكرتهما عرضاً. وتاركاً جانباً ثرثرة هذا الرجل والخداع الخفيّ لهذه الهرطقة، سوف أدحض على الأثر الهرطقة السابعة، التي كانت مألوفة في تلك الحقبة بين اليهود.

إِبيفانوس السالاميني

الپاناريون، XXX: ٣، ١ ــ ٦

XXX ٣ في البدء، كان إِبيون[١] هذا، كما قلت، يؤكّد ان المسيح وُلِد من بذار رجل، من يوسف، انما منذ بعض الوقت وحتى الآن، يتحدّث تلاميذه عن المسيح على نحوٍ مختلف بعضهم عن بعض، كأنهم حوّلوا عقلهم نحو المشوَّش وغير المعقول. وعلى وجه الاحتمال اعتقد بأن بسبب اتحاد إِلكساي بهم، وهو النبي الدجّال ـ الذي ذكرته في ما يختص بالذين يُدعَون سامپسيين، أُوسّيين، إِلكيسيين[٢] ـ، يروون مثله أموراً خيالية في شأن المسيح والروح القدس. والبعض بينهم يقولون في الواقع أيضاً إن آدم هو المسيح، الرجل الأول الذي صنعه الله ونفخ فيه الله نَفَسه. لكن آخرين بينهم يقولون ان المسيح هو من فوق، وانه خُلِق قبل كلّ شيء، وانه روح وانه أسمى من الملائكة وهو سيِّدهم جميعاً، وانه يُدعى مسيحاً وتلقى بالإرث القرن الآتي، لكنه يأتي إلى الأرض[٣] حين يشاء، كما أتى في آدم وظهر للآباء لابساً جسد آدم. وبعدما أتى إلى إبراهيم، إسحق ويعقوب، هو نفسه الذي أتى في نهاية الأزمنة، ولبس جسد آدم، وظهر للبشر، وصُلِب، وقام وصعد

---

١ ـ الكلمة تعني بالعبرية «فقير»، والإِبيونيون هم إذاً «الفقراء». ويجعل إِبيفانوس من هذه الصفة اسم شخص هو أصل الإِبيونيين.

٢ ـ تبدو الأسماء الثلاثة كأنها مرادفات عند إِبيفانوس.

٣ ـ المقصود النبي الحق الذي ظهر لابساً ثوب ادم.

إلى السماء. ومجدداً حين يحلو لهم الأمر، يقولون: «ليس الواقع هكذا، بل ان الروح الذي هو المسيح أتى فيه ولبس مَنْ يُدعى يسوع.» عظيم هو الغموض لديهم، بما انهم يتمثّلونه كلّ مرة في شكل مختلف.

إپيفانوس السالاميني

الپاناريون، XXX: ١٧، ٤ ــ ٧

XXX: ١٧ وكم من أمور أخرى رهيبة، مزيَّفة وملأى شراً يحتفظون بها! ففي الواقع عندما يمرض أحدهم أو تلسعه حيّة، ينزل في الماء ويبتهل إلى الأسماء التي هي في إلكساي، أسماء السماء، الأرض، الملح والماء، الرياح وملائكة العدل، كما يقولون، الخبز، الزيت[1]، ويتلفّظون بهذه الكلمات: «ساعديني وابعدي عني هذا الألم.» سبق أن برهنت أعلاه على أن إبيون لم يكن يعرف هذه الأمور، انما بعد بعض الوقت، عندما اتّحد تلاميذه بإلكساي، حفظوا من إبيون الختان، السبت والعادات، لكن من إلكساي الخيال، بحيث انهم يعتقدون بأن المسيح صورة[2] تشبه البشر، غير مرئية للناس، وطوله ستة وثمانون ميلاً، وله قياس آخر للسماكة. وقبالته يوجد الروح القدس في شكل امرأة، بطريقة غير مرئية، وهو أيضاً بالقامة نفسها. «ومن أين، يقول، عرفت القياسات؟ من واقع انني رأيت من الجبال أن رأسَيهما كانا

١ ـ تحتوي هذه اللائحة ثمانية أسماء مقدّسة ينبغي الإبتهال إليها عند الإنغماس في الماء ومنها يأتي الشفاء. يؤكّد إپيفانوس ان هذه الأسماء المرتَّبة أزواجاً كانت في «كتاب وحي إلكاساي». وكان السحر يوجِّه هذه الإغتسالات العلاجية، كما تبرهن على ذلك الصلاة التالية.

٢ ـ في مصدر إپيفانوس، يبدو الموحِيان صورتَين بشريتَين، رجلاً وامرأة واقفَين مثل تمثالَين بين الجبال حيث ظهرا.

يبلغان القمم وانني وقد عرفت ارتفاع الجبال عرفت قياسات المسيح والروح القدس.»

إِپيفانوس السالاميني

«أَناكيفاليوزيس»، الپاناريون، LIII: ١ ـ ٢

LIII ان السامپسيين، المدعوّين أيضاً إلكيسيين، يسكنون حتى الآن، في العربية، منطقة تقع فوق البحر[١]. لقد أضلّهم المدعو إلكساي، وهو نبي دجّال. اليوم أيضاً ثمة امرأتان من ذريّته: مارتوس ومارتانا، إمرأتان تُكرمهما الشيعة مثل إلهتَين[٢]. انهم يشبهون تقريباً، في كلّ الأمور، الإبيونيين.

إِپيفانوس السالاميني

الپاناريون، LIII: ١ ـ ٢، ٤

LIII ١ توجد في البيرة هرطقة هي هرطقة السامپسيين المدعوّين أيضاً إلكيسيين، سبق أن ذكرناها في الهرطقات الأخرى؛ وهي موجودة في منطقة تُدعى بيرة، في الجانب الآخر من البحر المالح، المدعو أيضاً البحر الميت، في منطقة موآب، عند سيل أَرنون وما وراءه، في إيتورية وبلاد النَّبْط، كما بيّنت ذلك مرات عدة في خصوصهم.

انهم يتباهَون بأن إلكساي معلِّمهم وبأن امرأتين لا تزالان موجودتَين من ذرّيته، مكرَّمتَين مثل إلهتين بحجة انهما آتيتان من بذار مبارك.

---

١ ـ يجعل الپاناريون السامپسيين في البيرة، ما وراء البحر الميت.

٢ ـ وصف خاص بإپيفانوس، لأن السامپسيين يؤمنون بإله واحد.

ان الأُوسيّين، الإِبيونيين والناصُريين يستخدمون هذا الكتاب، كما قلت مرات عدة. ويستخلص السامپسيون منه أصلهم تلقائياً، باعتبارهم ليسوا مسيحيين، ولا يهوداً، ولا وثنيين، إنما ليسوا شيئاً، إذ هم في الوسط بالضبط. ويقولون ان لديهم كتاباً آخر يُدعى «كتاب ييكساي»، وييكساي أخو إِلكساي.[1]

انهم يقولون ان الله واحد، ويُكرِمونه على قولهم بمعموديات معيّنة. ويرتبطون باليهود انما ليس في كلّ شيء. والبعض من بينهم يُحجِمون عن أكل اللحم.

ويموتون فداء ذريّة إلكساي. وفي تلك الأثناء، سمعت بأن إحدى المرأتَين، تلك التي تُدعى مارتوس كانت ميتة، لكن مارتانا لا تزال حيّة، إلا إذا كانت قد ماتت أيضاً.

وعندما كانت هاتان تخرجان للذهاب إلى مكان ما، كانت الجموع تتبعهما وتلتقط تراب أقدام هاتَين المرأتَين لإجراء شفاءات على قول هؤلاء القوم، وكذلك لُعاب بِصقاتهما، ويستخدمونها في تمائم وأحجبة، جاعلين من أنفسهم موضع سخرية تماماً. إن كلّ ضلال يبدأ في الواقع بالعمى ويستمر بالهذيان.

انهم لا يسلِّمون بالأنبياء ولا بالرسل[2]. كلّ شيء مشوّه عندهم. يكرِّمون الماء ويتصوّرونه إلهاً قائلين تقريباً ان الحياة تأتي من الماء.[3]

هم يعترفون بالمسيح بالإسم ويؤمنون بأنه خُلِق ويظهر دوماً. وأنه كُوِّن في المرة الأولى في آدم، ويخلع جسد آدم ويلبسه مجدداً حين يشاء.

---

١ ـ بلبلة إبيفانوس في تحديد السامپسيين تعود إلى تعقُّد الهرطقة الإلكاسائية.

٢ ـ ثمة تمييز بين نوعين من النبوءات: نبوءة آدم ونبوءة حواء، النبوءة الحق والنبوءة الباطلة، ورذل للثانية، أي النبوءة «الأُنثى».

٣ ـ سورة الأنبياء: ٢١/ ٣٠: «... وجعلنا من الماء كلّ شيءٍ حي أفلا يؤمنون.»

وأنه يُدعى المسيح، والروح القدس الذي له مظهر امرأة هو أُخته[١]. وكلٌّ منهما، المسيح والروح القدس، طوله ستة وتسعون ميلاً وعرضه أربعة وعشرون. ويقولون حماقات كثيرة أخرى.

لقد سبق أن ضحدتهم، متحدِّثاً عنهم مرات عدة في خصوص الهرطقات الأخرى. لذا اعتبر ان من الضروري تكريس حيِّز كبير لإنهاء دحضهم، بما انني فعلت ذلك في خصوص إلكسايوس نفسه، المدعو أيضاً إلكساي، وفي خصوص الذين يتبعونه في الهرطقات الأخرى المعروضة أعلاه. ففي الواقع من الواضح للجميع ان هذا الشخص هو في الضلال كما الهرطقة الصادرة عنه.

وبما أننا ضربنا العَظاية الشمسية بعصا رجاء المسيح وصليبه، يمكننا الإنتقال إلى الهرطقات التالية. فمن الصواب في الواقع استخدام الإسم نفسه الذي يسمّون به أنفسهم، باعتباره لغزاً لتحديد معنى لقبهم المزوَّر. لان سامپسيين تعني «شمسيين»[٢]، لهذا السبب ذكرت هذا الحيوان.

ففي الواقع يدعو الناس هذه العَظاية «شمسية». ان هذه الهرطقة أسوأ من العَظاية، فليس فيها حتى أصغر صفاتها المفيدة. ففي الواقع ان هذا الحيوان الذي يضعف نظره فترةً، يستعيده بعد غياب الشمس. انه يختبىء في تجويف من الأرض يتّجه نحو الشرق ويتحرّر من ضعف نظره، منتظراً من دون أن يأكل شروق الشمس. لكنني أقول في المقابل ان هذه الهرطقة تحوز في كلّ شيء غباء الحيوان من دون أن تمتلك مع ذلك القليل من صفاته.

---

١ ـ مظهر لاهوت السامپسيين الشعبي المبني على الرؤيا.

٢ ـ التفسير خاطىء على الأرجح.

لتبقَ هذه الهرطقة التي دعَوناها «عظاية شمسية» في جنونها، تدوسها الحقيقة بالأقدام، لأنها عاجزة أمام حقيقة الله.

حياة ماني

كُودِكْس كولونيا المانوي، ٧٩ ــ ٩٣:

«بارايس[1]، المعلِّم»

١. نقد ماني

٧٩ يقول سيِّدي: «في هذه الجماعة، أمضيت فترة طويلة في محاورة كلٍّ منهم، ناهضاً وسائلاً إياهم عن طريق الله، تعاليم المخلِّص و٨٠ المعمودية، وفي شأن الخضار التي يطهّرونها وكلّ قانون أو أمر وفقه يعيشون. وعندما كنت أُدمِّر عقائدهم وأسرارهم[2] وأُلغيها، مُثبِتاً لهم ان الأمور التي كانوا يتبعونها، لم يتلقُّوها من وصايا المخلِّص، كان البعض من بينهم يدهشون مني، وآخرون في المقابل يغضبون، ويقولون ثائرين: "أَلا يريد، صدفةً، الرحيل إلى عند اليونانيين؟"[3] وما ان عرفت أفكارهم، حتى قلت لهم برفق: "إن المعمودية التي بها ٨١ تعمِّدون اطعمتكم لا قيمة لها[4]؛ فهذا الجسد في

١ ـ نشاط بارايس، أحد أرفع ممثلي الكنيسة المانوية، يقع بين نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع م. يتضمّن هذا النص نقد ماني الطقوس العمادية للجماعة التي كان ينتمي إليها قبل أن يغادرها.

٢ ـ المقصود الطقوس العمادية بحسب الإلنكوس.

٣ ـ المسيحيون ذوو الثقافة اليونانية والأصل الوثني، المعارضون لمعمدانيي التقليد اليهودي المتنصِّر.

٤ ـ تطهير الأطعمة لا جدوى منه لأسباب ثلاثة: لا فائدة من إدخال طعام طاهر جسداً نجساً أصلاً؛ أي طعام يتحوّل دوماً برازاً؛ الطعام، مُطهَّراً كان أم لا، لا يغيِّر جمال الجسد ولا قوته. وفي كلّ حال، بشاعة البراز هي نفسها، بفعل الهضم. لذا العلاج الوحيد هو الصيام.

الواقع نجس وكُوِّن بخَلق نجس. أُنظروا عندما يطهِّر أحدهم طعامه ويأكل منه بعد أن يُعَمَّد، إن دماً، صفراء، غازات إمعاء، برازاً مُعيباً ونجاسة الجسد تأتي منه، حتى في هذه الحال. انما إذا حفظ أحدهم فمه من هذا الطعام أياماً قليلة، نُدرك فوراً ان كلّ ذلك اللفظ المُعيب والمُقرِف ينقص وينخفض في الجسد. إنما إذا تناول طعاماً مجدداً، ٨٢ يغزر ذلك اللفظ في الجسد بالطريقة نفسها، بحيث ان من الواضح انه يتضاعف انطلاقاً من الطعام نفسه. إنما إذا تناول أحدهم طعاماً مُعَمَّداً ومُطَهَّراً، ثم طعاماً غير مُطهَّر، يبدو أن جمال الجسد وقوته يلبثان إياهما. ونرى كذلك ان القرف والقذارة لا يختلفان في الحالَين؛ وينتج من ذلك ان الطعام الذي عُمِّد وطرده الجسد وصرفه ليس أفضل من آخر لم يُعَمَّد.

«اما ان تُعمِّدوا أنفسكم في الماء كلّ يوم، فذلك أيضاً ٨٣ لا قيمة له[١]. فلماذا تعتمدون في الواقع كلّ يوم، وقد تعمّدتم وتطهّرتم نهائياً؟ في ذلك أيضاً من الواضح إذاً أنكم تقرفون من أنفسكم كلّ يوم، وبسبب القرف تعمِّدون أنفسكم من دون أن تتطهّروا. من البديهي تماماً من هنا بالذات ان كلّ نجاسة تأتي من الجسد. وها انكم أنتم أيضاً لبستموها. لذلك أُنظروا بأنفسكم ما هي قيمة تطهُّركم. فمن المستحيل في الواقع ٨٤ تطهير أجسادكم في شكل كامل[٢]. فالجسد

١ ـ ينتقد ماني هنا تطهير الجسد الذي يحصل كلّ يوم. فهو لا قيمة له لأن الجسد نجس من جهة ومنبع نجاسة، وما من ماء يمكنه تطهيره، ولأن تكرار المعمودية يبرهن من جهة أخرى على أن الطقس غير فعّال. نجاسة الجسد الجذرية من أركان العقيدة المانوية.

٢ ـ التطهير الوحيد الممكن للإنسان يحصل بالغنوصية وما ينتج منها في شكل أساسي: إنفصال المبدأين الرئيسيين في حياته الخاصة، الممثَّلَين بالنور والظلمة، الحياة والموت. بحسب ماني، يعود هذا التطهُّر إلى تقليد مكتوب.

يتحرّك في الواقع كلّ يوم، ويتوقّف بسبب إفرازات الراسب الآتية منه، بحيث ان الأمر يحصل بالاستقلال عن تعليم للمخلِّص.

«لذلك ان التطهُّر الذي كُتِب عنه هو الذي يحصل بالغنوصية: الإنفصال بين النور والظلمة، بين الموت والحياة، بين مياه جارية ومياه راكدة؛ وسوف تعرفون ان كلّ أمر مختلف عن الآخر وسوف [تتقيّدون][١] بوصايا المخلّص ليحرِّر نفس [كم][٢] من [الموت][٣] و٨٥ الدمار. هذا هو في الحقيقة التطهُّر الأصوب الذي أُمِرتم بتحقيقه. لكنكم غسلتم أنفسكم؛ بابتعادكم عنه، ابقيتم على تطهُّر الجسد النجس جداً والذي كوّنته النجاسة وبها تخثّر[٤] وبُني.»

٢. ردود فعل المعمدانيين

«بعدما قلت ذلك وقلبت ما كانوا يتبعونه بحماس وأبَدْتُه، امتدحني البعض من بينهم، تملأهم الدهشة في شأني، واعتبروني قائداً ومعلِّماً؛ وكان يقول آخرون: "الكلمة الحيّة[٥] ترنّ فيه؛ لنجعل منه معلّماً لجماعتنا[٦]." وكان يقول آخرون أيضاً: "أَلَمْ يكلّمْه صوت سراً، أوَلا يردّد ما كشفه له؟" وكان يقول البعض: "أَلَمْ تظهر له رؤيا في الحلم، أَوَلا ينقل ما رآه؟" لكن آخرون كانوا يقولون: "أَلا يكون هذا الرجل ذاك الذي تنبّأ معلّمونا في شأنه، قائلين: 'سوف [يقوم][٧] شاب في

---

١ و٢ و٣ ـ العبارات أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

٤ ـ تكوُّن الجنين، كما عند أرسطو، مثل تخثُّر الجبن.

٥ ـ تشير على الأرجح إلى الكتاب المقدَّس. ماني هو كاشف هذه الكلمة، وباعتباره كذلك، ليس نبياً ومعلِّماً. فالرسول والمعلِّم والنبي يمثِّلون الرُّتب الثلاث في الكنيسة القديمة بحسب الديذاخِه. إنما باعتباره رسول الكلمة، ليس ماني نبياً فقط، بل والظهور الأُخروي لنبي الحقيقة، على غرار نبي الحق في الأدب الإقليموسي المزعوم.

٦ ـ للكلمة معنى العقيدة وجماعة العقيدة.

٧ ـ الكلمة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

وسطنا و[معلِّم][١] جديد[٢] ٨٧ سوف يأتي، بحيث يقلب عقيدتنا بأسرها، كما أعلن ذلك آباؤنا وأجدادنا في شأن راحة الثوب[٣]؟» وكان يقول آخرون أيضاً: "أَليس هو الضلال الذي يتكلّم فيه، والذي يريد ان يخدع شعبنا ويقسم جماعتنا؟" وكانت مجموعة من بينهم مملوءة حسداً وغضباً، أيّد قسم منها إعدامي. وكان يقول آخرون: "هذا عدو شريعتنا." وبعضٌ آخرون: "أَيريد الرحيل إلى عند الوثنيين[٤] وأكل خبز اليونانيين[٥]؟ [...] فقد سمعناه بالفعل يقول: 'ينبغي تقاسم ٨٨ خبز اليونانيين.' كذلك يقول ان من المسموح به تقاسم الشراب، القمح، الخضار، الثمار، وكلّ الأمور التي حظّر آباؤنا ومعلّمونا أكلها[٦]. وبالطريقة نفسها يدمِّر المعمودية[٧] التي بها نعتمد؛ انه لا يعتمد مثلنا، ولا يعمِّد طعامه بحسب عادتنا."

٣. مجمع المعمدانيين

«إذاك رأى سيطان[٨] ورفاقه انني لن أدع نفسي أقتنع بواسطتهم، بل انني كنت أُدمِّر شيئاً فشيئاً شريعتهم وتعاليمهم وأُبيدها وهي التي

---

١ ـ الكلمة أُعيدت إلى النص موضوع الترجمة.

٢ ـ يذكر المعمدانيون نهائية إلكاسائية للعالم تُعلِن مجيء النبي الدجّال، نقيض نبي الحقيقة. الدجّال شاب، وهو ماني.

٣ ـ الراحة الأُخروية للجسد.

٤ ـ بالنسبة إلى المعمدانيين، الوثنيون هم المسيحيون الآتون من عبدة الأصنام والمؤيدون بولس الرسول.

٥ ـ خبز القمح المُعتبَر خبز الأثرياء الذي لا يناسب المتقشِّفين الذين يأكلون خبز النخالة أو الشعير، أي خبز الفقراء. والخبز عنصر مقدَّس لدى الإلكاسائيين.

٦ ـ ماني ينتقد محظورات الأطعمة التي لا يزرعها المعمدانيون أنفسهم.

٧ ـ أي تطهُّر الجسد والطعام.

٨ ـ سيطان هو رئيس محفل كهنة المجلس الأعلى، وله حق دعوة السينودس إلى الاجتماع.

تحظّر بعض الأطعمة، وانني لم أكن أمارس ٨٩ المعمودية مثلهم. وعندما رأوا انني كنت أعارضهم في كلّ شيء، جمع سيطان وكلّ مجموعة الكهنة، رفاقه، السينودس بسببي. ودعَوا أيضاً پاتّيكيوس[1]، سيِّد البيت، وقالوا له: "إن ابنك حاد عن شريعتنا ويريد أن يرحل إلى العالم. والخبز، القمح، الثمار والخضار، نحرِّمها ولا نأكل منها، لكنه لا يحترم هذه المحظورات ويصرّح بأن من الواجب رفضها [...] يريد أن يأكل ٩٠ خبز اليونانيين." إذاك قال لهم پاتّيكيوس، وقد رأى هياجهم العظيم: «نادوه وأقنِعوه.»

٤. ماني أمام السينودس

«إذاك نادوني إليهم، وقالوا لي مجتمعين: "منذ نعومة أظفارك كنت قربنا وكنت تعيش كما ينبغي، بحسب تعليمات شريعتنا وطرق عيشها. كنت في وسطنا مثل خطيبة حييّة[2]. الآن ماذا حدث لك، أو أي رؤية حلّت عليك؟ فأنت تعارض شريعتنا في الواقع، تدمِّر وتُبيد عقيدت[نا][3]. لقد حدت ٩١ عن طريقة عيشنا[4]. اننا نكنّ لوالدك أعظم احترام. لأي سبب إذاً تدمِّر الآن معمودية شريعتنا وآبائنا التي

١ ـ صيغة يونانية لپاتّيغ، بالسريانية پاتيق، والد ماني. يقول إبن النديم في «الفهرست» ان پاتّيكيوس كان يعيش في جماعة المُغْتَسِلَة في ميسَنِة، ليحقق هدفه الأعلى الذي دعاه إليه وحي في هيكل الأصنام في المدائن (ستيزيفون). وقد اصطحب معه إلى هناك إبنه الطفل. اجلّه المعمدانيون كثيراً، وحمل لقب «سيِّد البيت»، مما يوازي على الأرجح رئيس دير. ويبدو أنه كان في عداد الكهنة الكبار.

٢ ـ العبارة تُشير إلى تكتُّم ماني بحسب نظام المعمدانيين.

٣ ـ الضمير أُعيد إلى النص موضوع الترجمة.

٤ ـ الخلاف بين ماني والمعمدانيين يتناول تفسير فكر يسوع إستناداً إلى التقليد المكتوب للأناجيل. وهي مسألة أساسية في تاريخ المسيحية آنذاك. يقول ماني إن يسوع لم يميّز بين نوع خبز وآخر، ويلاحظ ان تلاميذ يسوع هم مثال المختارين المانويين.

نمارسها منذ البدء؟ تريد حتى أكل خبز القمح والخضار التي لا نأكلها. لِمَ تتصرّف هكذا ولا ترضى بزرع الأرض كما نفعل ذلك؟"[١]

«إذاك قلت لهم: "حاشا أن أُدمِّر تعاليم المخلِّص! إذا كنتم تلومونني
٩٢ بسبب خبز القمح، لأنني قلت مسموح أكله، فالمخلِّص فعل ذلك. فمكتوب أيضاً: 'عندما بارك ووزّع على تلاميذه، الخبز ما وزّع وأعطاهم.' هذا الخبز أَلَمْ يكن خبز قمح؟ ان الإنجيل يشير إلى أنه جلس إلى المائدة مع العشّارين والوثنيين. كذلك دُعي إلى بيت مرتا ومريم. وعندما قالت له مرتا: 'يا ربّ، لا تقلق في شأني' و'أَلا تريد أن تقول لأختي أن تساعدني؟'، أجابها الربّ: 'إن مريم اختارت النصيب الأفضل، ٩٣ ولن يُنزَع منها.' لاحظوا كذلك كيف كان تلاميذ المخلِّص يأكلون الخبز الذي كانت تزوِّدهم به نساء ووثنيون؛ ولم يقيموا أي تمييز بين خبز وخبز ولا بين خُضار وخُضار؛ ولم يكونوا يزاولون كذلك العمل وزراعة الأرض ليأكلوا كما تفعلون اليوم. كذلك عندما أرسل المخلِّص تلاميذه ليبشِّروا في كلّ مكان، لم يكونوا يحملون معهم رحىً ولا تنُّوراً[٢]، بل [...].

حياة ماني

كُوْدِكْس كولونيا المانوي، ٩٤ ــ ٩٩:

«ز[كّا][٣]

٩٤ «"إذا كنتم تتهمونني إذاً في شأن المعمودية، فها انني أُشير

---

١ ـ يُحجِم ماني عن زرع بستان الإلكاسائيين، على أثر الوحي الذي علّمه «السر الخفي»، وهو أن الأرض والنباتات تحتوي جزئيات من النور السماوي. من هنا تحريم الزراعة في الكنيسة المانوية.

٢ ـ لا إشارة إلى ذلك في الأناجيل الرسمية. وقد أضاف ماني أو التقليد المانوي أشياء أخرى إلى اللائحة لدعم حجة المعمدانيين.

٣ ـ بقية الإسم أعيدت إلى النص موضوع الترجمة. قد يكون تلميذ ماني أو معلِّماً مانوياً.

لكم مجدداً، وأنا أتكلّم عن شريعتكم والأمور التي أُوحي بها إلى رؤسائكم، إلى ان من الواجب الاعتماد.

«"ان أَلخاسايوس، رئيس شريعتكم يشير إلى ذلك في الواقع. حين كان يذهب ليغتسل في المياه، ظهرت له صورة رجل من نبع المياه وقالت له: 'لا يكفي أن تضربني حيواناتك، إنما أنت أيضاً تُهين موضعي وتدنِّس مياهي؟' بحيث ان أَلخاسايوس دَهِش وقال لـ ٩٥ الصورة التي ظهرت: 'إن الزِّنى، النجاسة، ورجس العالم ترتمي فيك ولا تمنعين ذلك، وأنت اغتظت بسببي؟' فقالت له: 'حتى لو ان كلّ الآخرين لا يعرفون مَنْ أنا، أنت الذي تدّعي بأنك عابد لله[1] وبارّ، لماذا لم تصُنْ شرفي؟' إذاك ما عاد أَلخاسايوس، المضطرب، اغتسل في الماء.

«"ومجدداً أراد بعد فترة طويلة أن يغتسل في المياه، فطلب من تلاميذه أن يختاروا مكاناً بماء قليل للاغتسال. وتلاميذه ٩٦ وجدوا له المكان. وإذ كان يتهيّأ للاغتسال، ظهرت له مجدداً صورة رجل في ذلك النبع للمرة الثانية، وقالت له: 'نحن والمياه التي في البحر أمر واحد. أَأتيت إذاً إلى هنا أيضاً لتُخطيء وتضربنا؟' إذاك ترك أَلخاسايوس، المرتجف تماماً والمضطرب، الوحل الذي كان على رأسه يجفّ، ونزعه بعد ذلك."»

ومجدداً أشار إلى أن أَلخاسايوس كان يملك محاريث متروكةً جانباً وانه اتجه نحوها. وقد تكلّمت الأرض[2] وقالت له: ٩٧ «لِمَ تحقِّق كسبك انطلاقاً مني؟» وإذ تناول قليلاً من تلك الأرض التي كلّمته، قبّله

١ - الصفة تعبِّر عن احترام أَلخاسايوس الشرائع الإلهية وتقاليد الأسلاف، ومنها حماية قداسة الماء.

٢ - عنصر مقدَّس عند الإلكاسائيين. تلوم أَلخاسايوس على إفادته المادية منها. إلا ان الطرفة لا تحظِّر العمل الزراعي الذي كان المعمدانيون يزاولونه.

أَلخاسايوس باكياً، ووضعه على صدره وبدأ يقول: «هذا جسد ربّي ودمه[1].»

ومجدداً قال إن أَلخاسايوس وجد تلاميذه يخبزون أرغفة، فكلّم الخبز أَلخاسايوس. وأمر هذا الأخير إذاً بالكف عن خبزه.

ومجدداً أشار إلى أن صبّايوس المعمداني، كان ينقل الخضار إلى كاهن المدينة[2]. إذاك بكى أحد تلك الخُضار و٩٨ قال له: «أَلست باراًّ؟ أَلست طاهراً؟ لِمَ تقودنا إلى عند الزُّناة؟» فاضطرب صبّايوس بسبب ما سمع وأعاد الخضار. ومجدداً أشار إلى ان نخلة كلّمت أيّانوس، معمداني كُوكَة[3]، وأمرته بأن يقول لسيِّده: لا تقطَعْني لأن ثماري سُرقت، بل دَعْني لهذا العام، وفي هذا الوقت سوف أُعطيك الثمار المُطابِقة التي سُرقت مني خلال كلّ تلك الأعوام.»

٩٩ لكن النخلَة أمرت بالقول لذلك الرجل الذي سرق ثمارها: «لا تأتِ في هذا الوقت لتسرق ثماري. وإنْ أتيت، فسوف أُلقي بك من فوق وستموت.»

حياة ماني

كُوِدكْس كولونيا المانوي، ٩٩، ١٠٠:

«تيموثيوس»[4]

إذاك قال لهم: «تأمّلوا بأنفسكم رجال شريعتكم المشاهير هؤلاء، لقد رأَوا هذه الرؤى واضطربوا بسببها ١٠٠ وأعلنوها للآخرين. وأنا أيضاً أفعل بالطريقة نفسها كلّ ما تعلّمته منهم[5].»

١ ـ في هذه العبارة العقيدة المانوية الخاصة بيسوع الذي يمكنه أن يتألّم: النور المصلوب مجدداً في النباتات والثمار، كما في الماء والأرض.

٢ ـ المقصود هنا موظف مدني من المدينة.

٣ ـ سلوقية القديمة، على ضفة دجلة، قبالة ستيزيفون.

٤ ـ شخص مجهول. هذا النص يحتوي خاتمة دفاع ماني أمام السينودس.

٥ ـ ماني يعتبر آباء التقليد الإلكاساني سابقيه.

http://kotob.has.it